

الإمام البخاري رحمه الله وأفقياً

تأليف الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

منشورات المكتبة العصرية
طيدا - بيروت

الإمام البخاري محمد بن أبي خازيم

تأليف
الدكتور الحبيب عبد المجيد هاشم

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

منشورات المكتبة العصرية

صيدا - بيروت

٢٣٧٥٤٥ - بيروت ص.ب ٨٣٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث
رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء
 والمرسلين الذي أرسله الله الى الناس كافة شاهدا ومبشرا
 ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .

ويمكن لرسالته الخلود بوحي يتلى وهو القرآن الكريم
 وبوحي مبين ومفصل للكتاب الخالد وهو السنة النبوية وفي
 كلتا الحالتين أمدد الله بالعناية وعصمه من اتباع الهوى قال
 تعالى : « وما ينطق عن الهوى أن هو الا وحي يوحى علمه
 شديد القوى » .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن
 اهتدى بهديه الى يوم الدين .

أما بعد ..

فأقدم الى العالم الاسلامى هذا الكتاب « الأمام البخارى محدثا
 وفقها » بدأته بمقدمة اجمالية عن مكانة السنة فى الاسلام .. وعن
 تاريخ تدوين السنة الى عصر البخارى ثم بدراسة نشأة الامام البخارى
 ومنهجه فى حياته العلمية وذكرت بعض شيوخه الاعلام كنماذج
 لمصادر ثقافته النقية ، ثم بمنهجه فى حياته العامة حتى أكون على
 علم بمكائنه التى لها أثرها فى القاء الأضواء الكاشفة لخطواته العلمية ،
 ثم كتبت عن منهجه فى جامعه الصحيح . ولكى أبين مدى تأثير منهجه
 بالسابقين وأحدد مميزاته ، قارنت بين كتابه وبين أعظم كتاب ألف فى القرن
 الثانى . « موطأ الأمام مالك رضى الله عنه » وليبان اثر منهجه فيمن

بعده قارنت بينه وبين أعظم كتاب ألف بعد كتاب البخارى وهو «الجامع الصحيح» للإمام مسلم بن الحجاج رضى الله عنه .

ثم كتبت عن اجتهاد البخارى وفقهه .

ثم عن النقد القديم فى صحيحه وبينت قيمته ، ثم النقد الحديث وبينت قيمة موازينه ومقاييسه .

ثم قارنت بين منهج المحدثين والبخارى ، وبين المنهج التاريخى الأوروبى الحديث .

ثم تعرضت لمؤلفاته الموجودة بما يؤكد قوته العلمية فى معرفة تاريخ الرواة حيث أن لها الصلة الوثيقة بأحاديثه، والله ولى التوفيق .

المقدمة

مكانة السنة في الدين الاسلامى

اصطفى الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم .
وأعدده اعدادا كاملا ليتحمل أسمى رسالة يعطر بأريجها الدنيا . تزكية
للنفوس وتطهيرا للقلوب وتثبيتا للعقيدة الصحيحة وسيرا نحو النور في
الطريق المستقيم في ميدان العقيدة والشريعة .

فأنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابا لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه . « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (١) » .
وأشرق ذلك الكتاب المبين يحمل في نفسه دليل صدقه ذاتيا وهو الدليل
الخالد على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به ، وكان
المعجزة الكبرى الذى تحدى الانس والجن « قل لئن اجتمعت الانس
والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا (٢) » .

وعرف أرباب الفصاحة والبلاغة حلاوته وطلاوته وبلاغته وفصاحته
وأيقنوا أنه ليس من كلام البشر وأن الذى جاء به انما هو رسول رب
العالمين . وحمل القرآن الأسس الكاملة للرسالة العامة الخالدة .
« قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا (٣) » .

(١) سورة البقرة الآية ٢ .

(٢) الاسراء الآية ٨٨ .

(٣) الاعتراف الآية ١٥٨ .

وأمره الله بتبليغه :

« يا أيها الرسول بَلِّغْ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين (١) »

ولكن هل كل العقول مستعدة لفهم كل ما جاء به القرآن ؟.

وإذا فهمته فهل من سبيل الى تفصيل اجماله وبيان ابهامه ؟ اذن لا بد من البيان والتفصيل والتوضيح فأمر الله نبيه في كتابه ان يبين للناس ما نزل اليهم بسنته .

قال تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون (٢) » . « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٣) » .

وتكفل الله بعصمة الرسول وامداده بالوحي وعصمته عن الخطأ والهوى في كل ما يأتي به من قرآن وسنة فيها بيان للقرآن أو تشريع مستقل « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى (٤) » .

« فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم أن علينا بيانه (٥) » .

ومهد له الطريق وعبّده لتذليل مهمته فأمر الناس بطاعة الرسول ونص في قرآنه على أنها طاعة لله كما نص على أنه لا خيرة في الأمر بعد كلام الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا (٦) » . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون (٧) » . وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

٢ - سورة النحل الآية ٤٤ .

١ - المائدة الآية ٦٧ .

٤ - النجم الآية ٣ ، ٤ ، ٥ .

٣ - النحل الآية ٦٤ .

٦ - سورة النساء الآية ٨٠ .

٥ - سورة القيامة الآية ١٨ ، ١٩ .

٧ - الانفال الآية ٢٠ .

فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (١) .

قال ابن القيم (٢) : أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على نفى الايمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجلي ولم يكتف في ايمانهم بهذا التحكيم بمجردة حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه ولم يكتف منهم أيضا بذلك حتى يسلموا تسليما وينقادوا انقيادا . أ، هـ .

وقال الامام الشافعي (٣) : نزلت هذه الآية فيما بلغنا والله أعلم في رجل خاصم الزبير في أرض قفضى النبي صلى الله عليه وسلم بها للزبير وهذا القضاء سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حكم منصوص في القرآن ، هـ .

فكل ما جاء به الرسول وأثر عنه من السنة فاتباعه انما هو واجب لصريح أمر الله في قرآنه باتباعه وهو بالتالى اتباع لله وقرآنه وهذا صريح فيما تقدم وفي قوله تعالى : « (٤) وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . وأخبر تعالى ان الرسول أوتى القرآن والحكمة وهما مصدرا التشريع فقال : « (٥) لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » وذهب جمهور العلماء والمحققين بأن الحكمة هي السنة وجزم بهذا الامام الشافعي لتغايرهما بالعطف وهي في مقام المنة ولم يوجب علينا الا اتباع الرسول فلا يمكن أن تكون شيئا آخر غير السنة . « من يطع الرسول فقد أطاع الله (٦) » .
وحب الله في اتباع الرسول وسنته .

« قل (٧) ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

٢ - اعلام الموقعين ج ١ ص ٥٧ لاي قتيبه

٤ - سورة الحشرة الآية ٧ .

٦ - سورة النساء الآية ٨٠ .

١ - النساء الآية ٦٥ .

٣ - الرسالة ص ٨٣ للشافعي .

٥ - سورة آل عمران الآية ١٦٤ .

٧ - سورة آل عمران الآية ٣١ .

فالقرآن هو الأصل الأول في الدين الداعي الى السنة ، والسنة هي الأصل الثاني في الدين ، وهي المبينة للقرآن المفصلة لأجماله والمستقلة بالتشريع ، فيها يعرف مثلاً أوقات الصلاة وعدد ركعاتها وسجوداتها وما يقيمها أو يبطئها مما لم يفصله القرآن، بل أجمله في الأمر بالصلاة. كما انفردت السنة ببعض الأحكام مما لم يذكره القرآن مثل تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها ، وتحريم الحُرِّ الأهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير ، الا ان مثل هذه الأمور يمكن ان يقال بأنها ليست مستقلة استقلالاً تاماً عن القرآن حيث ان الأخذ بها مندرج تحت أمر القرآن باتباع الرسول وسنته ، وأخرج أبو داود والترمذي عن المقدم بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث عني فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه ، ألا وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله زاد أبو داود - الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه » والمماثلة للكتاب هي السنة .

ومن رياض السنة تفجرت ينابيع التفسير بالمأثور ، ومن رياض القرآن والسنة تكونت ثروة الفقه الاسلامي ، وهما أصل مصادر التشريع ، وهما ميزان العدل الالهي الصادق ، وعلى هديهما يستطيع المصلحون في كل وقت ان يقيسوا أعمال الأفراد والجماعات والأمم ، ولا يكون الاعتدال الكامل في الأخلاق والمعاملات والعبادات الا بالكتاب والسنة .

وقد توفي الرسول بعد أن ظل يعلم الناس بمكة والمدينة مركزى أشعاع الدعوة الى الدنيا ثلاثاً وعشرين سنة يقيم للناس معالم الدين على منهاج الحق بالكتاب والسنة ، وتوفى وهو مطمئن الى أنه تركهما لنا ميزان حق وصدق لن نضل ما تمسكنا بهما ، قال صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي - كتاب الله وسنتي » .



مسجد الإمام العلي في قرية خربك قرب سامراء

جمع السنة وتدوينها من عصر الصحابة إلى عصر البخاري

بعث الله في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويبعثه الرسول وتلاوته الكتاب والحكمة النبوية وهي السنة زكت نفوس وطهرت قلوب وعمرت صدور بالايان فأقبلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلمون الكتاب والحكمة وأزكى فيهم ذلك الاقبال قدوة حسنة متمثلة في الرسول وبلاغة نادرة متمثلة في الكتاب والسنة وذوق عربي أصيل في الصحابة حب اليهم الكتاب والحكمة ، وذاكرة واعية ضربوا بها المثل الأعلى في قوة الحفظ اسعفتهم بتسجيل ما يلقي عليهم من الرسول ووضعوه في صدورهم الأمانة التي طهرها الاسلام .

والقرآن يدفعهم ويوجههم الى العناية بالسنة واتباع الرسول ، والرسول يفسر ويشرع بالسنة وهم يحفظون . ومعلوم ان القرآن نزل في خلال ثلاثة وعشرين عاما فكان الرسول يبلغ الآيات ويفسرهما وتطبق عمليا وفي ذلك يقول أبو عبد الرحمن السلمي (١) : حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود - انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ... قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ونهج النبي معهم المنهج التربوي النبوي فكان يتخولهم بالموعة كراهة السأمة وفي ذلك تثبيت للمعلومات .

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٤ .

روى البخارى بالسند المتصل عن ابن مسعود قال كان النبی صلی الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا (١) .

والقرآن يدعوهم الى العلم « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » والسنة تدعوهم الى العلم روى البخار بالسند المتصل قال النبی صلی الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفهمه » وانما العلم بالتعلم « وفي رواية » من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، « ويأمرهم النبی بالتبليغ ويقول لهم بعد المقالة بعض الأحيان .

« هذا فليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه (٢) ودعا لمن أدى مقالته كما حفظها فقال : « نضر الله امرا سميع مقاتلي فحفظها ووعاها حتى يبلغها غيره » وقد التزموا أوامر رسولهم وتفانوا في الحرص على تبليغ العلم روى البخارى قال أبو ذر رضى الله عنه « لو وضعتكم الصمصامة « السيف » على هذه وأشار الى قفاه ثم ظننت انى أنفذ كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان تجيزوا على « تقطعوا رأسى » لأنذتها (٣) « وقال ابن عباس : « كونوا ربانيين حكماء فقهاء ، ويقال الرباني الذي يربى الناس بصغار العلم قبل كباره » وكان من عناية الصحابة بحديث النبی أنهم كان الواحد منهم اذا شغله عمل أرسل صاحبه الثقة ليخبره بما يقول الرسول فكانوا يتناوبون في السماع ويبلغ الشاهد الغائب ويسأل الغائب الشاهد وسطروا السنة على صفحات قلوبهم ووعوا كل ما سمعوا وما شهدوا وحرصوا على نشره وتبليغه وتعاون ثقات المجتمع الاسلامي من الصحابة في حياة الرسول وبعد وفاته على حراسة سنة نبیهم وهل يشق على الآلاف الثقات من الصحابة المخلصين حراسة تراث رجل واحد رأوا فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ؟ وعدتهم في ذلك ايمان عميق بنبيهم وبسمو سنته وذاكرتهم الواعية التي فاقوا فيها جميع الأمم وشعورهم الفياض بأن

١ - صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .

٢ - سورة الزمر الآية ٩ .

٣ - صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .

٤ - صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .

السنة هي سنة رسول رب العالمين ، فلو تخصص عشرة من الصحابة وحفظ كل واحد منهم في صدره ما يساوي كمية نصف القرآن الكريم الذي حفظوه لكانوا جديرين بحراستها فما بالك وقد جند لها آلاف الثقات الحفاظ أنفسهم ؟ .

هذا فضلا عن أن منهم من بدأ يكتب الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يكن التدوين عاما فقد كانت هناك صحائف خاصة . كان عبد الله بن عمرو رضى الله عنه كاتباً محسناً اشتهرت صحيفته التي دون فيها الحديث (بالصحيفة الصادقة) لأنه كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة فهي أصدق ما يروى عنه ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص لمجاهد هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيني وبينه أحد (١) وكانت عزيزة عليه للغاية حتى كان يقول ابن عسرو « ما يرغبني في الحياة الا الصادقة والوهط (٢) وكان لجابر بن عبد الله الانصارى صحيفة (٣) وكان لانس ابن مالك صحيفة كان يبرزها اذا اجتمع الناس (٤) واشتهر ابن عباس يطلب العلم ودأبه عليه وكان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يسأل الصحابة ويكتب عنهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا له كما في صحيح البخارى في باب العلم بالسند المتصل عن ابن عباس قال :

ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم علمه الكتاب وفي الكفاية (٥) اللهم علمه الحكمة وعلمه التأويل ولهام بن منبه صحيفة وتسمى الصحيفة الصحيحة وهو أحد أعلام التابعين رواها عن أبي هريرة (٦) ويقول الأستاذ الندوى أن تأليف هذه الصحيفة يرجع الى أواسط القرن الأول ، لأن أبا هريرة توفي سنة ٥٨ هجرية وهي من إماء

١ - المحدث الفاضل للرامهرمزي - تقييد العلم ص ٨٤ وجامع بيان العلم وفضله .

٢ - سنن الدارمي ج ١ ص ١٢٧ والوهط أرض لعمر بن العاص تصدق بها ووقفها

٣ - جامع بيان العلم ج ١ ص ٧٤ تدوين السنة ص ٣٤٨ .

٤ - تقييد العلم ص ٥

٥ - الكفاية ص ٢١٣ .

٦ - قال مؤلف السنة قبل التدوين ص ٣٥٦ قد وصلتنا صحيفة همام كاملة كما

دونها عن أبي هرير عشر عليها الدكتور محمد حميد الله في مخطوطتين متماثلتين .

أبى هريرة ويقرر الأستاذ أبو الحسن الندوى (١) متفقاً مع صاحب تدوين الحديث : العلامة مناظر أحسن الكيلانى (٢) رئيس القسم الدينى العلمى بالجامعة العثمانية بجيدر آباد بأنه اذا جمعت هذه الصحف والمجاميع وما أحتوت عليه من الأحاديث كونت العدد الأكبر من الأحاديث التى جمعت فى الجوامع والمسانيد والسنن فى القرن الثالث وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه وتسجيله من غير نظام وترتيب فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم وقد شاع فى الناس حتى المثقفين والمؤلفين أن الحديث لم يكتب ولم يسجل الا فى القرن الثالث الهجرى وأحسنهم حالاً من يرى انه قد كتب ودون فى القرن الثانى وما نشأ هذا الغلط الا عن طريقتين .

الأولى : ان عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر تدوين الحديث فى القرن الثانى ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كتبت فى القرن الأول لأن عامتها فقدت وضاعت مع أنها اندمجت وذابت فى المؤلفات المتأخرة .

الثانية : انهم لا يتصورون سعة هذه الصحف لكثرة الأحاديث الموجودة ويقول الكيلانى قد يتعجب الانسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية فيقال ان احمد بن حنبل كان يحفظ أكثر من سبعمائة ألف حديث وكذلك يقال عن أبى زرعة ويروى عن الإمام البخارى أنه كان يحفظ مائتى ألف من الأحاديث الضعيفة ومائة ألف من الأحاديث الصحيحة ويروى عن مسلم أنه قال جمعت كتابى من ثلاثمائة ألف حديث ولا يعرف كثير من المتعلمين فضلاً عن العامة أن الذى يكون هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد فحديث (انما الأعمال بالنيات ..)

١ - رجال الفكر والدعوة لآبى الحسن الندوى ص ٨٢ وهو عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ومن اعلام الهند .

٢ - تدوين الحديث للعلامة مناظر احسن الكيلانى « فى اللغة اردو » طبع المجلس العلمى بباكستان .

يروى من سبع مائة طريق فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الأحاديث : وقد صرح الحاكم أبو عبد الله الذى يعتبر من المتسامحين المتوسعين أن الأحاديث التى فى الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف .

ومعظم هذه الثروة الحديثية قد كتبت ودونت بأقلام رواة العصر الأول ، وقد يزيد ما حفظ فى الكتب والدفاتر كتابة وتحريرا فى العصر النبوى وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم على عشرة آلاف حديث اذا جمعت صحف ومجاميع أبى هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وانس بن مالك وجابر بن عبد الله وعلى بن ابى طالب وابن عباس رضى الله عنهم فيمكن أن يقال ان ما ثبت من الأحاديث الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتب ودون فى عصر النبوه وفى عصر الصحابة قبل ان يدون الموطأ والصحاح بكثير (١) اهـ . وهكذا تعاون الحفظ والتدوين على حفظ سنة النبى صلى الله عليه وسلم فى عصر الصحابة وعضوا عليها بالنواجذ وعرفوا قدرها ، ولا تغفل ما حصل من أمر الوضع فى الحديث منذ سنة أربعين من الهجرة بعد وقوع الفتنة وحرب الأمام على معاوية والخلافات سياسية ومذهبية والحادية .

ولكن من الطبيعى ان ذلك لا يصدر الا عن لا معرفة ولا عناية لهم بالسنة ولا ثقة للناس بهم ولا صحة لهم حقيقية مع الرسول . ومن يحاول تقليد شيء لا علم له به يكون أمره مفضوحا واهيا وماذا يفعلون أمام التيار الجارف من الحرص على السنة وقد أحسن الثقات بهم فحصرهم فى قوائم سوداء وحصرهم معهم الضعفاء هى قوائم الكذابين والوضاعين والضعفاء . وحصرهم أحاديثهم فى قوائم الموضوعات .

وقوبلت حركة الوضع الهزيلة من الذين لا عناية لهم بالسنة ولا معرفة لهم بها بحركة قوية جبارة من علماء السنة ووضعوا المقاييس الفريدة والمنهج القويم يساند ذلك الحق والالهام والذوق والملكة

(١) تدوين الحديث للعلامة مناظر احسن الكيلانى فى اللغة اردو طبع المجلس العلمى
بپاکستان .

ومعرفة أبطال السنة وحرصهم عليها فالتزموا الاسناد يقول محمد بن سيرين عن ذلك : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيأخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم (١) ويقول ابو العالية : « كنا نسمع الرواية بالبصرة عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمارضينا حتى رحلنا اليهم فسمعنا من أفواههم (٢) » ويقول عبد الله بن المبارك: الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء وعنه انه قال : بيننا وبين القوم القوائم يعنى الاسناد (٣) » ويقول سفيان الثوري : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ (٤) » ورحلوا من أجل الحديث « - يقول سعيد بن المسيب : « ان كنت لأسير الليالي والايام في طلب الحديث الواحد (٥) » ووضعوا قواعد الاسناد والمتن وقضوا على حركة الوضعيين .

ولا يعارض كتابة الحديث في عصر النبوة والصحابة ما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عنى غير القرآن ومن كتب عنى غير القرآن فليمحى، وحدثوا ولا حرج، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فان ذلك كان في بدء الدعوة حتى لا يختلط القرآن بالسنة ولم يستقر الاسلوب القرآنى بعد في النفوس ، أو كان ذلك النهى بالنسبة لكتاب الوحي خاصة حتى يتفرغوا لمهمة القرآن ، أو النهى كان خاصا لكتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة ، فإنه يدل على الكتابة ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال : لما فتح الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان الله حبس عن مكة الفيل

(١) مقدمة صحيح مسلم النووى ج ١ ص ٨٤ .

(٢) المحدث الفاضل ص ٢٠ .

(٣) الجامع لاخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٨ .

(٤) الكامل لابن عدى ج ٣ ص ٤ .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٩٤ .

وسلط عليها رسوله والمؤمنين فقام أبو شاه « رجل من اليمن » فقال :
 اكتبوا لى يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 اكتبوا لأبى شاه .. وما روى البخارى فى « كتاب العلم » عن ابن عباس
 قال : لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال : ائتونى بكتاب
 اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده « الحديث » وهكذا كان عصر الصحابة
 الذين شهدوا الوحى والتنزيل واختارهم الله لصحبة نبيه وجعلهم أعلاما
 وقدوة ونقى عنهم الشك والكذب والريية وسماهم عدول الأمة فقال
 عز ذكره فى محكم كتابه : « وكذلك (١) جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء
 على الناس » وفسر النبي صلى الله عليه وسلم وسطا — عدلا — (٢)
 فكانوا أئمة الهدى وحجج الدين ونقلة الكتاب والسنة والحراس عليها
 ومعهم التابعون اختارهم الله لاقامة دينه وفقهوا فيه فأخذوا السنة
 عن الصحابة . « والذين (٣) اتبعوهم بأحسان رضى الله عنهم ورضوا
 عنه » يقول ابن أبى حاتم (٤) : نذهبهم الله عز وجل لاثبات دينه واقامة
 سنته وسبيله المستقيم . فلم يكن لاشتغالنا بالتمييز بينهم معنى اذ كنا
 لا نجد منهم الا اماما مبرزا — مقدما فى الفضل والعلم وفى السنن
 واثباتها ولزوم الطريقة واحتذائها رحمة الله ومغفرته عليهم اجمعين —
 الا ما كان ممن الحق نفسه بهم ودسها بينهم ممن ليس يلحقهم ولا هو
 فى مثل حالهم لا فى فقه ولا حفظ ولا اتقان ولا تثبيت أ — ه .

على انه قبل أن ينقضى عصر الصحابة أمر الخليفة العادل عمر
 ابن عبد العزيز بتدوين الحديث فكان التدوين الرسمى بأمر الخليفة
 على رأس المائة حينما رأى اتساع الفتوحات الاسلامية واتشعار
 الصحابة فى الاقطار وموت اكثرهم .

روى البخارى فى كتاب العلم من صحيحه : وكتب عمر
 ابن عبد العزيز الى أبى بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

(٢) كما فى صحيح البخارى من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٠ .

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ص ٩ لابن أبى حاتم .

الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه . فأنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل الا حديث النبی صلى الله عليه وسلم ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم . فأن العلم لا يهلك حتى يكون سرا .
وابو بكر بن حزم عامله وقاضيه على المدينة .

وأوصاه (١) أن يكتب ما عند عمره بنت عبد الرحمن الأنصاري والقاسم بن محمد بن ابی بكر المتوفى (١٢٠) هـ .

وكذلك كتب الى عماله في امهات المدن الاسلامية بجمع الحديث فقد اخرج ابو نعيم في تاريخ اصبهان ان عمر بن عبد العزيز كتب الى أهل الآفاق : أنظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه .
وامر خليفة للمسلمين كعمر بن عبد العزيز كفيل بأن يشعل الهمم ويصادف القبول في النفوس المستعدة فتسرع للاستجابة لتنفيذ أمره على خير وجه وقد لبي الأمر الامام الكبير محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفى (١٢٤ هـ) وللزهري مكاتته وأمامته .

ثم شاع التدوين في الجيل انذى يلي جيل الزهري .

وكان أول من جمعه بمكة ابن جريج (١٥٠) وابن اسحاق (١٥١ هـ) ومالك (١٧٩) بالمدينة وسعيد بن أبی عروبة (١٥٦ هـ) والربيع ابن صبيح (١٦٠ هـ) وحماة بن سلمة (١٧٦) بالبصرة والكوفة سفيان الثوري (١٦١ هـ) وبالشام ابو عمرو الاوزاعي (١٥٦ هـ) وبواسط هشيم بن بشير (١٨٨ هـ) وشعبة بن الحجاج (١٦٠) وبخراسان ابن المبارك (١٨١ هـ) وباليمن معمر (١٥٣) وبالري جرير (١٧٥ هـ) وبمصر عبد الله بن وهب (١٩٧) .

وهؤلاء كانوا في عصر واحد لا يدرى ايهم اسبق في التدوين . ومنهجهم في التدوين جمع حديث رسول الله مختلطا بأقوال الصحابة، والتابعين مع ضم الابواب بعضها الى بعض ثم تلاهم كثير من أهل

عصرهم نسجا على منوالهم الى ان رأى بعض الأئمة ان يفرد حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خاصة على رأس المائتين فى أوائل القرن
الثالث فألفت المسانيد : ومنهج المسانيد ان يجمع احاديث كل صحابى
على جدة وان تعدد الموضوع .

ومن هذه المسانيد مسند عبيد الله بن موسى العيسى الكوفى
ومسند مسدد بن مسرهد البصرى واسد بن موسى الأموى ونعيم بن
حماد الخزاعى .

ثم اقتفى الأئمة أثرهم كالامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه
وهما من أساتذة الامام البخارى وكان منهج هؤلاء مزج الصحيح وهو
ما ثبت صحته بغيره .

ثم جاء أبو عبد الله البخارى ..



الباب الأول

نشأة - الإمام البخاري ومنهجه في حياته العلمية

نشأة (١) أبى عبد الله البخارى

نسبه: هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن «بردزبه»^(٢) الجعفى ولاء . البخارى مولدا شرف الله جده المغيرة بالاسلام على يد اليمان الجعفى والي بخارى فاتسمى اليه بولاء الاسلام وسرى منه الى ذريته جيلا بعد جيل ومنهم أمانا البخارى وبارك الله فى صلة المغيرة باليمان فكان حفيد اليمان عبد الله المسندى بن محمد بن جعفر بن اليمان شيخا لحفيد المغيرة، أمير المؤمنين فى الحديث **لم أبى عبد الله البخارى** كما كان أحمد بن أبى جعفر الجعفى والي بخارى راويا لأبى عبد الله البخارى ومن هنا نعلم مدى العلاقة الطيبة بين بيت الولاة الأطهار العلماء ببخارى وبيت أبى عبد الله البخارى .

مولد البخارى وأسرته

أراد الله لمدينة بخارى وهى من أعظم مدن ما وراء النهر « نهر جيحون » على بعد ثمانية أيام من سمرقند من بلاد فارس^(٣) أن يرفع ذكرها ويخلد اسمها وضاء فولد بها أبو عبد الله محمد بن اسماعيل يوم الجمعة^(٤) لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة

(١) تاريخ الخطيب البغدادى ج ٢ ص ٦ ، طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ج ٢ ص ٤ مقدمة فتح البارى لابن حجر ج ٢ ص ١٦٣ مقدمة شرح البخارى للنووى ج ١ ص ٤ ، تهذيب الاسماء واللغات للنووى ج ١ ص ٦٧ ، تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ١٧٢ سير اعلام النبلاء للذهبي ج ٢ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١٩٥ لباب الانساب ج ١ ص ٢٣١ تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٧ .

(٢) « بردزبه » فارسى معناه بالعربية الزراع « الفلاح او البستاني » .

(٣) وبخارى الآن تحت نفوذ الاتحاد السوفيتى بولاية ازبكيستان من المستعمرات الروسية فى آسيا الوسطى .

(٤) قال أبو يعلى الخليلي فى كتابه الارشاد على ما فى الوفيات أن ولادته كانت لاثنتى عشرة من شوال فى السنة المذكورة .

من الهجرة (١٩٤ هـ) في بيت مبارك عطره والده اسماعيل بالعلم والتقوى فقد كان من العلماء العاملين والنبلاء الورعين، خرج اسماعيل من وطنه حاجا قبل سنة (١٧٩ هـ) وتقابل مع امام المدينة مالك بن أنس ورأى حماد بن زيد وصالح عبد الله بن المبارك بكتلتا يديه (١) .

وحدث عن ابي معاوية بن صالح وجماعة وروى عنه أحمد بن حفص وغيره من العراقيين .

واذا كانت مكانة اسماعيل تسمو برواية الحديث وطلبه من منابعه الصافية منذ تتلمذ على أقطاب المحدثين وبتصدره شيخا محدثا يؤخذ عنه الحديث فإن هذا السمو يبلغ درجة عالية من الكمال حينما نعلم انه اتسم بأشرف الأوسمة اذ كان ثقة .. ترجم له ابن حبان في كتاب الثقات كما ترجم له ولده (٢) في التاريخ الكبير .

وهل الثقة الا لفظ موجز عتيق الدلالة ؟.. يضم في دائرته أجل الصفات وأعظمها غريزية ومكتسبة من ذكاء لمّاح وحفظ تام الى عدالة كاملة وامانة عالية. وقد بلغ اسماعيل درجة في الورع تدعو الى الاجلال والاكبار ، اذ كان يتعد عن الشبهات . أنعم الله عليه بشروة طائلة طهرها حتى من الشبهات واستثمرها في الخيرات فكان قرير العين عند الممات روى عنه احمد بن حفص قال: دخلت عليه عند موته فقال : «لا أعلم في جميع ما لي درهما من شبهة» فتصاغرت الى نفسى (٣) بعد ذلك ، واستقبل منزل الحديث والتقوى والثراء العريض محمد بن اسماعيل وقرت به عين والديه - طفلا صغيرا ثم ما لبث الوالد ان توفي وترك ابنه محمدا في مرحلة الطفولة مع أمه التقيّة (٤) النابهة تحبوه بعطفها وتركز فيه آمالها .

١ - رواية من البخارى في سير أعلام النبلاء ٢ - ٨ ص ٢٣٤ مخطوط .

٢ - تاريخ البخارى ج ١ قسم ص ٣٤٣ - ٣٤٤ طبع الهند ١٣٧٠ هـ .

٣ - سير أعلام النبلاء ص ٢٣٤ وطبقات ابن السبكي الكبرى ج ٢ ص ٣ وغيرها من المراجع المتقدمة .

٤ - انظر الخطيب البغدادي ٢ - ١٠ ذكرها غنجار في تاريخ بخارى واللائكاني في شرح

والى أى وجهة تتجه به غير نهج والده الذى ترك لها مع ثراء المال
ثراء العلم يفوح اريجيه فى ارجاء البيت مثلاً تطبيقية زاكية كما تركه
مسطوراً فى كتبه الجامعة ذخيرة هادية .

فلتتجه به الى التعليم لينتفع بكتب والده ويسير على نهجه عله
يحىي سيرته وذكره فالولد سر ابيه فوجهته الى الكتاب ليدرس مع
اقرانه الكتابة والقراءة والقرآن الكريم والحديث الشريف .
نبوغه العلمى المبكر :

وما ان شب الوليد وبلغ العاشرة حتى ظهرت مخايل الذكاء والنجابة
فيه بصورة واضحة نادرة فى هذا الوقت المبكر من سنى حياته فى المكتب
سنة ٢٠٥ هـ ويسره الله الى ما خلق له .

فألهمه حفظ الحديث على حد تعبيره الدقيق يحدث محمد بن ابي
حاتم الوراق النحوى قال : قلت لأبى عبد الله محمد بن اسماعيل
البخارى : كيف كان بدء أمرك فى طلب الحديث ؟ .

قال : الهمت حفظ الحديث وانا فى الكتاب قال : كم اتى عليك
اذ ذاك ؟ قال : عشر سنين أو أقل (١) .

ويلاحظ ان هذا النبوغ المبكر والنمو العلمى الجارف فى الحديث
كان الصفة السائدة « على حد تعبير علماء النفس » التى برزت فى حياة
البخارى منذ النشأة الاولى .. فأعيت الباحثين فى حياة البخارى عن
التقديم لحياته العلمية بمتدمات ضافية فى تربيته وخلاله قبل اكتمال
عوده وهو غلام على حد تعبير الداخلى حتى يجد حياته العلمية مشرقة
فيه . تجبر الباحث على الاهتمام بها والسير فى مضمارها . مراحل
متسلسلة مترابطة باهرة السابقة مقدمة لللاحقة .

السنة من اصحاب الكرامات فى باب كرامة الاولياء دعت لابنها البخارى فرد الله
عليه بصره بعد ان ذهب وفى البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٥ لابن كثير ذكر انه عمى
فى صغره فوات والدته سيدنا ابراهيم عليه السلام فى المنام فقال لها : يا هذه قد
رد الله على ابنك بصره لكثرة بكائك أو لكثرة دعائك وفى طبقات الشافعية للسبكي
ج ٢ ص ٣ . فأصبح وقد رد الله عليه بصره .
١ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ٦ .

فهو حينما يبلغ سن الحادية عشرة تكبر همته فلا يسعها رحاب الكتاب فيطلب لها افقا أوسع وأرحب ، جغرافيته ووطنه .

يتردد على أئمة الحديث اينما وجدوا في دائرة وطنه لينهل من مواردهم حاملا عقلا نقاداً وذاكرة واعية وخلقا كريما وعرف نفسه فاكسب بذلك ثقة دفعته الى أن يقف وهو ملء السمع والبصر بقوته العلمية المبكرة يصحح ما يخطئ فيه استاذ من عمالقه الحديث وهو استاذة الداخلي ويدخل معه في مناقشة علمية بريئة تهدف الى الحق وتنتهي بتسليم استاذة الداخلي له وكتابة ما ارشده البخارى الى تصحيحه . ويحدثنا البخارى رضى الله عنه عن هذه المرحلة : « ثم خرجت من الكتاب بعد العشر اختلف الى الداخلي وغيره فقال يومافما كان يقرأ على الناس : « سفيان عن أبى الزبير « المكى » عن ابراهيم « النخعي » فقلت له : يا ابا فلان ان ابا الزبير لم يرو عن ابراهيم فاتنهرنى فقلت له : ارجع الى الاصل ان كان عندك . فدخل ونظر فيه ثم خرج فقال : كيف هو يا غلام ؟ فقلت : هو الزبير بن عدى عن ابراهيم فأخذ القلم منى واحكم كتابه فقال : صدقت فقال : له بعض اصحابه ابن كم كنت اذ رددت عليه ؟

فقال : ابن احدى عشرة (١) .

واستمر البخارى حركة دائبة فى تلقى الحديث من أهل بلده فسمع من محمد ابن سلام البيكندى وعبد الله بن محمد المسندى (٢) وابراهيم ابن الأشعث ومحمد بن يوسف البيكندى .

أفادته من كتب والده

وتحققت أمنية أمه فكانت كتب والده مربية له وعونا . اقبل عليها دراسة وتمحيصا ومراجعة يقول ابو بكر بن منير : سمعت محمد بن

١ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ٦ وغيره من المراجع السابقة . الطبقات الكبرى لابن السبكي ج ٢ ص ٤ .

٢ - الطبقات ج ٢ ص ٢ . تاريخ بغداد ج ٢ ص ٦ . وقيل المسندى لانه كان يطلب المسند من حديثه .

اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي يقول : كنت عند أبي حفص احمد بن حفص اسمع كتاب الجامع - جامع سفيان - في كتاب والدي فمر ابو حفص على حرف لم يكن عندي فراجعته فقال الثانية كذلك فراجعته الثانية فقال كذلك فراجعته الثالثة فسكت سوية ثم قال: من هذا ؟.

قالوا: هذا محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن بردزبة فقال أبو حفص: هو كما قال احفظوا عنه فان هذا يوما يصير رجلا .

وظل يحفظ الكتب ويناقش اساتذته وتظهر عبقريته والهامه حتى امتلأت الأسماع بذكره وتعجب منه مشايخه .

الغلام العالم ومنهجه الدراسي

واصبح الغلام عالما فذا تهابه الشيوخ ويتندرون بذكره .. جمع ما عندهم جميعا من الأحاديث وعنى بالاسناد فعرف الرجال ومولدهم وتاريخ وفاتهم ومسالكهم وشيوخهم حتى أدرك حقيقة ارتباط الرجال بالأحوال والسند والمتن فأصبح لا يشتبه عليه شيء ، وبهذا فاضلوا بينه وبين شيوخه فقال (١) جعفر بن محمد المستغفرى في تاريخ نسب وذكر البخارى «لو جاز لى لفضله على من بقى من مشايخه» وروى عن شيخه محمد بن سلام البيكندى قوله فى محمد بن اسماعيل: «كلما دخل على هذا الصبى تحيرت والتبس على أمر الحديث ولا أزال خائفا (٢) » .

ويقول سليم بن مجاهد: كنت عند محمد بن سلام البيكندى فقال: لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث فخرجت حتى لحقته فقلت له أنت تحفظ سبعين ألف حديث ؟

قال : نعم وأكثر ولا أجئك بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومسالكهم ولست أروى حديثا من حديث

١ - الطبقات ج ٢ ص ٢ .

٢ - الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٨٠ .

الصحابة والتابعين الأولي من ذلك أصل أحفظه حفظا من الكتاب أو السنة (١) .

وفي هذا النص يتجلى لنا منهجه الدراسى فى الحديث وهو العناية بالسند وأحواله والمتن وأصوله وهو حينما يروى الموقوف (المروى عن الصحابى) أو المقطوع (الموقوف على التابعى) فله فى ذلك المعنى المروى أصل من كتاب الله أو من السنة الصحيحة المسندة ولهذا المنهج فى الدراسة والرواية الذى لا يتيسر إلا لمن وهبه الله الاستعداد والالهام . كانت الثقة فى مرويات البخارى متوفرة مسندة ، او موقوفة أو مقطوعة فهو رجل الحديث والقرآن والمنهج الفريد منذ نعومة اظفاره .

وفى كل يوم يزداد فتنى بخارى علما ويزداد تقدير مشايخه له يتنبئون له بالمستقبل الزاهر كل ذلك ولم يبلغ السادسة عشرة سنة ، فلما بلغها حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وهما المحدثان المشهوران بمكاتهما العلمية .

رحلته فى طلب العلم

كان من الممكن ان يكون البخارى من أئمة الحديث كغيره من الأفاض الذين اقتصروا على ما جمعوه من أمصارهم وهو مجهود لا يستهان به وثروة مطمئنة وشرف عظيم .

لكنه رأى فى نفسه نهما علميا لا حد له يزيكه استعداد فطرى منقطع النظير ، وروح دينية عالية . وتوجيه من أم صالحة تربت فى بيت كريم - واتمء الى محدث ثقة نقى وفوق كل ذلك الهام الله وعنايته الذى هداه الصراط المستقيم فطار على أجنحة همة عالية يطوف فى أرجاء الدنيا طالبا للحديث ورجاله . وبدأ الرحلة المباركة بمكة المكرمة مهبط الوحي ومنبت الرسالة وفى موسم الحج .. لتأدية فريضة الحج أخذ معه المريية الفاضلة أمه .. وأخاه أحمد الذى يكبره سنا .. وكان

١ - الطبقات ج ٢ ص ٨ لابن السبكي .

ذلك سنة ٢١٦ هـ وعمره ستة عشرة سنة ومعنى ذلك أنه خرج في نفس السنة التي حفظ فيها كتب ابن المبارك ووكيع ..

يقول : «البخاري (١) خرجت مع أمي وأخي أحمد الى مكة فلما حججت رجع بها أخي وتخلفت في طلب الحديث» وهناك سمع على أئمة مكة أمثال أبي الوليد أحمد بن محمد الأزرقى واسماعيل بن سالم الصايغ .

ثم رحل الى المدينة المنورة دار الهجرة ومثوى صاحب الرسالة ومشرق النور . ليزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويجمع العلم من أهله .

أحفاد الصحابة الذين حرسوا السنة وسلموها الى أولادهم التابعين وتوارثوها جيلا جيلا وطبقوها عمليا فأصبح علمهم الاجماعى حجة عند امام دارهم الطيبة المحدث الامام مالك بن انس رضى الله عنه الذى ترك للاسلام فيخيرة ضافية من الحديث وفقهه .

مبدأ تأليف الامام البخارى

وفى جوار الرسول فى رحاب المسجد النبوى بين القبر والمنبر حيث الروحانية الصافية أفاض الله على البخارى فكان دخوله عند قبر صاحب السنة دخولا فى دور جديد مبارك هو بدء حياته التأليفية . فصنف قضايا الصحابة والتابعين واقاويلهم ثم صنف التاريخ الكبير جمع فيه بين الثقات والضعفاء من رواة الحديث يقول البخارى : « فلما طعنت فى ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنف التاريخ فى المدينة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وكتبته فى الليالى المقمرة وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت أن يطول الكتاب » (٢) .

١ - مقدمة هدى السارى ج ٢ ص ١٩٣ بن حجر .

٢ - تاريخ بغداد ج ٢ - ٧ تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٢٢ .

وأن تأليفه للكتابين المذكورين ليعطى لنا صورة مجلوة المعالم
وضاءة المحيا على مدى معرفة البخارى لرجال الحديث وأحوالهم كأنه
شهد القوم على حد تعبير أستاذه المحدث اسحاق بن راهويه .

ويبين لنا قيمة التاريخ وأثره العلمى : ما قاله أبو احمد الحاكم
الكبير : وكتاب (١) محمد بن اسماعيل فى التاريخ كتاب لم يسبق اليه
ومن الف بعده شيئا فى التاريخ أو الاسماء أو الكنى لم يستغن عنه
فمنهم من نسبه الى نفسه مثل ابى زرعة وابى حاتم ومسلم ومنهم من
حكاه عنه (٢) فالله يرحمه فانه الذى أصل الأصول ؟ ويقول أبو سهل
محمود الشافعى: سمعت أكثر من ثلاثين عالما من علماء مصر يقولون
حاجتنا فى الدنيا النظر فى تاريخ محمد بن اسماعيل وهو الكتاب الذى
سماه اسحاق بن راهويه سحرا .

واذا كانت طلائع تأليف البخارى لها هذه المكانة من تأصيل
الأصول فانها من غير شك تضى الثقة على ما يتلوها من مؤلفات كانت
هذه الطلائع بمنزلة المقدمة لها .

ومكث بالمدينة سنة (٣) . ثم واصل الرحلة فى عصر لم تظهر فيه
المواصلات السريعة فتراه يرحل على ظهر المطى من بلد الى آخر طالبا
لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم باحثا عن رجاله أينما كانوا
تحلق به قوة علوية فى سماوات أرجاء العالم الاسلامى المتسع الرقعة فى
ذلك العصر . راويا وحافظا . ومصنفا ومحدثا راجيا من الله ان يضع
له البركة والقبول للمسلمين فى مصنفاته، فرحل الى البصرة ليسمع
الحديث ويصنف وتردد منها على مكة أيام الحج والتقى فى مواسمه
بمحدثى الأمصار الاسلامية وكانت اقامته بالبصرة خمس سنين .

يقول : « وأقمت بالبصرة خمس سنين مع كنى أصنف واحج
وارجع من مكة الى البصرة وانا ارجو الله ان يبارك للمسلمين فى هذه

١ - الطبقات ج ٢ ص ١٠ .

٢ - سير الاعلام النبلاء للذهبي ج ٢ ص ٨ مخطوط بدار الكتب المصرية .

٣ - الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠ مقدمة الفتح ج ٢ ص ١٩٤ تاريخ بغداد .

المصنفات» ويقول «دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين والى البصرة أربع مرات واقمت بالحجاز ستة أعوام ولا احصى كم دخلت الكوفة وبغداد مع المحدثين»

فالبخارى رحالة الحديث تجذبه السنة بما لها من تأثير وحيثما كانت اتجه البخارى ووضع رحاله واستوطن حتى حصلها . والمدن كلها فى نظره سواء قربت أم بعدت .

مكة .. المدينة .. الشام .. بغداد .. واسط .. البصرة .
الكوفة .. مصر .. بخارى .. مرو .. هراء .. نيسابور (١)
قيسارية .. عسقلان .. حمص .. خراسان .. الجبال ..
وكان يكفى لشد الرحال الى بلدة مجرد وجود محدث فيها وليس له مقصد غير تحصيله الحديث .

أدرك عبد الرزاق وأراد أن يرحل اليه وكان يمكنه ذلك فقليل له :
انه قد مات فتأخر عن التوجه الى اليمن (٢) .

ازاء هذا المجهود الضخم فى الرحلات الواسعة لا نستغرب قوله :
« كتبت عن الف وثمانين نفسا ليس فيهم الا صاحب حديث (٣) وقوله :
كتبت عن الف شيخ او اكثر ما عندى حديث لا اذكر اسناده .

فالبخارى فى حله وترحاله رجل الحديث وباحثه الذى حصر انظار العلماء عليه وملئت مجالس شيوخه فى كل مكان بالتقدير والتكريم له .

يقول أبو سهل محمود بن النصر : دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة . ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوه على أنفسهم (٤) . وبهذا المجهود الضخم فى رحلاته كانت الثقة به . فلا غرابة أن تكون مروياته لها مكاتنها والوثوق بها ، فعلى من كان يتلقى الحديث ؟

١ - شرح البخارى للنووى ص ٦ . الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٣ .

٢ - المقدمة لابن حجر ج ٢ ص ١٩٣ .

٣ - شرح النووى للبخارى ص ٧ ج ١ والخطيب البغدادي ج ٢ ص ١٠ .

٤ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩ .

شيوخ البخارى

طَوَّف البخارى فى آفاق المعمورة . باحثا عن ائمة الحديث الهداة
وهم كثرة وفيرة تلقى عنهم فأصبحوا شيوخه .

وقد وضع لنفسه نهجا فى اختياره لشيوخه فلا يأخذ الا عن الثقات
يقول : كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندي حديث
لا أذكر اسناده (١) .

ومن أجل ذلك كان اهتمامه البالغ بمعرفة حال الرواة وكيفية تلقيهم
للحديث حتى يطمئن الى أخذه عنهم .

يقول (٢) : لم يكن كتابتى للحديث كما كتب هؤلاء .

كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبته وحمل
الحديث ان كان الرجل فهما ، فان لم يكن ، سألته أن يخرج الى أصله
ونسخته ، أما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون (٣) .

ونشأ عن اهتمامه بالثقات ترك كل من فيه نظر مهما كان عنده من
كثرة فى الحديث ، يقول محمد بن أبى حاتم :

سئل محمد بن اسماعيل عن خبر حديث فقال :

« يا أبا فلان أترانى أدلس ؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل
فيه نظره وتركت مثله أو أكثر لغيره لى فيه نظر » (٤) .

ويرأى من النص أن البخارى كان يترك احاديث من لم يكن
محل ثقة كاملة فى نظر المحدثين . وابتعد من ذلك فإن له نظره التى
يزن بها شيوخه المحدثين فمن لم يكن راجحا ثبتا تركه وحديثه ولا اعتبار
به عنده .

١ - مقدمة شرح البخارى للنووى ص ٨ ج ١ .

٢ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٥ .

٣ - سير اعلام النبلاء مخطوط ج ٨ ص ٢٣٨ .

٤ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٥ .

ولا يعارض ذلك ما روى انه يحفظ احاديث غير صحيحة فإنه يحفظها كما يحفظ اسماء الضعفاء من الرجال لتجنبهم وهذه طريقة المحدثين في تصفية ثروتهم من الشوائب بمعرفة غثها . لتركه، وحراسة كريمها منه .

ويستوثق في التحرى من الرواة بما لم يسبق اليه فلا يكتب الا عن الورع الذى يقول الايمان قول وعمل ، يقول :

لقيت اكثر من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر وخراسان الى ان قال : ما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء (١).

« ان الدين قول وعمل وان القرآن كلام الله » وهذا المنهج في التحرى في رجال الإسناد هو المنهج العام في كل روايات البخارى في جامعه الصحيح وغيره من مصنفاته واذا كان شيوخ البخارى بلغوا كثرة فانه أشار اليها في وقت ما بأنها بلغت أزيد من الألف ثقة كما ورد في النص . فالاستيعاب لمشايعه امر يطول ويصعب فيكفى ان اذكر نماذج حية من كبار شيوخه الذين تقدم سماعهم وعلا اسنادهم ليستدل بهم على اعالي اسناده كما ذكره الحاكم النيسابورى .

فمن سمع منه البخارى رحمه الله .

بمكة :

أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرقى وعبد الله بن يزيد المقرئ واسماعيل بن سالم الصائغ وأبو بكر الحميدى عبد الله بن الزبير القرشى الأسدى أجل اصحاب الشافعى ، وأقرانهم . بالمدينة :

ابراهيم بن المنذر الحزامى ومطرف بن عبد الله بن حمزة وأبو ثابت محمد بن عبد الله وعبد العزيز بن عبد الله الاويسى ويحيى بن قرعة وأقرانهم .

١ - المقدسى فى كتابه الكمال فى اسماء الرجال ج ١ ص ٨٢ سير اعلام النبلاء ٨/٢ ص ٢٣٥ مخطوط وشرح البخارى للنووى ص ٦ وتهذيب الاسماء واللغات ص ٧١ للنووى .

وبالشام : محمد بن يوسف الفريابي من أوائل من صنف على
المسانيد وابو نصر اسحاق بن ابراهيم ، وآدم بن ابي الياس وابواليمان
ابن نافع (١) وحيوه بن شريح وخطاب بن عثمان وسليمان بن
عبد الرحمن ، وابو المغيرة عبد القدوس واقرانهم .

وببخارى :

محمد بن سلام البيكندي ومحمد بن يوسف وعبد الله بن محمد
المسندى وهارون بن الأشعث واقرانهم .

وبمرو :

على بن الحسن بن شقيق وعبدان بن عبد الله بن عثمان ومحمد
ابن مقاتل وعبد بن الحكيم ومحمد بن يحيى الصائغ وحبان بن موسى
واقرانهم .

وببلخ :

مكي بن ابراهيم ويحيى بن بشر ومحمد بن أبان والحسن بن
شجاع ويحيى بن موسى وقتيبة بن سعيد واقرانهم وقد اكثر بها .

ومن هراه :

احمد بن الوليد الحنفى .

ومن نيسابور :

يحيى بن يحيى التميمي وبشر بن الحكم واسحاق بن ابراهيم
الحنظلى « ابن راهويه » ومحمد بن رافع واحمد بن حفص ومحمد
ابن يحيى الذهلى واقرانهم .

ومن أهل الرى :

ابراهيم بن موسى .

ومن بغداد :

محمد بن عيسى الطباع ومحمد بن سابق وسريح واحمد بن حنبل
وأبو بكر بن الاسود واسماعيل بن الخليل وأبو مسلم عبد الرحمن
ابن ابي يونس والمستملى واقرانهم :

ومن واسط :

حسان بن عبد الله وسعيد بن عبد الله بن سليمان واقرانهم .

وبالبصرة :

أبو عاصم النبيل وحسان بن حسان وصفوان بن عيسى وبدل
ابن المحرب وحرمى بن حفص و (عفان) بن مسلم ومحمد عرعر
وسليمان بن حرب وأبو حذيفة النهدي وأبو الوليد الطيالسي وعارم
(محمد بن الفضل) ومحمد بن سنان واقرانهم .

وبالكوفة :

عبيد الله بن موسى وأبو نعيم واحمد بن يعقوب واسماعيل بن إبان
والحسن بن الربيع وخالد بن مخلد وسعد بن حفص وطلق بن غنام
وعمر بن حفص ، وعروة بن ابي المغراء وقبيصة بن عقبة وأبو غسان
واقرانهم .

وبمصر :

عثمان بن صالح وسعيد بن ابي مريم وعبد الله بن صالح واحمد
ابن صالح واحمد بن شبيب واصبغ بن الفرج وسعيد بن عيسى وسعيد
ابن كثير بن عفير ويحيى بن عبد الله بن بكير وأقرانهم .

وبالجزيرة :

احمد بن عبد الملك الحراني واحمد بن (يزيد) الحراني وعمرو
ابن خلف واسماعيل بن عبد الله الرقي واقرانهم .

قال الحاكم :

فقد دخل البخارى رحمه الله هذه البلاد المذكورة فى طلب العلم
واقام فى كل مدينة منها على مشايخها، وانما سميت من كل ناحية من
المتقدمين ليستدل على عالى اسناده وبالله التوفيق .

اذكر ذلك وأن كان قد عقب عليه ابن السبكى باستدراكه على
بعض الاسماء الا إن ذلك لم يرق الى رتبة الترجيع فبقى المعنى الذى
يريده الحاكم من كثرة شيوخه على اسنادهم .

طبقات شيوخ البخارى

استقبل إمامنا البخارى حياته العلمية الزاهرة فى مقتبل القرن الثالث
الهجرى وكان استقبالا حارا جارفا فحصل حديث أهل بلده وحفظه .
وعرف كلام أهل الرأى .

وابتدأ الرحلة المباركة سنة ٢١٠ هـ يافعا فى مكاتته العلمية، كان
بين نهضته فى اشتغاله بالحديث وبين وفاة صاحب الحديث صلى الله
عليه وسلم الذى توفى سنة ١١ هـ قرنان من الزمان هذا بالنسبة للمقياس
الزمنى .

أما بالنسبة لمقياس طبقات رجال الحديث فالبخارى من أتباع أتباع
التابعين بينه وبين صاحب الهداية والسنة ثلاثة رجال فقط فى اسناده
العالى كما فى (ثلاثيات البخارى) وهذه المسافة قصيرة للغاية . بالنسبة
للمثقافة الانسانية وتاريخها ونظرياتها، ويعبر المؤرخون عن مثل هذه
المسافة حينما يوجدون على طرفها :

« بالتاريخ الحديث » وفى عصرنا الحالى يدرس من الثقافات
ونصوصها ما يضرب فى أعماق الزمن قبل الرسالة المحمدية بعشرات
السنين . بل اتنا نسلم بحقائق بشرية كتعليمات مسلمة لاشية فيها منذ
عشرات السنين قبل الميلاد كأقوال (أنيكسمندر) وسقراط وأرسطو
وغيرهم ، رغم أننا لم نعرف سندها وأحوال نقلها وظروفهم . فما بالك
إذا كانت المسافة الزمنية قصيرة . وكانت ثقافة وصى يوحى وسعادة دنيا

وأخرى وحملتها أصحاب القرون الأولى الخيرة الذين جندوا أنفسهم لحفظ السنة .

ومنهم من قصر حياته على أحيائها وقبض الله لها العدول الذين ينفون عنها تحريف الغالين وخبث الوضاعين فظلت ناضرة بحيويتها التي لبستها يوم أن خرجت من فم صاحب الرسالة ، حفظها الصحابة وأسلموها للتابعين فأدوها بدورهم لأتباع التابعين وأتباع التابعين وطبقات مثالية حارسة للسنة وكلما تقدم الاسناد علا .. وأعلا أسناد البخارى .

كما أشرت لذلك ثلاثياته التي فيها بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة رجال ، فالمحدثون للبخارى أتباع التابعين الذين بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم التابعون فالصحابة مباشرة الذين تلقوا السنة عن الرسول المتلقى عن النوحى الذى لا ينطق عن الهوى .

فما على البخارى الا ان يتعرف بنظرته الثاقبة الصادقة ثقة شيخه ودقته ويتعرف من شيخه أحوال من أخذ عنه شيخه من التابعين الذين أخذوا عن الصحابة المعدلين بالقرآن :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود » . والذين قال الرسول فيهم :

« أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وهم طليعة القرون الخيرة . ينص حديث الرسول خير القرون قرنى . ثم الذين يلونهم » الخ . سيرتهم ناصعة كالصباح . وسيماهم في وجوههم من أثر الصلاح فهذا الاسناد العالى للبخارى يسكب في نفوسنا تأكيدا للثقة برواية السنة عند البخارى في هذه الطبقة وفي غيرها من الطبقات التالية لأن البخارى كما يأخذ عن هذه الطبقة يسترشد بها عن السنة وأماكنها ورجالها الحافظين لها الموثوق بهم من بعد هذه الطبقة من طبقات شيوخه ..

فلو فرض فرضا أن السنة لم تدون الا في عصر درة... المحدثين.
«البخارى»

لما كان هناك ما يدعو الى القلق والقول بتأخر تدوين السنة ،
كما يدعى بعض المتجنيين ومقلدوهم فضلا عن أنها دونت في عصر الرسول
صلى الله عليه وسلم والخلفاء تدوينا فرديا وحفظت الحفظ اللاحق بها.
كوحى الهى فى اذهان سيالة مؤمنة وجند آلاف الابطال أنفسهم لحفظ
السنة التى جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن الله جل شأنه
ثم كان التدوين الرسمى بأمر خليفة المسلمين (عمر بن عبد العزيز) على
رأس المائة الثانية قبل ان يجفف الزمن الدماء الزكية للصحابة الذين
شهدوا الوحى وقد وضعت السنة فى إطار مكين فى كل زمن فوضعوا
لها القواعد الدقيقة وفتشوا عن تاريخ الرواة وبلادهم ومذاهبهم وقربهم
من مشايخهم وطرق أدائهم ومدى حفظهم وثقتهم وبذلك حصروا الدخلاء
والوضاعين والمغفلين فى قائمة سوداء ومعهم ما جاءوا به من بضاعة غثة
وسارت السنة متدفقة صافية بفضل منهجهم الفريد الذى لم تعرفه
الانسانية فى تاريخ أرقى مراحل تقدمها والسر فى ذلك « أن السنة بعد
القرآن هى أعلى وأسمى ما عرفته البشرية فكانت جديرة بهذه العناية
التى هدى الله لها عباده حفظا نلسنة الحارسة لكتابه المينة له تحقيقا
لوعده الحق » :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١) .

فمن السنة البيان الذى تكفل الله به لنبيه « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه
ثم ان علينا بيانه » .

وقد رتب النووى طبقات شيوخ البخارى فى مقدمة شرح البخارى
نقلا عن أبى الفضل المقدسى خمس طبقات .
الطبقة الأولى :

من حدثه عن التابعين

منهم محمد بن عبد الله الانصارى حدث البخارى عنه عن حميد
التابعى عن أنس الصحابى (١) رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم ومنهم مكى بن ابراهيم وأبو عاصم النبيل حدث عنهما عن يزيد
ابن أبى عبيد التابعى عن سلمة بن الأكوع (الصحابى) عن الرسول صلى
الله عليه وسلم ومنهم عبيد الله بن موسى حدث عنه عن هشام بن عروة
واسماعيل بن خالد وهما تابعيان وحدث عن أبى نعيم عن الأعمش
التابعى ومنهم على بن عياش حدث عنه عن جرير بن عثمان (تابعى) .
عن عبد الله بن بسر الصحابى . فهؤلاء وأشباهم الطبقة الأولى .

كأن البخارى سمع مالكا والثورى وشعبة وغيرهم فأنهم حدثوا
عن هؤلاء وعن طبقتهم .

الطبقة الثانية :

قوم حدثوا عن ائمة حدثوا عن التابعين وهم شيوخه الذين روى
عنهم عن ابن جريج ومالك وابن أبى ذئب وأبى عيينه بالحجاز . وشعبة
والأوزاعى وطبقتهما بالشام .

والثورى وشعبة وحماة وابى عوانة وهمام بالعراق والليث ويعقوب
ابن عبد الرحمن بمصر وفى هذه الطبقة كثرة .

الطبقة الثالثة :

قوم حدثوا عن قوم أدرك زمانهم وأمكنه لقيتهم ولكن لم يسمعهم
كيزيد بن هارون وعبد الرزاق .

الطبقة الرابعة :

قوم فى عداد طبقتهم حدث عنهم عن مشايخه كابى حاتم ومحمد بن
إدريس الرازى .

١ - مقدمة النووى ج ٢ ص ٩ وقد نقل المبنى تقسيم ابن طاهر وأن لم ينسبه اليه
ومنون للمسألة بقوله : جملة من حدث منه البخارى فى صحيحه .

الطبقة الخامسة :

قوم حدث عنهم وهم أصغر منه في الاسناد والسن والوفاة والمعرفة منهم عبد الله بن حماد الايلي وحسين القبانى وغيرهما .

وقد روى عنهم أشياء يسيرة وعمل في الرواية عنهم بما روى عن عثمان ابن ابي شيبة عن وكيع قال :

لا يكون الرجل عالما حتى يحدث عن هو فوّه وعمن هو قبله وعمن هو دونه واتخذ البخارى منهجا له في تلقى الحديث ونادى به فعن البخارى انه قال :

لا يكون المحدث كاملا حتى يحدث ويكتب عن هو فوّه وعمن هو مثله وعمن هو دونه، وعلى ذلك درج البخارى .

ثمرة تفصيل الطبقات

ان ثمرة تفصيل الطبقات هي عدم وقوع الابهام والالتباس على من لا معرفة له اذا حدث البخارى بالاسناد عاليا تارة ونازلا تارة حتى يفهم ان الاسناد العالى قد حذف منه أو أن الاسناد النازل قد زيد فيه . وقد بين ابن طاهر ذلك بقوله : لئلا يظن من لا معرفة له اذا حدث البخارى مثالا (١) .

عن مكى ، عن يزيد بن ابي عبيد ، عن سلمة .

ثم حدث في موضع آخر عن قتيبة عن بكر بن مضر عن عمرو بن الحارس عن بكير بن عبد الله الأشج عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة .

ان الاسناد الأول سقط منه شيء وعلى هذا سائر الأحاديث اذ لو لم يعرف ذلك لوقع الالتباس في كثير من الأحاديث على من لا معرفة له .

فقد كان من نهج البخارى رحمه الله . أن يحدث بالحديث في موضع نازلا وفي موضع عاليا .

فقد حدث في مواضع كثيرة جدا عن رجل عن مالك وحدث في موضع .

عن عبد الله بن محمد المسندى عن معاوية بن عمرو .

عن اسحاق الفزاري ، عن مالك .

وحدث في مواضع عن رجل عن الثوري وحدث في موضع عن ثلاثة عنه .

فحدث عن أحمد بن عمر عن أبي النضر عبيد الله الأشجعي عن الثوري .

وأعجب من هذا كله أن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى أصغر من مالك وسفيان وشعبة ومتأخر الوفاة .

وحدث البخاري عن جماعة من أصحابه عنه وتأخرت وفاتهم ثم حدث عن سعيد بن مروان عن محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة عن أبي صالح سلمويه عن عبد الله بن المبارك .

فقس على ذلك .

وقد حدث البخاري عن قوم خارج الصحيح وحدث عن رجل عنهم في الصحيح .

منهم أحمد بن منيع وداود بن الرشيد . وحدث عن قوم في الصحيح وحدث عن آخرين عنهم . منهم أبو نعيم وأبو عاصم وأحمد بن صالح وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وفيهم كثرة .

ويتجلى لنا في هذا العرض عناية البخاري بالسماع من شيوخه ومدى ما بذله من جهد في لقاءهم والأخذ عنهم وعنايته الفائقة بتلقي الحديث فجزاه الله خير الجزاء .

تراجم بعض شيوخ البخارى

لقد كان البخارى مكثرا فى شيوخه الى درجة تدعو الى صعوبة حصرهم . وقد كان لا يروى كما تقدم الا عن ثقات الشيوخ وكلهم أفاده ثروة علمية مما رواه عنهم وزكى فى استعداده الفطرى صفات كريمة فى فطرته المستعدة فتكونت شخصيته العلمية الخلقية . وهم فى ذلك كالحلقة المفرغة لا يدرى أحد طرفها فى الشرف والرفعة . ومن الصعب أن يحدد الانسان شخصا معينا بأنه المؤثر فى البخارى صاحب الرحلات الواسعة فى طلب العلم وهو الذى تنقل كالنحلة على كل روض باسم وزهر نضر . فتلقى عن آلاف الشيوخ ومعه استعداد اللامح الفطرى الذى كان ينقل كل ما عندهم من خلال كريمة وثروة علمية زاخرة فتأثر بهم جميعا وتكونت ملكته العلمية وشخصيته المستقلة وهذا معنى التأثير بشيوخه ، ومهما كان امتياز الشيخ فان أثره الفعال لا يكون الا فى التلميذ النابه .

وقد يكون صدقا قول علماء النفس فى العصر الحاضر أن نجاح الطالب يتوقف بنسبة ٢٠٪ على همة أستاذه ونسبة ٨٠٪ على همته واستعداده وهذا هو السر فى نجاح بعض التلاميذ دون بعض مع اتحاد الأستاذ والمنهج والمكان الا انه مع كل ذلك فقد يكون فى حياة الشيخ نواح بارزة تظهر بصورة مشابهة فى حياة تلميذه . على أى حال كانت النسبة مع توفر الصلة القوية بينهما ، فهذا يجعل الباحث فى حل لأن يذكر هذه النواحى المشابهة كآثر من آثار شيخه أو بعبارة أدق يذكرها على أن شيخه كان له أوفر سهم فى تكوينها وقد يكون معه غيره من الشيوخ أو العوامل الشخصية الذاتية فى التلميذ وقد يرجع الباحث الصفة الواحدة البارزة الى أستاذين اتحدا فى تفوقهما فى هذه الصفة الواضحة فى التلميذ: (الراوى) .

ومن له أثره بهذا المعنى من شيوخ البخارى الأئمة: على بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين واسحاق بن راهويه .

فهم من الأئمة الذين انتهى العلم اليهم فكانوا أئمة الحديث في عصرهم . وكانت صلتهم باماننا البخارى صلة قوية . فقد كان منهم من أشار عليه بتأليف كتابه الجامع الصحيح . وهو اسحاق بن راهويه وكان منهم من شهد له بصحته بعد قراءته عليهم حديثا حديثا وهم على بن المدينى واحمد بن حنبل ويحيى بن معين .

« على بن المدينى » (١٦١ - ٢٣٤ هـ)

هو على بن عبد الله بن جعفر بن نجيج السعدى ابو الحسن بن المدينى - الحافظ، من أئمة الحديث وممن انعقد الاجماع على جلالته وامامته، ولد سنة احدى وستين ومائة سنة ١٦١ هـ فى بيت من بيوت العلم سمع أباه وحماة بن زيد وهشيماء وابن عيينه والراوردي وابن وهب وعبد الوارث والوليد بن مسلم وغندر ويحيى القطان وعبد الرحمن بن المهدي وابن عليه وعبد الرزاق وقد شهد له سفيان بن عيينه - وهو من شيوخه - بقوله : والله لقد كنت أعلم منه أكثر مما يتعلم منى وكذلك قال « يحيى بن قطان » وهو من شيوخه وقال أبو حاتم :

« كان ابن المدينى علما فى الناس فى معرفة الحديث والعلل وما سمعت أحدا أسماه قط وانما يكنيه تبجيلا له وهو أحد الأئمة الأربعة الذين انتهت اليهم مادة العلم فى عصرهم » . قال عبد الله بن أبى زياد القطوانى : سمعت أبا عبيد يقول : انتهى العلم الى أربعة : هم أبو بكر بن أبى شيبه : أسردهم له . وأحمد بن حنبل : أفقههم فيه . وعلى ابن المدينى : أعلمهم به ويحيى بن معين : أكتبهم له .

تقدير البخارى له وتأثره به

قال السراج : قلت للبخارى :

ما تشتهى ؟ قال :

أن أقدم العراق ، وعلى بن عبد الله حى فأجالسه ، كما يظهر مدى تقديره له بهذه الكلمة الجامعة .

قال البخارى .

ما استصغرت نفسى عند أحد الا عند على بن المدينى .. واذا كان من المعلوم فى قواعد علم النفس ومن المشاهد أن تأثر الانسان بشخص ما يذكيه حبه له .. وتقديره اياه فانتنا نلمح من النصين السابقين مدى اعجاب البخارى وتقديره لشيخه على : مما يدل على مقدار معرفته له وتأثره به .

تقدير ابن المدينى للبخارى

ان تقدير على بن المدينى للامام البخارى تلميذه يفوق كل تقدير شهد له شهادة ممتازة حينما قال فيه :

« هو ما رأى مثل نفسه »

وتزداد قيمة هذه الشهادة عظمة حينما نعلم أن على بن المدينى حجة الحديث يقول ذلك ،

واضعا فى اعتباره أن البخارى هو الرحالة فى طلب الحديث الذى جاب الفيافي والقفار والقرى والأمصار راويا عن آلاف الشيوخ الأعلام .

ولا غرابة فهذا هو المفروض « انما يعرف الفضل من الناس ذوهه » .

وحينما تتفق الثقافات وتتحد المشاعر وتتقارب الأفكار يكون التقدير ويظهر التأثير والتوجيه .

قال (١) البخارى :

مات على بن المدينى ليومين بقيا من ذى القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين ٢٣٤ هـ وكان موته بسر من رأى .

١ - الطبقات الكبرى لابن السبكي ص ٢٥٦ ج ١ وتهذيب الاسماء واللفات للنووى ج ١ ص ٣٥٠ معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٧٢ تذكرة الحفاظ للدمي ص ٢٥٠ ج ١

« الامام أحمد ابن حنبل » ١٤٦ - ٢٤١ هـ

هو أحمد بن حنبل بن هلال الامام ابو عبد الله الشيباني الذهلي .
نشأته ودراسته :

ولد في ربيع الأول سنة ١٤٦ هـ في مدينة العلم بغداد وتوفي أبوه شابا فوليته أمه (١) . نسبه عربي وهو شيباني في نسبه لأبيه وأمه وقبيلته معروفة بالهمة والاباء كان منها المثني بن حارثة القائد الاسلامي المعروف .

وانتقل جده الى خراسان وكان واليا على سرخس في العهد الأموي . وناصر الدعوة العباسية عند ظهورها - وكان أبوه قائدا كما ذكره الاصمعي (٢) حفظ القرآن في صباه وتعلم القراءة والكتابة وكانت آثار النبوغ والرشد واضحة فيه منذ النشأة . اتجه أحمد بن حنبل الى الحديث وروى عنه أنه قال :

« أول من كتب عنه الحديث - أبو يوسف » وظل يتلقى الحديث ببغداد من سنة ١٧٩ الى ١٨٦ هـ ولزم عالما كبيرا من علماء الحديث والآثار ببغداد أربع سنوات .

هو هشيم بن بشير بن حازم الواسطي ١٨٣ وكان في طلبه للعلم مثال الجد، يقول :

« كنت ربما أود المکور في الحديث فتأخذ أُمي ثيابي حتى يؤذن الناس أو حتى يصبحوا » .

واستمر في حياته الجادة في العلم وتحصيله حتى أوصلته الى درجة الامامة .

قال عبد الله بن أحمد : سمعت أبا زرعة يقول (٣) :

١ - تاريخ الاسلام للذهبي ص ١٠ ترجمة الامام احمد .

٢ - رجال الفكر والدعوة في الاسلام لابى الحسن الندوى ص ١٠٥ .

٣ - ترجمة الامام احمد في تاريخ الاسلام للذهبي ص ١٢ .

كان أبوك يحفظ ألف حديث فقيل وما يدريك ؟ قال : ذاكرته
فأخذت عليه الأبواب . وقال أبو عبيده :

ما رأيت رجلا أعلم بالسنة من احمد .

وكان احمد حجة في علم الحديث والرواية .

وتتجلى مكاتته بهذه الشهادة من الشافعي ناصر السنة حينما خرج
من العراق وهي مدينة العلم والورع فيقول :

خرجت من العراق فما تركت رجلا أفضل ولا أروع ولا أفقه من
ابن حنبل (١) ويقول اسحاق بن راهويه :

« أحمد حجة بين الله وبين عبيده في أرضه » .

ويقول فيه يحيى بن معين : « كان في احمد بن حنبل خصال ما رأيتها
في عالم قط » .

وكان محدثا وكان حافظا وكان عالما وكان ورعا وكان زاهدا وكان
عاقلا .

أثر المسند في صحيح البخاري وباقي الكتب الستة

أن أثر المسند في صحيح البخاري وباقي الكتب الستة يتضح
بشهادة الحافظ علي بن الحافظ الفقيه محمد اليونيني رحمهما الله
تعالى . فقد سئل : أأنت تحفظ الكتب الستة ؟ فقال : أحفظها وما أحفظها
فقيل له : كيف هذا ؟ فقال : أنا أحفظ مسند أحمد وما يفوت المسند
من الكتب الستة الا قليل فأنا أحفظها بهذا الوجه (٢) .

فهذا القول من امام حافظ للسنة مهما كان فيه من المبالغة
فانه يصور أهمية المسند وأثره في الصحيحين ، وباقي الكتب الستة ،
مهما فاته من أحاديث كثيرة ، وجدت في الصحيحين ، ولعل ما فاته من

١ - تاريخ ابن كثير ج ١٠ ص ٣٣٥ تدريب الراوي ص ٧٥ .

٢ - مقدمة الفتح الرباني ص ٩ للاستاذ عبد الرحمن الساعاتي .

أحاديث في الصحيحين كثيرة . ولكن بالنسبة الى ما ذكر في باقي الكتب الستة أصبحت قليلة جمعا بين رأى ابن كثير وابن اليونيني . لأن رأى ابن كثير أنه قد فات المسند من الصحيحين الكثير .

فالمسند له أثره على أى حال في الصحيحين صحيح البخارى ومسلم وان لم يبلغ درجتهم في الصحة وغايرهما في طريقة تصنيفه على المسانيد لا على الأبواب كما في الصحيحين .

تقدير الامام احمد للامام البخارى وصلته به

قال محمد بن ابى حاتم وراق البخارى : سمعت البخارى يقول : « دخلت بغداد (١) ثمان مرات كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل فقال لى آخر ما ودعته : يا أبا عبد الله ، تترك العلم والناس وتصير الى خراسان ؟ فأنا الآن أذكر قول أحمد » .

ففى هذه العبارة الموجزة تشرق العاطفة القوية الكريمة بين الامامين فالبخارى حريص على مجالسة شيخه فيتردد على مجلسه ويرحل اليه ولا يبرح بغداد الا مودعا له .. والشيخ يعز عليه فراق تلميذه عاتبا عليه أن يترك بغداد ويرجع الى خراسان متمنيا مقامه معه فى بغداد .

وتنطبع كلمات الشيخ فى ذهن البخارى وتظل حية فى ذهنه مما يدل على تقديره وحبه واحترامه للامام أحمد بن حنبل .

واذا علمنا من سيرة الامام أحمد الزهد والورع والاهتمام بجمع الحديث والرحلة من أجله ، فقد رحل الى الكوفة والبصرة ومكة واليمن والشام والجزيرة ،

نجد أن هذه الصفات واضحة فى البخارى ، قد يكون لابن

١ - تدريب الراوى ص ٥٧ .

حنبل أثر في ازكائها أو على الأقل قد يكون هذا التجانس في الحياة الخلقية والعلمية ..

هو السبب في توطيد الصلة القوية بينهما مصداقا لقول الرسول عليه السلام في حديثه: «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» وبهذا الحديث وبغيره وضع الرسول القواعد الصادقة وسبق المفسرين للظواهر النفسية من علماء النفس وغيرهم فيما جاءوا به من نظريات زاعمين بأنهم اكتشفوها من البحث والجهد والدراسة ولو جاءوا الى رياض الاسلام لوجدوها زهرات متفتحة سهلة منظمة غير معقدة تمتاز بأنها لا تقبل الخطأ مستقاة ممن خلق الأرض والسموات العلا . العالم بأحوال خلقه « (١) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

وقد التزم البخارى منهج الامام أحمد وورعه في الانكار على (٢) من يتكلم في القرآن كما سيفصل في موضعه .

الامام (٣) اسحاق بن راهوية (١٦١ - ٢٣٨ هـ)

هو الامام أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي ثم النيسابوري الحافظ .

أحد أئمة الدين وأعلام المسلمين وهداة المؤمنين الجامع بين الفقه والحديث والورع والتقوى ساقه اهتمامه بالحديث الى الرحلة الى العراق والحجاز واليمن والشام سمع به عبد الله ابن المبارك والنضر بن شميل وسفيان بن عيينه وجريز بن عبد الحميد الرازي واسماعيل بن عليه ووكيع بن الجراح وعبد الرزاق بن همام

١ - سورة تبارك رقم ١٤ .

٢ - طبقات الشافعية ص ١٣ ح ٢ .

٣ - طبقات الشافعية الكبرى ج ١ ص ٢٣٢ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٨٩ ووفيات

الاميان ١ / ٨٠ .

والشافعي وآخرون وروى عنه امامنا البخارى ومسلم بن الحجاج
النيسابورى وأبو داود والترمذى والنسائى وأحمد بن حنبل ويحيى
ابن معين ومحمد بن يحيى الذهلى .

وحسبه شهادة الامام أحمد بن حنبل : « واسحاق عندنا امام من
أئمة المسلمين وما عبر الجسر أفقه من اسحاق » .

وكان شديد الورع والتقوى .. يقول محمد بن مسلم : « ما أعلم
أحدًا أخشى لله من اسحاق » وكما ان اسحاق كان محدثا وفقها فقد
كان مفسرا عظيما يقول أحمد بن سلمة :

« أملى على اسحاق التفسير عن ظهر قلبه » ومن المجهودات
الضخمة التى قام بها اسحاق النظر فى الأحاديث ونقدها متنا واسنادا
وتصحيحا وترتيب أنواع الحديث .

وهو بهذا العمل الجليل يعتبر قد أفسح الطريق ومهده أمام
تلميذه البخارى الذى سار على نهجه فى نقد الحديث وتصحيحه بل
كان عمل البخارى الجليل ونهجه القويم فى تأليف أعظم كتبه ..

وأعظم كتاب بعد كتاب الله .. صحيح البخارى بمشورة (١)
من استاذة اسحاق الذى عرف فى البخارى المقدرة على القيام بهذا
العمل الجليل . وكان التشابه بين التاميز والاستاذ فى المنهج الممثل
فى تنقية الحديث ونقده متنا واسنادا واستنباط فقه الحديث من غير
اسراف فى رأى .

يقول الدكتور عبد الحميد سند الجندى فى كتاب (٢) ابن قتيبة

١ - عن ابراهيم بن معقل النسفى يقول : قال : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل
البخارى كنت عند اسحاق بن راهوية فقال : لو جمعتم كتابا مختصر الصحيح سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوق : ذلك فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع
الصحيح المقدمة ص ٤ .

٢ - أن ابن راهوية كان يمقت أهل رأى أشد المقت ويعمل ذلك بقوله لانهم كانوا
يؤولون الاحاديث تاويلا لا يقره الفعل ويلقى التبعة فى ذلك على اتباع مذهب أبى
حنيفة فمن جاء بعده من أهل النظر والقياس فى أنهم الذين يحملون أوزار ما أوجده
ولا شك أن رأى الامام أبى حنيفة برىء من ذلك . وكان ابن قتيبة يطلق على هؤلاء
الاتباع اسم العصاة .

أن اسحاق بن راهوية قدم للحديث أكبر صنيع في أنه قام بتنقيسة المدسوس وجرده كذلك من مسائل الفقه بعد أن كان مختلطا بها ... ومن التفسير . وقد نفخ في تلاميذه من روحه فنبح فيهم أعظم علماء الحديث وهم البخاري ومسلم والترمذي .

توفي اسحاق ليلة نصف شعبان سنة ٢٣٨ .. قال البخاري : وله سبع وسبعون سنة قال الخطيب: فهذا يدل على أن مولده سنة احدى وستين (١) .

يحيى بن معين (٢)

يحيى بن معين أبو زكريا البغدادي من العلماء الجهابذة النقاد على حد تعبير ابن ابي حاتم الرازي .

نبغ وبرز في تمييز صحيح الحديث من سقيمه .

وسمع الحديث من ابن المبارك وابن عيينه وابن مهدي ووكيع وهشيم وغيرهم .

اتفق العلماء على رسوخ قدمه في الحديث ومعرفة له متناسا واسنادا .. روى ابن ابي حاتم الرازي عن محمد بن مسلم بن واره وسئل عن علي بن المديني ويحيى بن معين أيهما أحفظ ؟ - قال كان علي أسرد وأتقن وكان يحيى بن معين أفهم بصحيح الحديث وسقيمه وهو أحد أربعة انتهت اليهم زعامة العلم وقد عني بتدوين الحديث

١ - وفي تاريخ بغداد عن أبي بكر بن المديني يقول : كنا يوما بنيسابور عند اسحاق بن راهوية ومحمد بن اسماعيل حاضر في المجلس واسحاق يحدث بحديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكان دون صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عطاء الكيخاراني « فقال له اسحاق : يا أبا عبد الله ابن كيخاران فقال : قرية باليمن . كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فسمع منه عطاء هذا الحديث فقال له : اسحاق بن راهوية يا أبا عبد الله كأنك قد شهدت القوم .

٢ - مقدمة الجرح والتعديل ص ٣١٤ وتلخيص الاسماء واللغات للنووي ج ١ ص ١٥٦ والحديث والمحدثون ص ٢٤٤ معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٧٢ .

وما كان للزبد قدرة على أن يقف امام ما ينفع الناس فذهب جفاء
ومكث علم النبي صلى الله عليه وسلم على يد من اختارهم الله لهذا
الشأن العظيم فأعلى قدرهم ورفع شأنهم ، ذكرت هؤلاء كنمط رائع من
شيوخ البخارى الثقات الذين عرفوا جميعا بالمكانة العلمية والسلوك
القويم . وكانوا أكثر من أن يحصروا ، لما لهؤلاء من صلة أقوى .
وأثر واضح يتمثل في عرض أسمى مؤلفاته عليهم « وهو » الجامع
الصحيح وشهادته له بالصحة وشهادة ابن راهوية .

لتاريخه الكبير وهما أسمى مؤلفات البخارى رحمه الله .

نهج البخارى فى الحفظ

وهب الله محمد بن اسماعيل البخارى استعدادا فطريا يتمثل
فى قوة الذاكرة وصفاء الذهن .

والانسان مدين لنبوغه فى العلم الى استعداده الطبيعى وفطرته
السليمة ولكن لا يستقيم الاستعداد ولا يؤتى ثماره الا بالعمل والجهد.

وهذا ما كان من نهج البخارى . أقبل بكليته على حفظ
الحديث فأزكى استعداده وبلغ فى الحفظ مبلغا أذهل العلماء ولما رأى
القوم نبوغه وقوة ذاكرته التى بلغت حدا غير مألوف ظنوا أنه شرب
دواء للحفظ يقول وراقه محمد بن أبى حاتم فقلت له مرة فى خلوة : هل
من دواء للحفظ ؟ فقال : لا أعلم ثم أقبل على فقال : لا أعلم شيئا أنفع
للحفظ من تهمة الرجل ومداومة النظر (١) وبذلك قد سبق البخارى
علماء النفس بنمجه فى ازكاء القدرات بالعمل فى يقظة والمداومة على
التمرين .

كما سبقهم فى الاستعانة على التثبيت بربط المعلومات فقد كان
يربط بين الرجل وبلده وعصره وشيوخه وزمان ولادته ووفاته . وأقواله ،

١ - تاريخ بغداد ٩/٢ وطبقات السبكي ٧/٢ ومقدمة فتح البادى ٢٠١/٢ .

كما يربط بين أقوال الصحابة والتابعين وبين الأصول من الكتاب والسنة حتى يصبح القول واضحا في ذهنه من كل جوانبه وبهذا المنهج أصبح رأسا في حفظ الأحاديث وأسانيدها .

وصاحب الملكة القوية في تمييز صحيحها من سقيمها كما كان في فهم معانيها .

عن سليم بن مجاهد يقول : كنت عند محمد بن سلام البيكندی فقال لي : لو جئت قبل .. لرأيت صيبا يحفظ سبعين ألف حديث فخرجت في طلبه حتى لقينته فقلت له : أنت الذي تقول انا أحفظ سبعين ألف حديث ؟ قال : نعم وأكثر منه ولا أجيئت بحديث عن الصحابة والتابعين الا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم .. ولست أروى حديثا من أحاديث الصحابة والتابعين الا وله أصل أحفظ ذلك عن كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وظل البخاري يتهم نفسه ويديم النظر حتى أصبح فريد عصره قال أبو بكر اللكواذاني : « ما رأيت مثل محمد بن اسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعه . فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة (٢) . وقال اسحاق بن أحمد : سمعت في سنة سبع وأربعين ومائتين . محمد بن ادريس الرازي أبا حاتم يقول : يقدم عليكم رجل من أهل خراسان لم يخرج منها أحفظ منه ولا قدم العراق أعلم منه فقدم علينا محمد بن اسماعيل بعد شهر . وهكذا كانت مكانة البخاري في عصره ينتظر قدومه ويحتفل به قبل شهر من زيارته ، وقد عقد امتحان معضل في بغداد مدينة العلم والعلماء فاجتازه بمهارة رائعة مذهلة .

عن أحمد بن الحسن الرازي قال : سمعت أبا أحمد بن عدي يقول : سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن اسماعيل البخاري

١ - تاريخ بغداد - طبقات السبكي ج ٢ .

٢ - مقدمة فتح الباري ج ٢ ص ٢٠٠ .

قدم بغداد فسمع به اصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث فقبلوا متونها واسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر واسناد هذا المتن لمتن آخر .

ودفعوا الى عشرة أنفس، الى كل رجل عشرة أحاديث وأمروهم اذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى وأخذوا العدة للمجلس فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب اليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخارى « لا أعرفه » فسأله عن آخر فقال : « لا أعرفه » فما زال يلقى عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول : لا أعرفه، فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون : الرجل فهم ، ومن كان منهم غير ذلك يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب آخر من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخارى : لا أعرفه فسأله عن آخر فقال لا أعرفه فلم يزل يلقى عليه واحدا بعد الآخر حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول : لا أعرفه ثم انتدب اليه الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخارى لا يزيدهم على ألا أعرفه فلما علم البخارى أنهم قد فرغوا التفت الى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول ، فهو كذا والثانى فهو كذا .. والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن الى اسناده ، وكل اسناد الى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها الى اسانيدها واسانيدها الى متونها فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل (١) قال : الحافظ بن حجر: وهنا يخضع للبخارى فما العجب من رده الخطأ الى الصواب . فانه كان حافظا بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه من مرة واحدة واذا علمنا

أن الامتحان كان من علماء بغداد في عصرها الذهبي الزاهر بعلماء الاسلام ازداد تقديرنا لمواهب البخارى العلمية ، ومن هذا الامتحان الذى اجتازه البخارى يتبين بوضوح أن البخارى كان موسوعة علمية بمعرفة جميع الأحاديث بأسانيدھا ومتونها ولهذه المقدرة العلمية حاز ثقة العلماء فالتف حول مجلسه عشرات الآلاف ينهلون من فيضه وشهدوا له بالحفظ والسبق ، عن صالح بن محمد البغدادي يقول : كان محمد ابن اسماعيل يجلس ببغداد وكنت استملى عليه ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا وقال ابو بكر محمد بن حريث : وسألت الفضل ابن العباسى الرازى أيهما أحفظ ؟ ابو زرعة أم محمد بن اسماعيل ؟ . فقال : لم أكن التقيت مع محمد بن اسماعيل فاستقبلنى بين حلوان وبغداد فرجعت معه مرحلة وجهدت على أن أجيء بحديث لا يعرفه فما أمكننى وأنا أغرب على أبى زرعة عدد شعره (١) .

وقال : عمرو بن على : حديث لا يعرفه محمد بن اسماعيل ليس بحديث . وقال محمد بن أبى حاتم : سمعت حاشد بن اسماعيل وآخر يقولان : كان أبو عبد الله محمد بن اسماعيل يختلف معنا الى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام وكنا نقول له : انك تختلف معنا ولا تكتب فما معنالك فيما تصنع ؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوما انكما أكثرتما على وألحجتما فأعرضا على ما كتبتما فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم على حفظه ثم قال : أترون انى أختلف ههنا وأضيع أيامى ؟ فعرفنا انه لا يتقدمه أحد .

وكان أهل المعرفة من البصرة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه ، على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه . وكان أبو عبد الله عند ذلك شابا لم يخرج وجهه (٢) .

١ - مقدمة فتح البارى لابن حجر ج ٢ ص ١٩٩ .

٢ - تهذيب الاسماء واللغات للنووى ج ١ ص ١٠ .

معرفة البخارى بعلوم الحديث

وكما أن البخارى حجة في الحفظ فهو حجة في فهم علل الحديث ومرجع لكبار علماء عصره . وموضع اكبارهم واجلالهم قال ابراهيم الخواص :

رأيت أبا زرعة كالصبي جالسا بين يدي محمد بن اسماعيل يسأله عن علل الحديث (١) . وقال حاشد بن عبد الله : رأيت محمد بن رافع وعمرو بن زرارة عند محمد بن اسماعيل وهما يسألانه عن علل الحديث فلما قاما قالوا لمن حضر : لا تخذعوا ان أبا عبد الله أفقه منا وأبصر (٢) . ويقول أبو حامد الأعمش : رأيت محمد بن اسماعيل في جنازة ومحمد ابن يحيى الذهلي « امام نيسابور وشيخ البخارى » يسأله عن الأسماء والكنى وعلل الحديث والبخارى يمر فيها مثل السهم كأنه يقرأ « قل هو الله أحد » (٣) .

وقد شهد للبخارى تلميذان من تلامذته طبقت شهرتهما الآفاق .. هما الامام مسلم بن الحجاج والامام ابو عيسى الترمذى .

قال أحمد بن حمدون : جاء مسلم بن الحجاج الى البخارى فقبل بين عينيه وقال : دعنى أقبل رجلك يا أستاذ الأساتذة وياسيد المحدثين ويا طبيب الحديث فى عله (٤) .

ويقول له : لا يفيضك الا حاسد وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك .

قال أبو عيسى الترمذى : « لم أر بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل » (٥) .

١ - الحديث المثل هو الذى اطلع فيه على علة تدح فى صحته مع ان الظاهر السلامة منها . مقدمة ابن الصلاح ص ٩٨ وذلك كالارسال فى الوصول والوقف فى المرفوع .

٢ - التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٥٣ .

٣ - البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٦ .

٤ - البداية والنهاية ج ١١ ص ٩٦ .

٥ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٧ .

نهج البخارى فى قراءة القرآن

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودليل رسالته . والداعى الى السنة والتزامها: « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

والسنة هى الميينة للقرآن « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » من هذين المصدرين أشرقت الرسالة المحمدية فمن درس القرآن عرف مكانة السنة وشغف بها ومن عرف السنة فهم القرآن أدق فهم ، فأمر المؤمنين فى الحديث من الطبعى أن يكون أعرف الناس بدلالة القرآن ومعانيه وتفسيره فى ضوء السنة ومن هنا نبغ شعوره بعظمة القرآن وجلاله فلم يرتله بلسانه فقط ويقصره على حنجرته وانما يعمل فيه بصره وفكره ويشغل به قلبه وسمعه ويدقق فى أمثاله ويعرف حلاله من حرامه وهذه هى القراءة المجيدة المفيدة . التى جعل الله فيها الشفاء والرحمة .

سئل الدارمى عن حديث وقيل له ان البخارى قد صححه فقال : محمد بن اسماعيل أبصر منه ، وهو أكيس خلق الله ، عقل عن الله ما أمر به ونهى عنه فى كتابه ، وعلى لسان نبيه اذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه وتفكر فى أمثاله وعرف حلاله من حرامه (١) .



الباب الثاني

حياة البخاري العامة

« محمد بن اسماعيل كان أمة من الأمم

دينا فاضلا يحسن كل شيء »

العجلي

مكانة البخارى فى الصلاح والورع

ان سر نبوغ البخارى ووصوله الى المكانة العلمية الفريدة انما هو حبه لله ورسوله ولو لم يكن محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعاليمه ، لما استطاع أن يصل الى هذه المكانة العلمية فى الأحاديث . فمن المعلوم أن طالب العلم لا ينبغ النبوغ القوى الا فيما حُبب الى نفسه وانشرح له صدره .

وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم كلها فياضة بالدعوة الى التقوى ومكارم الأخلاق .

ولا يكون مبالغا من يقول بأن البخارى رحمه الله اتخذ الرسول قدوته . وطبق تعاليمه على نفسه فاجتمعت فيه كل المعانى الكريمة .

فهو مكثر العبادة ، يصلى فيسلم وجهه وقلبه لله وينصرف بكليته اليه فى خشوع المؤمن السعيد بعبادته وقراءته .

عن محمد بن أبى حاتم الوراق قال : دعى محمد بن اسماعيل الى بستان بعض أصحابه فلما حضرت صلاة الظهر صلى القوم ثم قام للتطوع فأطال القيام فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه فاذا زنبور قد أبره فى ستة عشر موضعا وقد تورم من ذلك الجسد وكان آثار الزنبور فى جسده ظاهرة . فقال له بعضهم : كيف لم تخرج من الصلاة فى أول ما أبرك ؟

فقال : كنت فى سورة فأحببت أن أتمها وعن نسج بن سعيد قال (١) :

١ - فى الطبقات وتاريخ بغداد وأما فى المقدمة « مقسم » .

كان محمد بن اسماعيل البخارى اذا كان أول ليلة من رمضان يجتمع اليه أصحابه فيصلى بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية وكذلك الى أن يختم القرآن ، وكان يقرأ القرآن في السحر في كل ثلاث ليال . وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة ويكون ختمه عند الافطار في كل ليلة ويقول عند كل ختم دعوة مستجابة (١) ، وهذا الاتصال الدائم بالله عن طريق العبادة أضفى عليه حسن المعاملة مع الناس فكان شديد الورع في معاملته يخاف الشبهات .

قال أبو سعيد « بكر بن منير » : كان حمل الى محمد بن اسماعيل بضاعة انقدها اليه فلان اجتمع بعض التجار اليه بالعشية ، فطلبوها بربح خمسة آلاف درهم فقال لهم : انصرفوا الليلة فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردهم وقال : انى نويت البارحة أن أدفع الى الذين طلبوا منى أمس بما طلبوا أول مرة وقال : لا أحب أن أغير نيتى (٢) ، وعن عبد الله بن محمد الصيارفى : كنت عند محمد بن اسماعيل في منزله فجاءته جاريته وأرادت دخول المنزل فعثرت على محبرة بين يديه فقال لها : كيف تمشين ؟ قالت : اذا لم يكن طريق كيف أمشى ؟ فبسط يديه وقال : اذهبي فقد أعتقتك . فقيل له يا أبا عبد الله أغضبتك ؟ فقال : أرضيت نفسى بما فعلت (٣) .

فما أروع هذا السمو في المعاملة ، شعر احساسه الدينى المرهف بأنه أغضب الجارية باعتراضه التأنيبى الرقيق اليها ، فكفر عن ذلك باعتاقها حتى يرضى نفسه الطيبة النقية ويقول : وراقه سمعته يقول لأبى معشر الضرير : اجعلنى فى حل يا أبا معشر فقال : من أى شىء ؟ فقال : رويت حديثا يوما عنك . فنظرت اليك وقد أعجبت به وأنت تحرك

١ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ١١ .

٢ - طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٠ .

٣ - مقدمة الفتح ج ٢ ص ١٩٥ لابن حجر .

رأسك ويديك فتبسمت من ذلك قال : أنت في حل — يرحمك الله يا أبا عبد الله (١) .

وعن وراقه : سمعته يقول ما اغتبت أحدا قط منذ علمت أن الغيبة حرام .

وقال بكر بن منير : سمعت محمد بن اسماعيل البخاري يقول : اني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني اني اغتبت أحدا (٢) . وسمعه وراقه يقول : لا يكون لى خصم فى الآخرة فقال له : ان بعض الناس ينقمون عليك التاريخ ويقولون فيه اغتاب الناس فقال : انما رويناه ذلك ولم نقله من عند أنفسنا . وقد قال : النبى صلى الله عليه وسلم بئس اخو العشيرة (٣) ويقول ابن حجر : كان البخارى فى كلامه فى الرجل توق زائد وتحربليغ فمن تأمل كلامه فى الجرح والتعديل فان أكثر ما يقول : سكتوا عنه ، فيه نظر ، تركوه ، ونحو هذا .

وقل أن يقول : كذاب أو وضاع وانما يقول كذبه فلان « ورماه فلان » يعنى بالكذب وهذا من شدة ورعه .

وعن الذهبى : أبلغ تضعيفه فى المجروح منكر الحديث . ويقول البخارى : (٤) كل من قلت عنه منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه ، وأكسبه ورعه التحرى فى الدقة والأمانة العلمية قال وراقه: سئل عن خبر حديث فقال : يا أبا فلان ترانى أدلس وقد تركت عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر وتركت مثلها أو أكثر منها لغيره لى فيه نظر ؟

وقد نفى النوم عن عينيه نفس أئمة مشغولة بالعلم والعبادة ومكارم الأخلاق ، قال وراقه : اذا كنت معه فى سفر يجمعنا بيت واحد الا فى القبط ، فكنت أراه يقوم فى الليلة الواحدة خمسة عشرة مرة الى عشرين

١ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٣ .

٢ - الطبقات ج ٢ ص ٩ لابن السبكي .

٣ - البداية والنهاية ج ١١ ص ١١٩ .

٤ - الطبقات ج ٢ ص ٩ لابن السبكي .

مرة . وفي كل مرة يأخذ القداحة فيرى نارا في يده ويسرج ويخرج أحاديثه فيعلم عليها ثم يضع رأسه . فقلت له : انك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني ؟ فقال : أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك وكان يصلى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة ويوتر منها بواحدة . وكان معه شيء من شعر النبي صلى الله عليه وسلم (١) .

وهذه الحالة النفسية من قيامه مرات بالليل تمثل مدى اهتمامه بالعلم وتركيز الذهن فيه فكلما تذكر شيئا سجله وهذا خلق العلماء المنصرفين للتأليف والعلم ، وما أكرم خلقه وشعوره في معاملته لتابعه وراقه في محافظته على راحته فلا يقلقه ويؤثر أن يصلح المصباح لنفسه وما أتقاه وأصفى نفسه فقبل أن يبدأ حياته العلمية في الليل يصفى نفسه بركعات تقربا الى ربه في وقت الصفاء في السحر وهذا هو نهج المحدث الذي يعيش مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كرم البخارى وزهده

ورث البخارى عن والده ثروة ضخمة مطهرة فلم يستغلها في التمتع والتلذذ بالملذات الدنيوية بل عاش متقشفا زاهدا في الترف الدنيوى ، أكثر ما ينعم به في طعامه أن يأكل مع الخبز سكرة ولم يكن هذا التقشف كاذبا وطريقا خداعا الى الشح بالمال وادخاره كما يتوارى فيه بعض الناس وانما كان التقشف الصادق ودليله الزهد في المال وانفاقه في أوجه البر والاحسان مؤمنا بقوله تعالى : « وما عند الله خير وأبقى » « ما عندكم ينفد وما عند الله باق » .

يقول البخارى : كنت أستغل في كل شهر خمسمائة درهم . فأنفقها في الطلب وما عند الله خير وأبقى (٢) .

١ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٢ .

٢ - الطبقات ج ٢ ص ١١ .

وقال : وراقه كنا بفربر وكان أبو عبد الله يبنى رباطا (١) مما يلي بخارى فاجتمع بشر كثير يعينونه على ذلك وكان ينقل اللبن فكنت أقول : يا أبا عبد الله انك تكفى ذلك ، فيقول: هذا الذى ينفعنى ، وكان ذبح لهم بقرة فلما أدركت القدور دعا الناس الى الطعام فكان معه مائة نفس أو أكثر ولم يكن علم انه يجتمع ما اجتمع وكنا أخرجنا معه من « فربر » خبزا بثلاثة دراهم وكان الخبز اذ ذاك خمسة أمان بدرهم فألقيناه بين أيديهم فأكل جميع من حضر وفضلت أرغفة صالحة ، وكان قليل الأكل جدا كثير الاحسان الى الطلبة مفرط الكرم (٢) ويتبين من بين سطور هذا القول مشاركته فى عمل الخير بالمحافظة على نفوس المسلمين وكرمه المفرط فاستحق اكرام الله له بوضع البركة فى طعامه .

والبخارى دائما لا يؤثر الدنيا على الآخرة ولا يرضى أن يبيع دينه بدينياه فهو بعيد النظر فى خطواته يضحى بالدنيا الفانية من أجل الآخرة الباقية ، يقول وراقه عنه : انه ورث من أبيه مالا جليلا وكان يعطيه مضاربة (٣) فقطع غريم خمسة وعشرين ألفا فقبل له استعن بكتاب الوالى فقال : ان أخذت منهم كتابا طمعوا ولن أبيع دينى بدينى ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم وذهب ذلك المال كله (٤) واستبدل البخارى أمواله أضعافا مضاعفة فى سجل الحسنات وكان مصير هذه الثروة الجلية التى ورثها أن أقرضها لله ابتغاء وجهه ورضوانه وأصبح غنيا برضاء الله له ، وبما هداه اليه من ثروة علمية قال عمر بن حفص الأشقر : كنا مع محمد بن اسماعيل بالبصرة نكتب الحديث ففقدناه أياما : فطلبناه فوجدناه فى بيت وهو عريان وقد نفذ ما عنده ولم يبق شيء فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوبا وكسونا

١ - فى مختار الصحاح الرباط ما تشد به الدابة والرباط أيضا - المراقبة وهى ملازمة النفور ضد العدو . ورباط الخيل مرابطتها .

٢ - ترجمة البخارى ص ١٣ ط المنيرة .

٣ - ضاربة فى المال من المضاربة وهى القراض « مختار الصحاح » .

٤ - مقدمة فتح البارى ج ٢ ص ١٩٤ .

ثم اندفع معنا في كتابة الحديث (١) . والكريم قريب من الله وهو معه يرزقه من حيث لا يحتسب تأخرت نفقته حتى جعل يتناول حشيش الأرض فلما كان في اليوم الثالث يقول : أتانى رجل لا أعرفه فأعطاني صرة فيها دنانير (٢) .

ووطد البخارى نفسه على أن يكون في ذروة الثقة الأطهار الأبرار بكل ما تشمله التقوى من المعانى السامية النبيلة حتى يكون ربانيا يدعو فيستجاب له ؟

وهذا المنهج الذى رسمه لحياته وطبقه أتم تطبيق كان ينادى به ويدعو المسلمين اليه ويريد أن يكون كل مسلم متحليا بالتقوى التى تؤهله لاستجابة الدعاء منه ، ولا ينبغي للمسلم أن يكون غير ذلك ، يقول وراقه قال البخارى : « ما ينبغي للمسلم أن يكون بحالة اذا دعا لم يستجب له » والدعوة الى التقوى والعبادة وتذكر الموت وحسن الخلق كانت طبيعته ودعوته التى دائما يدعو اليها حتى فيما أثر عنه من أشعار قليلة قال الحاكم ابو عبد الله (٣) : قرأت بخط أبى على المستملى وأنشد البخارى :

أغتتم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بفته
كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلتته
قال وأنشد أيضا :

خالق الناس بخلق واسع لا تكن كلبا على الناس تهر
وقال :

إن تبق تفجع بالأحبة كلهم وفناء نفسك لا أبالك أفجع

١ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٣ .

٢ - الطبقات ج ٢ ص ١١ .

٣ - الطبقات الشافعية ج ٢ ص ١٥ ومقدمة الفتح ج ٢ ص ١٩٦ .

فأشعاره (١) تدعو الى لزوم عدم ضياع الوقت بل ينبغي اشغاله بالعبادة وأن يكون المسلم صاحب خلق حسن يسلم الناس من شره وضرره « ويتنفعون بخيره وبره » .

مهارته واستعداده للجهاد

والبخارى الذى اهتم بحفظ الحديث وفهمه اهتم بتطبيق ما أمر الله به ورسوله فاتخذ هذا منهجا فى سيرته فكانت حميدة للغاية رائعة فى كل جوانبها .

عرف قيمة الجهاد فى الاسلام وشجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومهارته فى الحرب فاتخذ هذه القدوة الحسنة فتعلم استعمال آلات الحرب واتقن الجهاد ونبغ فى أشق أمور الحرب وأرقاها حينئذ وهو الرمي « وكان فيه الممتاز على غيره بحيث لا يخطئ الهدف اذا رماه مرات عديدة » (٢) واهتم بشغور المسلمين الاهتمام البالغ ولم يشغله العلم عن ذلك وهكذا النفوس الكبيرة كما يقول ابن سينا : لا يشغلها شئ عن شئ والنفوس النقية يبارك الله لها فى وقتها بفضل الاخلاص والعمل . قال وراق البخارى : رأيت استلقى ونحن « بفربر » فى تصنيف كتاب التفسير وكان أتعب نفسه فى ذلك اليوم فى التخريج فقلت له : انى سمعتك تقول : ما أتيت شيئا بغير علم فما الفائدة من الاستلقاء ؟ قال : أتعبت نفسى اليوم وهذا ثغر خشيت أن يحدث فيه حدث من أمر العدو فأحببت أن أستريح وأخذ أهبة وإن غافصنا العدو [فاجأنا على غرة] كان بنا حراك وقال : كان ابو عبد الله البخارى يركب الى الرمي كثيرا فما أعلم فيما رأيت فى طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف الا مرتين ، بل كان يصيب فى كل ذلك ولا يسبق قال : ركبنا يوما الى الرمي ونحن بفربر فخرجنا الى الدرب الذى يؤدى الى الفرضة فجعلنا نرمي فأصاب سهم أبى عبد الله وتد القنطرة التى على النهر فانشق الوتد فلما رأى

١ - ترجمة البخارى المطبعة المنيرية ١٦ .

٢ - ترجمة البخارى المنيرية .

ذلك نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد وترك الرمي وقال لنا : أرجعوا ، فرجعنا . فقال لى وهو يتنفس الصعداء : يا أبا جعفر لى اليك حاجة فقلت: نعم . قال : تذهب الى صاحب القنطرة فتقول : انا أخللنا بالوتد ، فنحب أن يأذن لنا فى اقامة بدله ، أو تأخذ ثمنه وتجعلنا فى حل مما كان منا . وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر فقال لى : ابلغ أبا عبد الله السلام وقل له : أنت فى حل مما كان منك ، فان جميع ملكى لك الفداء . فأبلغته الرسالة فتهلل وجهه وأظهر سرورا كثيرا . وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث وتصدق بثلاثمائة درهم (١) .

قضية البخارى مع محمد بن يحيى الذهلى

محمد بن يحيى الذهلى شيخ المحدثين بنيسابور ومن تلامذته البخارى ومسلم بن الحجاج ومجلسه فى نيسابور قبلة العلماء ومجمعهم العلمى وعندما قدم البخارى نيسابور كان محمد بن يحيى الذهلى من المرحبين به العارفين قدره فى علمه وصلاحه فأوصى الناس بالاستفادة من علم البخارى ، وما كان يدور بخلده : أن مجلس البخارى سيحظى بالاقبال الفائق حتى ينصرف الناس الى مجلسه فيحصل الخلل فى مجلس الذهلى .

قال الحسن بن محمد بن جابر: « قال لنا الذهلى لما ورد البخارى نيسابور . اذهبوا الى الرجل الصالح فاسمعوا منه فذهب الناس اليه وأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل فى مجلس الذهلى فحسده بعد ذلك وتكلم فيه » (٢) .

وكان أثر فتنة القول بخلق القرآن كما هو رأى القاضى أحمد بن أبى دؤاد المعتزلى ومن معه من المعتزلة الذين ينكرون الصفات القديمة لله ومنها الكلام خوف تعدد القدماء على زعمهم ، وما دروا أن الممنوع هو تعدد الذوات لا الصفات لذات واحدة وكانت هذه الفتنة قد ظهرت

١ - تهذيب الاسماء ج ١ ص ٧٥ والطبقات ج ٢ ص ١٠ .

٢ - طبقات الشافعية ج ٢ ص ١١ لابن السبكي .

فى عهد المعتصم والواثق وأوائل عهد المتوكل وكانت مثار خلاف المعتزله فى مقابل أهل السنة القائلين بقدم القرآن - كلام الله القديم معناه ومدلوله قديم وهو نوع من أنواع صفة الكلام النفسية القديمة القائمة بذاته تعالى .

وكان مع المعتزلة الحكام المتأثرون بهم وعلى رأسهم المأمون وامتنح فيها كبار أهل السنة ومنهم الامام أحمد بن حنبل واحمد بن نصر الخزاعى وأبو يعقوب البويطى واستعر أوار الفتنة حتى أدت الى مختلف أنواع التعذيب واستمرت من سنة ٢١٨ - ٢٣٤ هـ حتى أخمدها المتوكل وانتصر لأهل السنة ونهى عن الكلام فى هذه المسألة والنهى عن الكلام فى مشاكل علم الكلام هو شأن السلف فقد ضرب عمر بن الخطاب من يتكلم فى القدر وطرده وقال مالك للسائل عن معنى الاستواء : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وهذا هو منهج أحمد بن حنبل كما هو منهج البخارى .

والقرآن كلام الله غير مخلوق كما عليه أهل السنة والحق هو ما ذهب اليه الامام البخارى . وهناك فرق بين القرآن وبين القراءة كما يقول البخارى : يقال فلان حسن القراءة وردىء القراءة ولا يقال حسن القرآن ولا ردىء القرآن فالقديم القرآن وهذا (١) ما قال به السلف وأما التلفظ فذهب أهل السنة بل جميع الأمة الى أن التلفظ بالقرآن أى حرفية اللفظ وصوته الذى تنطقه ألسنتنا وتلفظ به وتكتبه أيدينا حادث غير قديم ولا عبرة لما ينسب الى الحنابلة عن طريق جماعة من غلاة الحشوية من أنه قديم أيضا فهى رواية شاذة معارضة لصريح العقل ومنافية لصحيح النقل وما روى عن الامام أحمد رضى الله عنه من رمية من زعم ذلك بالاعتدال والكفر فعلى تسليم صحته وانه ليس من وضع الحشوية التى انتسبت ظلما اليه وأساءت أبلغ الاساءة لمذهبه ليس محمولا على ظاهره بل المراد منه التنفير من التصريح به والزجر عن الخوض فيه خشية أن يتأثر ويجره ذلك الى القول بمذهب الاعتزال

١ - مقتبس عن كلام مقدمة البخارى لفضيلة الشيخ عبد الفنى بتصرف ص ٨٧ .

وانكار صفة الكلام القديمة أو خشية أن يتأول متأول ويحمله على مذهب المعتزلة ويشنع بقائله ويؤكد ذلك قول ابن السبكي في ترجمة الحسين بن علي الكرايسى صاحب الشافعى (١) .

قيل للكرايسى: « ما تقوله في القرآن قال كلام الله غير مخلوق فقال له السائل: فما تقول في لفظ القرآن ؟ فقال : لفظك به مخلوق فمضى السائل الى أحمد بن حنبل فشرح له ما جرى فقال: هذه بدعة والذي عندنا أن أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه أشار بقوله هذه بدعة الى الجواب عن مسألة التللفظ اذ ليست مما يعنى المرء، وخوض المرء فيما لا يعنيه من الكلام بدعة فكان السكوت عن الكلام فيه أجمل وأولى . ولا يظن بأحمد رضى الله عنه أنه يدعى أن اللفظ الخارج من بين الشفتين قديم . ومقالة الحسين هذه قد نقل مثلها عن البخارى والحارس بن أسد المحاسبى ومحمد بن نصر المروزى وغيرهم فمن جراء فتنة خلق القرآن وما كان لها من أثر فى إهانة كثير من الصالحين تعالى بعض العامة واشتبه عليهم فبدعوا كل من قال بحدوث ما يمس عوارض القرآن .

وقد استغل محمد بن يحيى الذهلى كراهية النفوس لمن يتكلم في القرآن فأراد أن يوقع البخارى في هذا الأمر حتى ينفر الناس عن مجلسه وينسبوه الى الاعتزال .

قال الحافظ بن عدى (٢): ذكر لى جماعة من المشايخ أن محمد بن اسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده حسده بعض شيوخ الوقت فقال لاصحاب الحديث ان محمد بن اسماعيل يقول : لفظى بالقرآن مخلوق فلما حضر المجلس قام اليه رجل ، فقال : يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو ، أو غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخارى ولم يجبه ثلاثا ، فألح عليه . فقال البخارى القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة فشغب الرجل وقال:

١ - طبقات الشافعية ج ١ ص ٥٢ .

٢ - الطبقات ٢ ص ١١ ومقدمة الفتح ج ٢ ص ٢٠٢ .

قد قال لفظي بالقرآن مخلوق وشغب الناس وتفرقوا عنه ، فالبخاري يلتزم لمذهب السلف فيتخرج عن الخوض صراحة فيما يثير الفتن ويعرض عن السائل ويعترض عليه مبينا له بأن الامتحان في مثل هذا الأمر انما هو بدعة وهذا هو رأى السلف كالامام مالك والامام أحمد فالسكوت عند عدم الاحتياج اليه سنة ولكن عند الاحتياج اليه يضطر العالم لتبيين الصواب وهذا هو ما رآه البخاري وقال محمد بن يوسف القريري (١):

سمعت أبا عبد الله محمد بن اسماعيل يقول ان أفعال العباد مخلوقة فقد حدثنا علي ابن عبد الله حدثنا مروان بن معاوية حدثنا أبو مالك عن ربيع بن حراش عن حذيفة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يصنع كل صانع وصنعتة؛ قال أبو عبد الله وسمعت عبيد الله بن سعيد يقول: « ما زلت أسمع أصحابنا يقولون أن أفعال العباد مخلوقة قال أبو عبد الله البخاري حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة فأما القرآن المتلو المين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله غير مخلوق قال تعالى: «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» زاد في المقدمة قال : وقال اسحق بن راهويه أما الأوعية فمن يشك انها مخلوقة ؟ وقال في الطبقات وقال البخاري يقال فلان حسن القراءة وردى القراءة ولا يقال حسن القرآن وردى القرآن وانما ينسب ذلك الى القرآن لأن القرآن كلام الرب والقراءة فعل العبد وليس لأحد أن يشرع في أمر الله بغير علم، زعم بعضهم ان القرآن بالفاظنا وألفاظنا به شيء واحد والتلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء ف قيل له إن التلاوة فعل القارئ وعمل التالي فرجع وقال ظننتهما مصدرين ف قيل له هلا أمسكت كما أمسك كثير من أصحابك ، ولو بعثت الى من كتب عنك واسترددت ما أثبت وضربت عليه فزعم أن كيف يمكن هذا ؟ وقال قلت ومضى فقلت له كيف جاز أن تقول في الله شيئا لا يقوم به شرح وبيان اذ لم تميز بين التلاوة والمتلو ؟ فسكت اذ لم يجد عنده جوابا .

١ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣١ والطبقات ج ٢ ص ١١ ومقدمة الفتح ج ٢ ص ٢٠٣ .

وقد حقق التاج السبكي في طبقاته (١) موقف البخارى فقال : كان البخارى على ما روى فيه ممن قال لفظى بالقرآن مخلوق وقال محمد ابن حسن الزهلى : من قال وزعم أن لفظى بالقرآن مخلوق فهو مبتدع وانما أراد محمد بن يحيى - والعلم عند الله - ما أراد أحمد بن حنبل من النهى عن الخوض فى هذا ولم يرد مخالفة البخارى وأن خالفه وزعم أن لفظه الخارج من بين شفتيه المحدثين قديم فقد باء بأمر عظيم والظن به خلاف ذلك وانما أراد هو وأحمد وغيرهم من الأئمة النهى عن الخوض فى مسائل الكلام . وكلام البخارى عندنا محمول على ذكر ذلك عند الاحتياج اليه فالكلام عند الاحتياج اليه واجب والسكوت عنه عند عدم الاحتياج اليه سنة فافهم ذلك ودع خرافات المخرفين واضرب صفحا عن تدويهاات الضالين الذين يظنون انهم محدثون وانهم عند السنة واققون وهم عنها مبعدون .

وكيف يظن بالبخارى انه يذهب الى شىء من أقوال المعتزلة وقد صح عنه فيما رواه القربرى وغيره انه قال : انى لا استجهل من لا يكفر الجهميه ؟ ولا يرتاب المنصف فى أن محمد بن يحيى الذهلى لحقته آفة الحسد التى لم يسلم منها الا أهل العصمة وقد سأل بعضهم البخارى عما بينه وبين محمد بن يحيى فقال البخارى : كم يعترى محمد بن يحيى الحسد فى العلم والعلم رزق الله يعطيه من يشاء .. ولقد أبان البخارى عن عظيم ذكائه حيث يقول وقد قال له أبو عمرو بن الخفاف أن الناس خاضوا فى قولك فقال : يا أبا عمرو من زعم أنى قلت لفظى بالقرآن مخلوق . فهو كذاب فانى لم أقله الا أنى قلت أفعال العباد مخلوقة قالت : تأمل كلامه ما أذكاه ومعناه والعلم عند الله انى لم أقل ان لفظى بالقرآن مخلوق لان الكلام فى هذا خوض فى مسائل الكلام وصفات الله لا ينبغى الخوض فيها الا للضرورة ولكن قلت أفعال العباد مخلوقة وهى قاعدة مغنية عن تخصيص هذه المسألة بالذكر فان كل عاقل يعلم ان الفاظنا من جملة أفعالنا وأفعالنا مخلوقة ولقد أفصح بهذا المعنى فى

رواية أخرى صحيحة عنه رواها حاتم بن أحمد الكندي فقال: سمعت مسلم بن الحجاج فذكر الحكاية المتقدمة وفيها أن رجلاً قام إلى البخاري وسأله عن اللفظ بالقرآن ؟ فقال: أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا وفي الحكاية أنه وقع بين القوم إذ ذاك اختلاف على البخاري فقال بعضهم قال : لفظي بالقرآن مخلوق وقال آخرون لم يقل فلم يكن الإنكار إلا على من يتكلم في القرآن وقد اضطر البخاري لأن يسكن الفتنة بخروجه من نيسابور إلى بخاري وقد روى أنه لما قام مسلم بن الحجاج واحداً ابن مسلمة من مجلس محمد بن يحيى يسبب البخاري . قال الذهلي لا يساكنني هذا الرجل في البلد فخشي البخاري وسافر ، فنجد أن البخاري في محنته هذه لم يقترب أثماً وأن ما أثير حوله إنما هو وليد الحسد من النفوس البشرية ومحمد بن يحيى رحب بالبخاري عند قدومه ولكن الشيطان للإنسان عدو مبين فحسده عندما رأى أنه احتل مكان الصدارة والتف حوله القوم وتركوا الذهلي فاستغل إثارة النفوس وحساسيتها بالنسبة لفتنة القرآن وتابعه على ذلك الذين انتقدهم البخاري وجرحهم بالتضعيف واستعملوا التشويش على العامة الذين لا يفرقون بين القرآن والقراءة وكان البخاري دقيقاً في تعبيره ملتزماً بمذهب السلف حيث أعرض عن السائل أولاً ثم لما ألح عليه بين له أن السؤال بدعة وأجابه اجابة بيّنة لأن أفعال الرجال مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا وكان في اجابته الضمنية الدليل على صدق قوله ومع ذلك فقد آثر السفر إلى بخاري حتى لا تكون فتنة وهو في ذلك لم يخالف السلف بل كان على مذهب أستاذه الإمام أحمد الذي يرى أن التبرع بالكلام فيما يثير الجدل بالنسبة إلى صفات الله إنما هو بدعة والقرآن عند محمد بن إسماعيل هو كلام الله غير مخلوق؛ قال محمد بن نعيم (١) سأل محمد بن إسماعيل لما وقع في شأنه ما وقع عن الإيمان فقال قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله غير مخلوق وأفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وعلى هذا حيتت وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله .

اعتزاز البخارى بعلمه ومحتته مع أمير بخارى خالد بن أحمد الذهلى

ترك البخارى نيسابور إيثارا للسلامة وعدم الفتنة وذهب الى بلدته بخارى واستقبل اروع استقبال « فنصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق مذكور، وثر عليه الدراهم والدنانير » (١) .

والتف حوله الناس فى مجلسه فى المسجد والمنزل والكل عنده سواء فى توجيه العناية والاستفادة من علمه ونشر سنة النبى صلى عليه وسلم فوجد فيه العلماء أنه الأمل المرجو والمرجع الأصيل فأقبلوا عليه للاستفادة منه ، ومثل البخارى فى اخلاصه للعلم وقوته يهمة أن يرضى نهم الناس ارضاء الله وأن يكون النفع عاما للجميع وليس لديه من الوقت فسحة للدرس الخاص وليس فى نفسه الدافع الى التقرب الى الأمير على حساب مصلحة الغير لانه استمد جاهه واحترامه من سلطان العلم ، وشعور العالم برضاء ربه وسيره فى طريقه وتأدية رسالته يكسب العالم سعادة كاملة وعز وسلطانا وكيانا يرى نفسه فى وضع كريم غير محتاج الا لله وحده ، فلما طلب أمير بخارى خالد بن أحمد أن يأتيه بكتبه حتى يسمعها له ولأولاده فى قصره خاصة رفض البخارى أن يستجيب لطلبه وقال: « فى بيت العلم والحلم يؤتى » فأفهمه أن العلم يسعى اليه فراسله الأمير طالبا ان يعقد مجلسا لأولاده لا يحضره غيرهم ويحضر الأولاد اليه فامتنع أيضا وقال: لا يسعنى أن أخص بالسماع قوما دون آخرين » . قال أبو سعيد بكر بن منير البخارى: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلى والى بخارى وخليفة ابن طاهر الى محمد بن اسماعيل ان احمل الى كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسمع منك فقال محمد

ابن اسماعيل لرسوله قل له : انى لا أذل العلم ولا أحمله الى أبواب السلاطين، فإن كان لك الى شىء منه حاجة فأحضرنى فى مسجدى أو فى دارى وان لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من الجلوس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة لأنى لا أكتم العلم لقول النبى صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجحيم بلجأ من نار . فكان سبب الوحشة بينهما هذا (١) .

فأصر الأمير فى نفسه العداوة للبخارى وصار يتحين له الفرص حتى وصله كتاب محمد بن يحيى الذهلى الذى لم يكتف بصرف الناس عن البخارى فى نيسابور فلم يقنع برحيله منها رغبة فى تسكين الفتنة فواصل عداؤه للبخارى بكتاباتة للولاة والعلماء بالتشنيع على البخارى بمسألة اللفظ ورميه بالاعتزال جزافا وبهتانا وممن كتب اليهم من العلماء أبو حاتم وأبو زرعة الرازى كما كتب الى الأمير خالد بن يحيى الذهلى نائب الطاهرية ببخارى فلما وصل الأمير كتاب الذهلى انتهز الفرصة للانتقام من البخارى وأراد أن يصرف الناس عن السماع منه وكان للبخارى فى جامع بخارى مجلس يجلس فيه لاملاء العلم اليهم وكانوا يعظمونه جد التعظيم ويكرمونه أشد التكريم فلم ينفذوا ارادة الأمير ورغبته واستمروا فى التلقى عنه فأمر الأمير عند ذلك بنفيه وساعده جاهه على اخراجه من بلده وقال أبو بكر بن أبى عمرو الحافظ وممن ساعد على ذلك خالد بن أبى الوراق وغيره من أهل العلم ببخارى حتى تكلموا فى مذهبه فنفاه عن البلد فخرج رضى الله عنه الى بيكند « بلدة بين جيحون وبخارى على مرحلة منها » ثم الى خرتنك قرية تبعد عنها فرسخين أو ثلاثة وعند خروجه دعا عليهم فقال : اللهم أرهم ما قصدونى به فى أنفسهم وأولادهم وأهلهم فاما خالد فلم يأت عليه ألا أقل من شهر حتى ورد أمر الطاهرية بأن ينادى عليه فنودى عليه وهو على أتان وأشخص على أكاف ثم صار عاقبة أمره الى ما قد اشتهر وشاع من

١ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٢ طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٤ مقدمة البخارى للشيخ عبد الفنى ص ٩٢ التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٥٢ .

من سجنه في بغداد حتى أن مات ولم يبق أحد ممن ساعده في أخراج البخارى الا ابتلى شديد البلاء وأما حديث ابن أبى الورقاء فانه ابتلى بأهله فرأى منهم ما يجلب عن الوصف وأما (فلان) أحد القوم وسماء فانه ابتلى بأولاده وآراه الله منهم البلى (١) والبخارى في موقفه هذا يمثل عزة العلماء وتوكلهم على الله واستمدادهم القوة والعزة من الله وحده وقد وصل بطهارته وعلمه وصفاته الخلقية الى درجة يدعو الله فيستجيب له.

مكانة البخارى في عصره

ان أبا عبد الله البخارى بعلمه وعقله وخلقه ودينه وصل الى درجة رفيعة في الكمال الانساني أجبرت الدنيا بأن تتطلع اليه وأنطق الألسن والقلوب بالثناء عليه .

ورغم نباهه شأن شيوخه وأقرانه وعلماء عصره الزاهر بالعلم فانه استطاع أن يصل في سلم الارتقاء الى درجات عالية تصعب على أفذاذ العلماء .

وقد تتابعت الروايات في نباهه شأنه وتقدمه والشهادة له بالامامة في العلم . واكتظت كتب الطبقات بالأسهاب في هذا المعنى اسهابا لم يتوفر في أى ترجمة من تراجم العلماء .

والمقدرون له الشاهدون بفضلهم على حد تعبير الامام النووى هم الأعلام أئمة المسلمين أولو الورع والدين والحفاظ النقاد المتقون الذين لا يجازفون بالعبارات بل يتأملونها ويحررونها ويحافظون على صيانتها أشد المحافظات .

والناظر يجد أن هذه الروايات انما تمثل إجماع المسلمين في عصر البخارى اذ هى تشع من مراكز اشعاع العلوم بالعالم الاسلامى ولم يقتصر ذلك على أهل بلد بعينه وقد نسق الخطيب البغدادى هذه الروايات

وقسمها بحسب أصحابها الى فصول ممتعة تبين أن مكانة البخارى مكانة عالمية قد طبقت الآفاق وان علمه أشرق على دنيا الاسلام فى عصره وان له الأثر الحسن فى كل بلد بما تركه فيه من علم نافع وخلق كريم وذكر هذه الروايات الذهبى فى سير أعلام النبلاء وذكرها بإسهاب الخطيب البغدادى تحت العناوين الآتية (وصف البصريين ومدحهم للبخارى) (وصف أهل الحجاز والكوفة) (ذكر البغداديين فضله) (قول أهل الرى فيه) .

(ما حفظ عن أهل خراسان وما وراء النهر من القول فيه)

وحسبى أن أمر سريعاً قانعا بذكر نماذج من تلك التقارير لكى تعطينا فكرة واضحة عن مكانة البخارى فى عصره وتدلنا على أنه نشأ للعلم عظيماً مقدراً منذ وجد وهذا انما يثبت فى النفوس قيمة مروياته ويبين لنا جليل عمله وفى طبيعة هذه النصوص القوة المعبرة التى لا تحتاج الى تعليق .

عن حاشد بن اسماعيل يقول كنت بالبصرة فسمعت قدوم محمد بن اسماعيل فلما قدم قال محمد بن يسار : دخل اليوم سيد الفقهاء . ويقول بن دار محمد بن بشار : ما قدم علينا مثل محمد بن اسماعيل . وعن أبى يوسف بن ريان قال : سمعت محمد بن اسماعيل يقول كان علي بن المدينى يسألنى عن شيوخ خراسان فكنت أذكر له محمد بن سلام فلا يعرفه الى أن قال لى يوما يا أبا عبد الله : كل من أثنت عليه فهو عندنا الرضا - ويقول البخارى ما تصاغرت نفسى عند أحد إلا عند على بن المدينى فيقول على زروا قوله هو ما رأى مثل نفسه . وبلغ من تقدير القوم له وثقتهم به أنه الجامع الحديث، أن يقول عمرو بن على حديث لا يعرفه محمد بن اسماعيل ليس بحديث . ويقول أبو معشر حمدوية بن الخطاب لما قدم أبو عبد الله محمد بن اسماعيل من العراق قدمته الأخيرة تلقاه من تلقاه من الناس وازدحموا عليه وبالغوا فى بره . فقل له فى ذلك وفيما كان من كرامة الناس وبرهم فقال كيف ولو رأيتم يوم دخولنا البصرة .

وقد كان معلوما للقوم ان الحديث اذا انتخبه محمد بن اسماعيل اتسم بالصحة وأصبح ذلك شهادة بصحته .

عن أبي حاتم قال : سمعت محمد بن اسماعيل يقول « كان اسماعيل ابن أبي أويس اذا انتخبت من كتابه نسخ تلك الأحاديث لنفسه وقال هذه أحاديث انتخبها محمد بن اسماعيل من حديثي . وقال أبو حاتم : سمعت حاشد بن عبد الله يقول . قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني : محمد بن اسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل فقال له رجل من جلسائه جاوزت الحد فقال أبو مصعب لو أدركت مالكا ونظرت الى وجهه ووجه محمد بن اسماعيل لقلت كلاهما واحد في الفقه والحديث . وهذه الرواية انما تعنى الشبه في الفقه والحديث والافلامح الوجه والجسم لا تفيد تعظيما أو تكريما .

وعن محمود بن النصر أبي سهل الشافعي يقول : دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة وجالست علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوهم على أنفسهم . وعن عبد الله بن أحمد ابن حنبل عن أبيه الامام أحمد انه قال : ما أخرجت خراسان مثل محمد بن اسماعيل ويقول يعقوب بن ابراهيم الدورقي محمد بن اسماعيل فقيه هذه الأمة . وعن موسى بن هارون الحمال ببغداد يقول عندي لو أن أهل الاسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل محمد بن اسماعيل آخر لما قدروا عليه - وعن أبي العباس محمد بن عبد الرحمن الفقيه يقول كتبت أهل بغداد الى محمد بن اسماعيل :

المسلمون بخير ما بقيت لهم
وليس بعدك خير حين تفتقد

وعن وراقه سمعت محمد بن اسماعيل يقول : قال لي محمد بن سلام انظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه كي لا أرويه ففعلت ذلك وكان محمد بن سلام كتب عند الأحاديث التي أحكمها محمد بن اسماعيل رضى الفتى وعند الأحاديث الضعيفة لم يرض الفتى فقال له

بعض أصحابه من هذا الفتى ؟ فقال هو الذى ليس مثله محمد بن اسماعيل - والمقصود ليس مثله فى عصره طبعاً .

وبلغ من حب القوم لمحمد بن اسماعيل أنهم يتمنون أن يقدوه بأنفسهم حفظاً للعلم . عن يحيى بن جعفر يقول لو قدرت أن أزيد فى عمر محمد بن اسماعيل لفعلت فأن موتى يكون موت رجل واحد وموت محمد بن اسماعيل ذهاب العلم . ويقول فيه رجاء بن المرجى محمد بن اسماعيل آية من آيات الله يمشى على الأرض وعن أبى عيسى الترمذى تلميذ البخارى صاحب الصحيح يقول : كان محمد بن اسماعيل عند ابن منير فلما قام من عنده قال : يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة . قال أبو عيسى فاستجيب له فيه وعن الترمذى أيضاً قال لم أر أحداً بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ والأسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل ويقول له تلميذه مسلم بن الحجاج لا يفيضك الا حاسد وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك وجاء مرة اليه فقبله بين عينيه وقال دعنى أقبل رجلك يا أستاذ الأساتذة وسيد المحدثين ويا طيب الحديث فى علله وعن حاشد بن اسماعيل يقول : رأيت اسحاق بن راهويه جالساً على السرير ومحمد بن اسماعيل معه فأنكر عليه محمد بن اسماعيل شيئاً فرجع الى قول محمد وقال اسحاق بن راهويه يا معشر أصحاب الحديث انظروا الى هذا الشاب واكتبوا عنه فانه لو كان فى زمن الحسن البصرى لاحتاج اليه الناس لمعرفة الحديث والفقه - وعن أبى بكر محمد بن اسحاق يقول : ما رأيت تحت اديم هذه السماء أعلم بالحديث من محمد بن اسماعيل البخارى - وعن عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندى يقول رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراقيين فما رأيت فيهم أجمع من أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى - وعن عبد المؤمن بن خلف التيمى قال : سمعت الحسن بن محمد يقول : ما رأيت مثل

محمد بن اسماعيل ومسلم الحافظ لم يكن يبلغ محمد بن اسماعيل ورأيت أبا زرعة وأبا حاتم يستمعون الى محمد بن اسماعيل أى شيء يقول يجلسون بجانبه فذكرت له قصة محمد بن يحيى فقال ماله ولمحمد ابن اسماعيل .

كان محمد بن اسماعيل أمة من الأمم وكان أعلم من محمد بن يحيى بكذا وكذا وكان محمد بن اسماعيل ديناً فاضلاً يحسن كل شيء .

ولهذه المكانة السامية المتأصلة في نفوس القوم كانوا يحرسون على علمه ويجتمع الألوف في مجلسه يتزاحمون عليه للالتفاف منه حتى في الطرقات يعدون خلفه انتظاراً لمجلسه وكانت له هذه المكانة الممتازة منذ مقتبل حياته يقول حاشد بن اسماعيل كان أهل المعرفة من أهل البصرة يعدون خلف البخارى في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق ويجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه وكان البخارى اذ ذاك شاباً لم يخرج شعر وجهه . وقال قتيبة بن سعيد جالست الفقهاء والزهاد والعباد فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن اسماعيل البخارى وهو في زمانه كعمر في الصحابة - وقال محمد بن يوسف الهمداني وقد سئل قتيبة عن طلاق السكران فدخل محمد بن اسماعيل البخارى وقال قتيبة للسائل هذا أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وعلى بن المدينى قد ساقهم الله اليك وأشار الى البخارى وعن ابراهيم بن سلام قال ان الرتوت « الرؤساء » من أصحاب الحديث مثل سعيد بن مريم المصرى ونعيم بن حماد الحميدى والحجاج بن منهال واسماعيل بن أويس والعدنى والحسن الخلال ومحمد بن ميمون صاحب ابن عيينة ومحمد العلاء والاشج وابراهيم بن المنذر الحزامى وابراهيم ابن موسى الفراء كلهم كانوا يهابون محمد بن اسماعيل ويقضون له على أنفسهم بالنظر والمعرفة وذكر أن الحاكم أبو عبد الله النيسابورى قال رحمه الله تعالى البخارى هو أمام أهل الحديث بلا خلاف بين أئمة النقل وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر سمعت العلماء بمصر يقولون

ما في الدنيا مثل محمد بن اسماعيل في المعرفة والصلاح ثم قال عبد الله وأنا أقول قولهم — وقال الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد ابن عقده لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن تاريخ محمد ابن اسماعيل ويقول الحافظ بن حجر في نهاية فصل الثناء على البخاري ولو فتحت باب ثناء الأمة عليه ممن تأخر عن عصره لفنى القرطاس ونفذت الأنفاس فذاك بحر لا ساحل له .

وبعد ما تقدم من ثناء مشايخه عليه لا يحتاج الى حكاية من تأخر لأن أولئك أثنوا بما شاهدوا ووصفوا بما علموا بخلاف من بعدهم فإن ثناءهم ووصفهم مبنى على الاعتماد على ما نقل اليهم وبين المقامين فرق ظاهر وليس العيان كالخبر .



الباب الثالث

منهج البخارى فى الجامع الصحيح

مكانة صحيح البخارى

هو الكتاب الذى قال فيه العلماء بحق أنه أصح كتاب بعد كتاب الله .

وهو الكتاب الذى أصبح البخارى به أمير المؤمنين فى الحديث وكتب له به الخلود ورفع ذكره مقترنا بالصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكما هو أسمى كتاب بعد كتاب الله هو أسمى مؤلفات البخارى وتعتبر مؤلفاته الأخرى كمقدمة أهلتها لهذا الكتاب العظيم فلم يبدأ البخارى فى كتاب الصحيح الا بعد أن قضى رحلة واسعة النطاق فى مؤلفات تدل على ثباته وتقدمه بمعرفة رجال الحديث وأحوالهم .

وهذا الكتاب كما هو المؤلف الهام فى حياة البخارى وحياة الاسلام عامة هو الجزء المهم فى الكتاب .

فأطلب من الله أن يمدنى بعونه حتى أوفق فى بيان منهج البخارى فى صحيحه مجليا قيمة عمله الدقيق . وبالله التوفيق .

الباعث على تصنيف البخارى للجامع الصحيح

تفاعلت الأسباب الداعية لابرار هذا المؤلف الجليل .
أولاً - الحاجة الى أفراد الحديث الصحيح حيث كانت الكتب المصنفة قبله منها ما هو ممزوج بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومنها ما هو مشتمل على الصحيح وغيره فكانت الحاجة داعية الى أفراد الحديث الصحيح ليخلص طالب الحديث من غناء السؤال والبحث .

ثانياً - مقدرة البخارى واكتمال نموه فى معرفة الحديث .

ثالثاً - شعور العلماء بالحاجة وبمكانة البخارى فوجهت اليه الدعوة من منزل شيخه إمام الحديث والفقهاء أسحاق بن راهويه بدعوة منه فى مجلس العلماء .

رابعاً - قوى عزم البخارى وشرح صدره وملأه همة وأقداما رؤية النبى صلى الله عليه وسلم وهو يذب عنه بمروحة فى يده وفسرت الرؤيا للبخارى بأنه يذب الكذب على النبى صلى الله عليه وسلم يقول الحافظ ابن حجر (١) فلما رأى البخارى رضى الله عنه هذه التصانيف (الموجودة فى عصره) ورواها وانتشق رياها واستجلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منه يشمله التضعيف .. فحركت همته لجمع الحديث الصحيح الذى لا يرتاب فيه أمين وقوى عزمه على ذلك ما سمعه من استاذه أمير المؤمنين فى الحديث والفقهاء أسحاق بن ابراهيم الحنظلى المعروف بابن راهويه قال : ابراهيم بن معقل النسفى قال : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى كنا عند أسحاق بن راهويه فقال : لو جمعتم كتابا مختصرا

لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوق ذلك في قلبي
فأخذت في جمع الجامع الصحيح (١) وروى كنت عند اسحاق فقال بعض
اصحابنا (٢) الخ ...

ويمكن الجمع بين الروایتين بأن اسحاق طلب منه أولا ثم طلب منه
بعض الحاضرين تأكيدا لقول اسحاق وقال محمد بن سليمان بن فارس
سمعت البخاري يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وكأني واقف
بين يديه ويدي مروحة فسألت بعض المعبرين فقال لي : أنت تدب عنه
الكذب فهو الذي حملني على اخراج الجامع الصحيح (٣) .

الاسم الكامل لصحيح البخاري

ان الأسم الكامل الذي سمي به أبو عبد الله البخاري كتابه هو
(الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسننه وأيامه) (٤) .

ولما كان أسمى ما يتسم به الكتاب ويرفع من شأنه هو واسمه
بالصحيح اشتهر بذلك اختصارا فأطلق عليه « صحيح البخاري » على
أن البخاري نفسه كان يطلق عليه في كثير من الأحيان اختصار الصحيح .

قال أبو علي الغساني سمعت البخاري يقول خرجت الصحيح من
ستمائة ألف حديث (٥) وقال ابن الصلاح والنووي :

« الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسننه وأيامه » والروايتان متقاربتان وليس بينهما خلاف

١ - تدوين الراوى ص ٢٤ للسيوطي .

٢ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ٨ وتهذيب الاسماء للنووي ج ١ ص ٦١ .

٣ - كشف الظنون ص ٥٤٤ شرح البخاري للنووي ص ٧ مقدمة الفتح ج ١ ص ٤ .

٤ - المقدمة لابن حجر وفي كتاب النكت المخطوط لابن حجر بعد المسند المختصر .

٥ - مقدمة ابن صلاح ص ٤ .

جوهري غير أن رواية ابن حجر يبدو أنها أصوب - يؤيد ذلك ما روى عن البخاري في وصف الجامع الصحيح وقوله صنف الجامع الصحيح لست عشرة سنة وخرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بيني وبين الله عز وجل (١) وعادة يذكر الصدر ويحذف المتأخر في الاختصار فهذا يدل على أن « المسند » بعد قوله « الصحيح » مما يكسب قول ابن حجر قوة في روايته والله أعلم .

مدة تأليف الجامع الصحيح ومكانه

لقد صنف البخاري جامعه الصحيح على مكث ومهل رغم محصوله العلمي الذاخر لانه توخى فيه الدقة الفائقة والعناية النادرة فصنفه في ستة عشر عاما وكان يعد نفسه لكل حديث بالغسل والصلاة قال البخاري (ما كتبت في كتاب الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين) (٢) .

وقال صنف الجامع الصحيح لست عشرة سنة خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة بيني وبين الله عز وجل (٣) .

أما مكان تأليفه فقد قال عبد القدوس بن همام سمعت عدة مشايخ يقولون حول البخاري تراجم جامعه بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره وكان يصلى لكل ترجمة ركعتين (٤) وروى عن البخاري أنه قال : صنف كتاب الجامع في المسجد الحرام وما أدخلت فيه حديثا الا بعد ما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته (٥) وفي شرح البخاري للنووي صنف البخاري صحيحه ببخارى وقيل صنفه بمكة

١ - مقدمة شرح النووي ص ٧ ومفتاح السعادة ج ٢ ص ٥ .

٢ - الوفيات ج ١ ص ٦٥٠ والتهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٢٩ .

٣ - شرح البخاري النووي ص ٧

٤ - مقدمة الفتح ج ٣ ص ٢٠٢ .

٥ - المقدمة ج ٢ ص ٢٠٢ .

قال الامام النووى والجمع بين هذا كله ممكن بل متعين فانا قد قدمنا عنه انه صنفه فى ست عشرة سنة فكان يصنف منه بمكة والمدينة والبصرة وبخارى والله أعلم .

ورأى الحافظ فى الجمع بين هذه الروايات انه أبتدأ تصنيفه ووضع التخطيط العام للكتاب كمسودة فى المسجد الحرام ثم أكمله وبيضه فى بخارى وغيرها واستدل على قوله بأن البخارى أقام فى تصنيفه ست عشرة سنة وانه لم يجاوز بمكة هذه المدة كلها وهذا هو رأى .

منهج البخارى فى رواية حديث الصحيح وشرطه

من أمتع ما قيل فى هذا المعنى وادقه قول الحافظ ابن حجر المتوفى سنة (٨٥٢ هـ) فى مقدمة كتاب النكت (١) « مختصر فتح البارى » فقد استخلص منهج البخارى فى شرطه من طريقين :

الأول من تسمية البخارى نفسه لكتابه .

الثانى من الاستقراء من تصرفه .

فأما أولا فأنه سماه الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه .

فعرفنا بقوله الجامع انه لم يختص بصنف دون صنف ولهذا أورد فيه الأحكام والفضائل والأخبار المحضة عن الأمور الماضية وعن الأمور الآتية وغير ذلك من الآداب والرقاق .

وبقوله الصحيح أنه ليس منه شيء ضعيف عنده . ويصرح بذلك قوله ما أدخلت فى الجامع الا ما صح .. وبقوله المسند أن الأصل تخرىج الأحاديث التى اتصل اسنادها ببعض الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم سواء أكان من قوله أو فعله أو تقريره .

وأن ما وقع فى الكتاب مما يخالف ذلك إنما وقع فيه تبعا عرضا

١ - مخطوط بمكتبة الازهر الشريف .

لا أصلا مقصودا فهذا ما عرف من كلامه (١) .

ثانيا : وأما ما عرف بالاستقراء من تصرفه فمحتاج أولا الى التعريف بالصحيح « عنده وعند غيره » .

وهو أن يكون الاسناد متصلا وأن يكون كل من رواه عدلا متصفا بالضبط فإن قصر احتاج الى ما يجبر ذلك التقصير—ويكون الحديث مع ذلك قد خلا من أن يكون معلولا أى فيه علة فادحة وأن يكون شاذا أى خالف رواية من هو أكثر عددا منه وأشد ضبطا مخالفة تستلزم التنافي ويتعذر معها الجمع الذى لا يكون متعسفا .

ثم كان ابن حجر دقيقا وعظيما فى زيادة ايضاحه بايضاح معنى الاتصال عند المحدثين وعند البخارى فبين بذلك شرط البخارى فى «المعنعن» وما فى حكمه من اشتراط اللقاء مع المعاصرة والثقة وعدم التدليس فقال « الاتصال عندهم ان يغبر كل من الرواة فى روايته عن شيخه بصيغة صريحة فى السماع منه كسمعت وحدثنى واخبرنى أو ظاهرة فى ذلك » كعن وان فلانا قال .

ثم بين أن شرط حمل المعنعن (القسم الثانى من الصنيع عند البخارى) أن يكون الراوى قد ثبت له لقاء من حدث عنه ولو مرة واحدة مع اشتراط أن يكون ثقة فاذا ثبت ذلك عنه حملت عنده «عننته» على السماع وسبب ذلك أن تقول اذا لم يثبت لقاءه له وانما عرفنا انه عاصره احتمل أن تكون روايته عنه عن طريق الإرسال لما عرف من عادة كثير ممن لم يوصف بتدليس انه يرسل واذا لم يترجح أحد الاحتمالين على الآخر لم يحسن الحمل على أحدهما .

فان قيل فلم يطرد ذلك فى جميع عننته (مع اللقاء وعدمه) فالجواب أن ذلك يخالف فرض المسألة لأنها مفروضة فى غير المدلس ولو كان بعد أن ثبت لقاءه لشيخه قد حدث عنه بالنعنة بما لم يسمعه لكان

١ - النكت لابن حجر وهو مختصر الفتح مخطوط بمكتبة الازهر وصل فيه الى كتاب الايمان والعلم وقد افه بعد كتاب فتح البارى .

بذلك مدلسا والفرض أنه غير مدلس فكان الاتصال ظاهرا في ذلك وعرف من هذا أن شرط البخارى في الاتصال أقوى وأتقن حيث اشترط عنده التلقى والمعاصرة بخلاف مسلم فقد اكتفى بالمعاصرة .

وطريق ثبوت اللقاء عند البخارى (١) .

يدور عنده على التصريح بالسماع في أسناد فاذا ثبت السماع عنده في موضع يحكم به في سائر المواضع .

ويبدع ابن حجر في تفصيله الدقيق واضعا أمام الباحث منابع الكلام ومصادره ومراكزه قائلا :

وكذا عرفنا بالاستقراء في تصرفه في الرجال الذين يخرج عنهم أنه ينتقى أكثرهم صحبة لشيخه وأعرفهم بحديثه وإن خرج من حديث من لا يكون بهذه الصفة فانما يخرج في المتابعات وحيث يقوم له قرينه بأن ذلك مما ضبطه هذا الراوى ، بمجموع ذلك وصفه الأئمة قديما وحديثا بأنه أصح الكتب المصنفة

قول الحافظ زين الدين أبى عبد الله محمد بن موسى الحازمى
المتوفى سنة ٥٨٤ هـ فى منهج البخارى فى شرطه

وقول الحازمى فى غاية الدقة والوضوح بل هو أصل لقول ابن حجر واستنباطه ، ويكاد يكون متنفذا معه فى المعنى لذا فقد ارتضاه ابن حجر مقتنعا به وموضحا له فى مقدمته حتى نقله الكثير على أنه رأى ابن حجر كما فعل الأستاذ على الجندى وأخوانه فى كتاب «أطوار الثقافة والفكر فى ظلال العروبة والاسلام» وقد تعرض الحازمى فى الكلام على شرط البخارى الى مقارنة بينه وبين الأئمة ، وضع البخارى فى قمتها الا أن الجديد العظيم فى كلام ابن حجر انه أوقف الباحث على منابع استنباط الشروط ومراكزها من كلام البخارى نفسه مما استنبط من كلامه فى تسميته للكتاب وما استنتجه من كلامه مباشرة ومن تعريفه الصحيح وما أخذه من كلام البخارى مباشرة من شرطه فى الاتصال بالنعنة ثم ما استنبطه منها عليه بأنه من تصرفه فى رجاله ووضع النقط على الحروف كما يقولون ولم يسبق بهذا النسق. ومع ذلك فكلام الحازمى هو أصل وسابق فى فضله ورأى ابن حجر معبر عنه لذا سأذكره مع تعليقات ابن حجر مستعينا بتصرفه ، مع الرجوع الى الأصل والمحافظة على كيانه والجدير بالذكر ان كلام الحازمى وابن حجر لم يرد عليهما اعتراض فكان كلامهما مسلما به عند العلماء فحسن تقديمه وتصدير الكلام به وتأخير ما اعترض عليه من رأى بن طاهر المقدسى والحاكم . قال الحافظ أبو عبد الله (١) الحازمى رحمه الله ما حاصله (٢) ان شرط الصحيح ان يكون اسناده متصلا وان يكون راويه مسلما صادقا غير

١ - فى شروط الائمة ابو عبد الله وعلق الكثرى بقوله هكذا فى الاصل وفى الذهبى وغيره .
ابو بكر وهو المشهور .

٢ - المقدمة للفتح جزء ١ ص ٦ شروط الائمة ص ٢٩ للحازمى بتصرف .

مدلس ولا مختلط متصفا بصفات العدالة ضابطا متحفظا سليم الذهن قليل الوهم سليم الاعتقاد .

قال ومذهب من يخرج الصحيح ان يعتبر حال الراوى العدل في مشايخه العدول فبعضهم حديثه صحيح ثابت وبعضهم حديثه مدخول قال : وهذا باب فيه غموض وطريق إيضاحه معرفة طبقات الرواة عن راوى الأصل ومراتب مداركهم فلنوضح ذلك بشال .

وهو ان تعلم ان أصحاب الزهرى مثلاً على خمس طبقات ولكل طبقة منها مزية على التى تليها فمن كان فى الطبقة الأولى فهو الغاية فى الصحة وهو مقصد البخارى .

والطبقة الأولى .

هى التى جمعت مزية الحفظ والاتقان وطول الملازمة لشيخها الزهرى حتى كان منهم من لازمه فى السفر وفى الحضر مثل مالك وابن عينة وعبيد الله بن عمر ويونس وعقيل الأيليين وشعيب بن أبى حمزة وجماعة سواهم .

والطبقة الثانية :

شاركت الأولى فى الثبوت الا أنها لم تلازم الزهرى الا مدة يسيرة فلم تمارس حديثه فكانوا فى الاتقان دون الأولى وهم شرط مسلم وذلك مثل عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى والليث بن سعد والنعمان ابن راشد وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر وغيرهم زاد ابن حجر وابن أبى ذئب وأكمل الحازمى الطبقات الى خمسة هى شروط لغير البخارى قال وقد يخرج البخارى أحيانا عن أعيان الطبقة الثانية ومسلم عن أعيان الطبقة الثالثة وذلك لأسباب تقتضيه وقد وضع الحازمى شرط البخارى فى قمة هذه السلسلة من شروط الأئمة قال فأما الطبقة الأولى فهم شرط البخارى وقد يخرج من حديث أهل الطبقة الثانية ما يعتمد عليه من غير

استيعاب وأما مسلم فيخرج أحاديث الطبقتين على سبيل الاستيعاب ويخرج أحاديث أهل الطبقة الثالثة على النحو الذي يصنعه البخارى فى الثانية والمراد من ذلك التنزل الى الدرجة الأخيرة عند الأعواز .

قال ابن حجر فى المقدمة معلقا على هذا قلت وأكثر ما يخرج البخارى حديث الطبقة الثانية تعليقا وربما أخرج اليسير من حديث الطبقة الثالثة تعليقا أيضا .

قول الحافظ أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى

المتوفى سنة ٥٠٧ هجرية ومناقشته

قال فى شروط الائمة الستة : إعلم ان البخارى ومسلما ومن بعدهما من الائمة لم ينقل عن واحد منهم انه قال شرطت أن أخرج فى كتابى ما يكون على الشرط الفلانى . وانما يعرف ذلك من سبر كتبهم فيعلم بذلك شرط كل رجل منهم (١) يعنى (٢) غير ما هو معروف من الخلاف بين الشيخين فى الاكتفاء بثبوت المعاصرة بين الراوى وشيخه بعد كونهما ثقتين كما هو عند مسلم أو اشتراط ثبوت اللقاء بينهما بعد كونهما ثقتين كما هو عند البخارى .

قال ابن طاهر : وشرط البخارى ومسلم ان يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته الى الصحابى المشهور من غير اختلاف بين الثقات ويكون إسناده متصلا غير مقطوع فان كان للصحابى راويان فصاعدا فحسن وان لم يكن له الا راو واحد فاذا صح الى ذلك الراوى أخرجاه .

الا ان مسلما أخرج أحاديث أقوام كحماد بن سلمه وسهيل بن أبى صالح وداود بن أبى هند وأبى الزبير الأسدى والعلاء بن عبد الرحمن ترك البخارى حديثهم لشبهة وقعت فى نفسه وانما أخرج مسلم حديثهم لان هذه الشبهة بالنسبة الى تلك الأحاديث خاصة ذهبت فى نظره وقد اعترض عليه الحافظ زين الدين العراقى فى شرح الفيته فى علوم الحديث عند ذكر مراتب الصحيح وكان اعترضه على قوله المجمع أو المتفق على ثقة نقلته الى الصحابى المشهور من غير خلاف بين الثقات فقال وليس ما قاله ابن طاهر بجيد لأن النسائى ضعف جماعة أخرج لهم الشيخان

(١) شروط الائمة للمقدسى .

٢ - تعليقات الكوثرى على شروط الائمة للحازمى .

أو أحدهما (١) وأجيب على ما في التدريب بأنهما أخرجنا من أجمع على ثقته الى حين تصنيفهما ولا يقدر في ذلك تضعيف النسائي بعد وجود الكتابين .

وقال الحافظ ابن حجر معقبا على ذلك :

تصنيف النسائي ان كان باجتهاده أو نقله عن معاصريه فالجواب ذلك وان نقله عن متقدم فلا ، ثم قال ويمكن أن يجاب بأن ما قاله ابن طاهر هو الأصل الذي بنى عليه أمرهما وقد يخرجان عنه لم يرجح يقوم مقامه فسلم بذلك كلام ابن طاهر فقد رد ابن حجر بتشقيق الجواب السابق فنقضه ثم أجاب هو اجابة معقولة ويمكن أن يناقش رده على الجواب السابق في موضع الرد وهو قوله وان نقله عن متقدم فلا ، فالقول بأن نقله ، لو كان عن متقدم لبينه النسائي ولو فرض انه رواه عن متقدم ولم يبينه فمن الجائز أن يكون نقلا عن غير الاثبات والاتفاق انما هو بالنسبة للاثبات الثقات فسلم التعريف .

(١) فتح المغيث ص ١ م ٤ والتدريب ص ٦ وشروط الائمة السنة للمقدس تعليقات الكونرى .

قول الحافظ الحاكم أبى عبد الله النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ هـ
ومناقشته :

قال الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابورى
الدرجة الأولى من الصحيح اختيار البخارى ومسلم وهو أن يروى
الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم صحابى زائل عنه اسم الجهالة
بأن يروى عنه تابعيان عدلان ثم يروى عن التابعى المشهور بالرواية عن
الصحابى وله راويان ثقتان ثم يرويه عن اتباع التابعين حافظ متقن له
رواة من الطبقة الرابعة ثم يكون شيخ البخارى أو مسلم حافظا مشهورا
بالعدالة فى روايته ثم يتداوله أهل الحديث بالقبول كالشهادة على
الشهادة (١) وقد اعترض عليه أبو الفضل المقدسى قال ان البخارى
ومسلما لم يشترطا هذا الشرط ولا نقل عن واحد منهما أنه قال ذلك
والحاكم قدر هذا التقدير وشرط لهما هذا الشرط على ما ظن ولعمري
أنه شرط حسن لو كان موجودا فى كتابيهما ، الا أنا وجدنا هذه القاعدة
التي أسسها الحاكم منتقضة فى الكتابين جميعا .

اعتراض الحازمى

واعترض عليه أيضا أبو بكر الحازمى بسا فى الصحيح
من الغرائب التي تفرد بها بعض الرواة فقد أخرجنا فى كتابيهما
أحاديث جماعة من الصحابة ليس لهم الا راو واحد وأحاديث
لا تعرف الا من جهة واحدة من ذلك حديث مرداس الأسلمى
« ويذهب الصالحون الأول فالأول » الحديث ، هذا الحديث
تفرد به البخارى بأخراجه ولم يرو عنه غير قيس بن أبى حازم رواه

(١) سير اعلام النبلاء ج ٨ مخطوط وشروط الأئمة الستة للمقدس س ١ .

البخارى عن يحيى بن حماد عن أبى عوانه عن بيان عن قيس عن مرداس
وليس لمرداس فى كتاب البخارى سوى هذا الحديث (١) .

وقال الحازمى فى شروط الأئمة :

ولا اعلم احدا من فرق الاسلام القائلين بقبول خبر الواحد اعتبر
العدد سوى متأخرى المعتزلة فانهم قاسوا الرواية على الشهادة فاعتبروا
فى الرواية ما اعتبروه فى الشهادة وما مغزى هؤلاء الا تعطيل الأحكام
كما قال ابو حاتم بن حبان واجاب عن الحاكم ابو على الفسائى (٢)
ونقله عياض عنه بأنه ليس المراد ان يكون كل خبر روياه يجتمع فيه
راويان عن صحابه ثم تابعيه فمن بمله فان ذلك يعز وجوده .

وانما المراد فى كلام الحاكم ان هذا الصحابى وهذا التابعى قدروى
عنه رجلا ن خرج بهما عن حد الجهالة .

ولم يرتض هذا القول ابو عبد الله بن المواق فقال ما حمل الفسائى
عليه كلام الحاكم وتبعه عليه عياض ليس بالبين ولا اعلم احدا روى
عنهما انهما أخرجا بذلك ولا وجود له فى كتابيهما ولا خارجا عنهما فان
كان قائل ذلك عرفه من مذهبيهما بالتصفح لتصرفهما فى كتابيهما فلم
يصب لان الامر بين فى كتابيهما وان كان اخذه من كون ذلك اكثريا فى
كتابيهما فلا دليل فيه على كونهما اشترطاه ولعل وجود ذلك اكثريا انما
هو لان من روى عنه أكثر من واحد أكثر ممن لم يرو عنه الا واحد فى
الرواه مطلقا لا ، بالنسبة الى من خرج له فى الصحيحين وليس من
الانصاف الزامهما هذا الشرط من غير ان يثبت عنهما ذلك مع وجود
اخلاهما به لانهما اذا صح عنهما اشتراط ذلك كان فى اخلاهما به درك
عليهما وقال الحافظ ابن حجر وهذا كلام مقبول وبحث قوى .

وقال فى مقدمته ما ذكره الحاكم وان كان منتقضا فى بعض الصحابة
الذين اخرج لهم الا انه معتبر فى حق من بعده فليس فى الكتاب حديث
اصل من رواية من ليس له الا راو واحد فقط .

(١) شروط الأئمة الخمسة من ٢٢ .

(٢) تدريب الراوى ٦٥ مطبقات الشيخ عبد الله .

على ان ابن حجر شك في نسبة شرط التعدد للحاكم وعزاه انه ربما يكون قد اشتبه فهمه على الحازمي من كلام الحاكم ، قال وكان الحازمي فهم ذلك من قول الحاكم كالشهادة لان الشهادة يشترط فيها التعدد . وأجيب باحتمال ان يريد بالتشبيه بعض الوجوه لاكلها كالاتصال واللقاء وغيرها ثم اوضح ابن حجر غلط من نسب هذا الى الحاكم في كتابه الفتح (١) .

فيين ان هذا في الواقع ليس شرطا للشيخين انما هو شرط لبعض العلماء كآبي على الجبائي بالنظر الى الصحيح عامة ونقل عن المازري نسبته الى أبي على الجبائي وبعض متأخري المعتزلة .

واليه يومئ الحاكم في الكتاب (٢) حيث يقول وصفة الحديث الصحيح أن يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابي زائل عنه اسم الجهالة بأن يرويه عنه تابعيان عدلان ثم يتداوله أهل الحديث بالقبول الى وقتنا هذا كالشهادة على الشهادة فعمم في علوم الحديث شرط الصحيح من حيث هو وخصص ذلك في المدخل بشرط الشيخين ويبدو انه شرط عام وليس خاصا بالصحيحين .

قال البيهقي في كتابه الزكاة من سنته عند ذكر حديث بهز عن أبيه عن جده ، فاما البخاري ومسلم فانهما لم يخرجاه جريا على عادتهما في أن الصحابي أو التابعي اذا لم يكن له الا راو واحد لم يخرجاه حديثه في الصحيحين .

قال الكوثري ويرد على هؤلاء بآخر حديث في البخاري «كلمتان خفيفتان» فهو فرد باعتبار المخرج كما نص عليه البرهان البقاعي فان أبا هريرة تفرد به عن النبي صلى الله عليه وسلم وتفرد به عنه أبو زرعة وتفرد عنه عمارة بن القعقاع وتفرد به عنه محمد بن فضل وعنه اتشر فرواه عنه اشكاب «الحسين بن ابراهيم العامري» (٣) وغيره .

(١) الحافظ بن حجر في شرح نخبة الفكر ص ٥ والتدريب للسيوطي ص ٦٦ .

(٢) تعليقات الكوثري على شروط الائمة الخمسة ص ١٠ ومعرفة علوم الحديث ص ٦٢ .

(٣) تعليقات الكوثري على شروط الائمة الخمسة ص ٢٠ .

وقال صاحب فيض الباري محمد أنور الكشميري الديوبندي (١)
أقول قول الحاكم أكثرى لا كلى ولعله أراد منه أن يصير الراوى
معروفا فلو روى واحد جليل القدر لكفى .

وهو تخريج وجيه من الكشميري ورأى الحاكم كماتين متعثر الخط
ورد عليه الكثير من الاعتراضات والاجابة عنها وكل الاعتراضات انما هي
منسوبة على ما نسب اليه من قوله اشتراط تعدد الرواة وما عدا ذلك من
اشتراط العدالة والثقة والحفظ فمسلم له ومتفق عليه ومع ذلك فله
فضل السبق .

وقد تبين من استعراض الاقوال في منهج البخارى في رواية حديث
جامعه الصحيح .

ان الذى قد وفاه وأجاد فيه من غير أن يرد اعتراض عليه لدقته انما
هو ابن حجر والحازمى وهما غير مختلفين فى المعنى كما اشرت غير أن
ابن حجر وان أخذ عن الحازمى الا أنه اكسب الباحث ثقة فى تحقق
استنباط هذه الشروط ونسبتها للبخارى حيث اوقف الباحث على
مصادرها ومنابعها من كلام ابى عبد الله البخارى نفسه وتصرفاته محددات
مركز كل قول اشترطه وجاء به .

فهو فى الواقع مكمل وموضح وموثق لكلام الحازمى فرأيهما
كرأى واحد متكامل فى وضوحه وثباته وقوته .
وبذلك أصبحت نسبة هذه الشروط الى منهج البخارى فى روايته
امرا واضحا لا مرية فيه .

هذا وقد روى البخارى غير ما ذكره ابن حجر فى منهجه فى الرواية
فى صحيحه ، أنه لم يذكر فيه حديثا الا بعد أن يتقن من صحته (وقال
البخارى وما أدخلت فى الصحيح حديثا الا بعد أن استخرت الله تعالى
وصليت ركعتين وتيقنت من صحته (٢) وخرجه من ستمائة الف حديث
وجعله حجة فيما بينه وبين الله (٣) .

(١) فيض الباري ج ١ ص ٣٦ .

(٢) المقدمة ج ٢ ص ٢٠٢ .

(٣) شرح النووى ص ٧ .

وقال وما أدخلت في الجامع الا ما صح وما تركته من الصحاح لاجل الطول (١) وقد صرح بأنه يروى عن الثقات بقوله كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزياده وليس عندي حديث لا أذكر اسناده .

وقد صرح ببيان منهجه في كتابة الحديث عامة فضلا عن منهجه في كتابه الصحيح الذي هو في الدرجة الأولى من مؤلفاته بما يوقف الباحث على مدى اهتمامه البالغ ودقته في حرصه على معرفة الرواة وكيفية عملهم وحال الرواة العدول مع مشايخهم في طريقة فريدة مبتكرة يقول البخاري (لم يكن كتابتي الحديث كما كتب هؤلاء) كنت اذا كتبت عن رجل سألت عن اسمه وكنيته ونسبته وحمل الحديث ان كان رجلا فها (فهو يصرح بالضبط المعبر عنه بضبط الصدر) .

فان لم يكن سألته أن يخرج الى أصله ونسخته (فهو هنا يصرح بالضبط المعبر عنه بضبط الكتاب) ويقول واما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون وكيف يكتبون (٢) .

ولقد كان البخاري دقيقا في موازينه وحكمه .

يقول ابن حزم ان البخاري اذا انكر السماع لا يقول ان فلانا لم يسمع من فلان بل يقول لم يثبت سماع فلان من فلان والناس لا يميزون بينهما فيحكون عنه أنه قائل بعدم سماعه منه مع انه ينكر الثبوت عنه دون السماع في نفس الأمر وهذا يدل على أن أمر السماع عنده انما يحكم به نظرا لثبوت اسناد عنده (٣) .

وبلغت به الدقة الى ترك الرواية عن كل راو فيه نظر من المحدثين مهما كان عنده من كثرة في الحديث ولا يكتفى بذلك بل له نظرة فيمن سلم في نظرهم وهو بمسلكه هذا لا يكتفى بتوثيق الثقات حتى يطمئن لهذا التوثيق بنفسه .

(١) سير اعلام النبلاء مخطوط بدار الكتب الجزء الثاني - ٨ ص ٢٢٨ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٥ .

(٣) فيض الباري .

يقول محمد ابن أبى حاتم سئل محمد بن اسماعيل عن خبر حديث فقال يا فلان أترانى أدلس ؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر وتركت مثله أو أكثر لغيره لى فى نظر (١) وهذا صريح فى أنه لا يروى عن المدلس ولا عن اتصف بأفات الجرح عامة ويصرح البخارى أيضا بأنه لا يروى الا عن سليم الاعتقاد يقول كتبت عن ألف وثمانين رجلا ليس فيهم الا صاحب حديث كلهم يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص .

فمن هذه التصريحات فضلا عما نقل من كلام ابن حجر الذى وفى المقام حقه يمكن أن يطمئن الباحث بأن البخارى رسم منهجه وشرطه فى رواية صحيحة خاصة وهو الدرجة الأولى كما أنه رسمه فى كل مروياته عامة مثل الأدب المفرد وغيره فهى صحيحة أيضا الا أن كتابه الجامع الصحيح كانت له المكانة الأولى فالزم نفسه فيه بأعلى مراتب الصحة .

لذا فقد اشترط ثبوت اللقاء (السماع) بخلاف مسلم فاكفى فى صحيحه بالمعاصرة ومع هذا فلم يخرج ذلك كتاب مسلم عن الصحة كما أن هذا لا يخرج أحاديث البخارى فى غير الصحيح عن الصحة وقد بين الكشميرى بأن خلاف البخارى مع غيره فى اشتراط السماع انما هو فى الجامع الصحيح خاصة لا فى الصحيح لذاته . قال وكيفما كان شرطه هذا انما هو فى كتابه خاصة لا للصحيح مطلقا فلا يخرج حديثا فى صحيحه الا بعد ثبوت السماع فيه ، وان كان صحيحا فى نفسه عنده أيضا فمخالفته للجماهير ليس فى نفس تعريف الصحيح بل هو شرط التزم به للصحيح فى كتابه فهذا تشديد فيه على نفسه فى هذا الكتاب فقط ولكل ذى همة وعزم ان يشدد على نفسه بما شاء ولا مساغ لاحد للطعن فيه ذق هذا فاسترح عما يختلج فى الصدور والله تعالى ولى الأمور (٢) .

(١) تاد بى بغداد ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) مقدمة الفيض ج ١ ص ٢٥

وتبلغ الثقة ذروتها في مقدرة البخارى على تنفيذ منهجه في رواية الجامع الصحيح وغيره ومدى معرفته للرواة واحوالهم بدراسة مؤلفاته التي ساعد لها فصلا مستقلا .

وحسبه في ذلك كتاب التاريخ الكبير الذي الفه قبل أن يبدأ في جامعه الصحيح .

قال فيه أبو أحمد الحاكم الكبير المتوفى سنة ٣٧٨ .

« وكتاب محمد بن اسماعيل في التاريخ كتاب لم يسبق اليه ومن الف بعده شيئا في التاريخ أو الاسماء أو الكنى لم يستغن عنه فمنهم من نسبه الى نفسه مثل أبى زرعه وأبى حاتم ومسلم ومنهم من حاكاه عنه فالله يرحمه فانه الذي أصل الاصول » (١) .

موضوع الجامع الصحيح

وموضوع الجامع الصحيح هو الحديث الصحيح المجرد وقد استبان موضوعه هذا في ضوء ما قيل في شرطه أنه اشترط فيه الصحة وأنه لا يدخل فيه الا حديثا صحيحا .

قال ابن الصلاح والنووى وابن حجر والنص له : وهذا أصل موضوعه وهو مستفاد من تسميته اياه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وأيامه ، وقد تقدم المراد بالمسند كما بين ابن حجر بأن موضوعه الاصلى تخريج الأحاديث التي اتصل اسنادها ببعض الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم سواء أكان قولاً أو فعلاً أو تقريراً وأن ما وقع في الكتاب مما يخالف ذلك انما وقع فيه تبعا عرضا لا أصلا ولا مقصودا (كالمعلقات والموقوفات) ويقول ابن الصلاح ويرجع الى هذا الخصوص قول البخارى : ما أدخلت في الجامع الا ما صح ، وكذلك يطلق قول الحافظ أبى نصر اللؤلؤي

(١) الطبقات الكبرى لابن السبكي ج ٢ ص ١٠ .

السجزي (أجمع أهل العلم الفقهاء وغيرهم على أن رجلا لو حلف بالطلاق ان جميع ما في كتاب البخارى مما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قد صح عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاله لاشك فيه أنه لا يحنث والمرأة بحالها في حبالته ، وكذلك ما ذكره أبو عبد الله الحميدى فى كتابه الجمع بين الصحيحين من قوله : لم نجد من الأئمة الماضين رضى الله عنهم اجمعين من أفصح فى جمع ما جمعه بالصحة . الا هذين الامامين (الشيخين) فانما المراد بكل ذلك مقاصد الكتاب وموضوعه ومتون الأبواب دون التراجم ونحوها وهذا بالنسبة الى شرط الاتصال بالصحة فالمقصود من موضوع الجامع انما هو الصحيح وليس معنى ذلك أن كله كذلك فقد ذكر تبعا واستثناسا المعلقة والموقوفات فلا يخرجها ذلك عن أصل موضوعه .

مكانة الموطأ من الجامع الصحيح

كتاب الموطأ للإمام مالك إمام دار الهجرة ومهبط الوحي أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي إمام الحديث والفقه معا ولد بالمدينة حوالي سنة ٩٣ هـ وتوفي سنة ١٧٩ هـ استغرق في تأليفه أربعين سنة قيل في سبب تسميته بالموطأ لأنه تجنب فيه شذائد ابن عمر ورفض ابن عباس ووطأه للناس كما أشار عليه المنصور فسماه الموطأ وذكر السيوطي في سبب تسميته مما روى عن مالك أنه قال عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ .

والامام مالك بتأليفه الموطأ أسس منهجا في جمع الحديث وتأليفه وخطا بالتأليف خطوة فعالة منهجية لها أثرها في كيان تصنيف الحديث فقد كان التدوين قبل مالك غير مبوب على ابواب العلم الجامعة، كما فعل محمد بن مسلم بن شهاب الزهري سنة ١٢٤ هـ في بدء التدوين الرسمي بأمر عمر بن عبد العزيز فجمع بغير تبويب على أبواب العلم ثم نهض التأليف في الجيل الذي يلي الزهري فكان أول من ألف الحديث ورتبه على الأبواب مالك بن أنس بالمدينة وابن جريج بمكة ومن جرى على نهجهم .

يقول ابن حجر والعراقي وكان هؤلاء في عصر واحد فلا يدري أيهم اسبق وذلك في سنة بضع واربعين ومائه ويقول صاحب مفتاح السنة وكل هؤلاء من أهل القرن الثاني وكان جمعهم للحديث مختلطا بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين وأشهر الكتب المؤلفة في المائة الثانية واسيرها ذكرا وابعدها صيتا وأجلها قبولاً الموطأ لمالك بن أنس امام دار الهجرة .

ويقول ولي الله الدهلوى :

أن المدينة المنورة كانت فى عهد الامام مالك ومن قبله مرجع الفضلاء ومحط رحال العلماء ولهذا كان ينبغ فيهما عن عهد النبي صلى الله عليه وسلم علماء الفتيا الذين كانوا قبلة العالم فورثهم جميعاً الامام مالك واطلع باعباء هذا الأمر الجليل فاخذ منهم العلم تداولاً كما يأخذ احدنا من الآخر شيئاً ملموساً لا مجال للشك فيه أخذاً وعطاء ، وادرج فى كتاب الموطأ ما حفظ عنهم وصار كتابه مرجعاً لطوائف العلماء من المحدثين والفقهاء .

درجة الموطأ والصحيحين

ثم بين ولي الله الدهلوى مكانة الموطأ والصحيحين من كتب السنه فيضعه فى درجة واحدة مع صحيح البخارى ومسلم وهى الدرجة الاولى فى الصحة فى كتب الحديث وفى ذلك يقول ولي الله المحدث الفقيه عبد الرحيم الدهلوى^(١) وطناً العمرى نسباً وكتب الحديث على طبقات وهى باعتبار الصحة والشهرة على أربع طبقات .. فالطبقة الاولى منحصرة فى ثلاثة كتب الموطأ وصحيح البخارى وصحيح مسلم وقال الشافعى أصح الكتب بعد كتاب الله موطأ مالك واتفق أهل الحديث على أن جميع ما فيه صحيح على رأى مالك ومن وافقه أما على رأى غيره فليس فيه مرسل ولا منقطع الا وقد اتصل السند به من طرق أخرى، فلا جرم أنها صحيحة من هذا الوجه وقد صنف فى زمان مالك موطآت كثيرة فى تخريج أحاديثه ووصل منقطعه مثل كتاب ابن أبى ذئب وابن عيينه والثورى ومعر وغيرهم ممن شارك مالكاً فى الشيوخ وقد رواه عن مالك بغير واسطة أكثر من ألف رجل وقد ضرب الناس فيه اكباد الابل الى مالك من آقاصى البلاد وتحقق قول النبي صلى الله عليه وسلم فى حديثه (يوشك أن يضرب الناس اكباد الابل فيطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة على ما قاله ابن عيينه وعبد الرازق وناهيك بهما) .

١ - حجة الله البالغة ج ١ ص ١٣٢ لولى الله الدهلوى باب طبقة كتب الحديث مراجعة بعض فضلاء الهند المطبعة النيرية بالقاهرة .

أثر الموطأ في صحيح البخارى وباقى كتب أئمة الحديث

يقول الدهلوى أن الكتب المصنفة فى السنن كصحيح مسلم وسنن أبى داود وما يتعلق بالفقه من صحيح البخارى وجامع الترمذى مستخرجات على الموطأ تحوم حومه وتروم رومه مطمع نظرهم فيها وصل ما أرسله ورفع ما أوقفه واستدراك ما فاتته وذكر المتابعات والشواهد لما أسنده وإحاطة جوانب الكلام بذكر ما روى خلافه ، ويعلق الشيخ محمد الشنقيطى على هذا القول بقوله: وهو كلام فى غاية الانصاف فله در من لقبه بولى الله ولم أقل هذا تعصبا لكتاب مالك والله الحمد بل لإطلاعى على الحقيقة. وتتبعى لروايته والوقوف على أعيان حديثه بإسانيدها فى الكتب الستة وغيرها فى كتب الأحاديث الموجودة بأيدي الناس وممن هو ضرورى عند المحدثين أن مشايخ أصحاب الكتب الستة ومن عاصرهم كالإمام أحمد فى مسنده أغلبهم تلامذة الإمام مالك الذين رووا عنه الموطأ بروايات عديدة قل أن تخلو واحدة عن زيادة تنفرد بها ولم يتركوا شيئا من أحاديث الموطأ بل أخرجوها فى مصنفاتهم ووصلوا كثيرا من مراسلاته ومنقطعاته وموقوفاته وبذلك يتضح ما نقله ولى الله (١) هـ .

وبالنظر الى كلام الدهلوى يجد الباحث أن الدهلوى منصف للغاية أنصف حماة الاسلام فأعطى الموطأ مكانته العالية السامقة وأعطى الصحيحين مكانتهما العالية السامقة وجعلهما فى طبقة واحدة من الصحة وبالتدقيق فى كلامه فى أثر كتاب مالك أيضا بالنسبة للصحيحين وغيرهما

١ - دليل السالك الى موطأ الإمام مالك مقدمة موطأ مالك للزرقانى .

كان منصفاً ومدققاً ومتحريراً في قوله فكما بين الاستفادة من موطأ مالك، بين العمل الجاد للمستفيد من الموطأ بما يثبت المقدرة العالية والشخصية القوية لمن أخذ من أصحاب الكتب شيئاً من موطأ مالك عامة وما أخذه البخاري خاصة مما يتعلق بأبواب الفقه حيث بين أن عملهم في هذا الجزء المأخوذ هو وصل ما أرسله ورفع ما أوقفه واستدراك ما فاتته وذكر المتابعات والشواهد لما أسنده وإحاطة جوانب الكلام بذكر ما روى خلافه، فمن يستطيع أن يصل المرسل ويرفع الموقوف ويستدرك على ما فات ويذكر المتابعات والشواهد ويحيط بجوانب الكلام غير الملم بالسنة ورجالها وفنونها المختلفة فأعمالهم متممة لأعمال الإمام مالك، ويرى ابن الصلاح وابن حجر والعراقي:

(أ) تقديم صحيح البخاري ومسلم على موطأ مالك .

(ب) ورتبوا على ذلك أن صحيح البخاري أول من صنف في الصحيح قال ابن الصلاح (١) أول من صنف في الصحيح أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي مولاهم وتلاه مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري من أنفسهم ومسلم مع أنه أخذ عن البخاري واستفاد منه يشاركه في أكثر شيوخه وكتابهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز، وأما ما رويناه عن الشافعي رضي الله عنه من أنه قال ما أعلم في الأرض كتاباً في العلم أكثر صواباً من موطأ مالك وروى بلفظ أصح كما في مقدمة الفتح فانما قال ذلك قبل وجود كتابي البخاري ومسلم، ثم إن كتاب البخاري أصح الكتابين صحيحاً وأكثرهما فوائد .. ووافق ابن حجر ابن الصلاح ونقل هذا النص في مقدمة الفتح .

وأورد اعتراض بعض الأئمة إطلاق أصح كتاب البخاري على مالك ورد عليه قال في المقدمة قال وقد استشكل بعض الأئمة

١ - مقدمة ابن الصلاح (علوم الحديث وشرحه التقييد والإيضاح في النكت على مقدمة ابن الصلاح للعراقي .

اطلاق اصحیة كتاب البخارى على كتاب مالك مع اشتراكهما فى اشتراط الصحة والمبالغة فى التحرى والتثبت وكون البخارى أكثر حديثا لا يلزم منه افضلية الصحة قال والجواب عن ذلك أن ذلك محمول على أصل اشتراط الصحة فمالك لا يرى الانقطاع فى الاسناد قادحا لذلك يخرج المراسيل والمنقطعات والبلاغات فى اصل موضوع كتابه والبخارى يرى الانقطاع علة فلا يخرج ما هذا سبيله الا فى غير أصل موضوع كتابه كالتعليقات والتراجم ولا شك أن المنقطع وان كان عند قوم من قبيل ما يحتاج به فالمتصل أقوى منه اذا اشترك كل من رواتهما فى العدالة والحفظ ، فبان بذلك شغوف كتاب البخارى ، وعلم ان الشافعى انما أطلق على الموطأ افضلية الصحة بالنسبة الى الجوامع الموجودة فى زمنه كجامع سفيان والثورى ومصنف حماد بن مسلمة وغير ذلك وهو تفضيل مسلم لا نزاع فيه اهـ .

ويلاحظ ان كلام ابن حجر هذا انما يفيد فى دعوى شدة البخارى فى الصحة على الموطأ ولكن لا يفيد أن الموطأ غير صحيح حتى يكون أول من صنف فى الصحيح الامام البخارى كما نقله عن ابن الصلاح، وقال مغلطاي انما مثل ذلك موجود فى كتاب البخارى وقال شيخ الاسلام ابن حجر أيضا على ما فى التدريب كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما لا على الشرط الذى تقدم التعريف به ، قال والفرق بين ما فيه من المنقطع وبين ما فى البخارى أن الذى فى الموطأ مسموع لمالك غالبا وهو حجة عنده والذى فى البخارى قد حذف اسناده عمدا لقصد التخفيف ان كان ذكره فى موضع آخر موصولا او لقصد التنويع ان كان على غير شرط ليخرجه عن موضوع كتابه وانما يذكر ما يذكر من ذلك تنبيها واستشهادا وتفسيرا لبعض الآيات وغير ذلك قال السيوطى فظهر بهذا ان الذى فى البخارى لا يخرج عنه كونه جرد منه الصحيح بخلاف الموطأ وقد سجل الشيخ الشنقيطى دفاعا وجيها للسيوطى (١)

١ - منهج الحديث قسم المصطلح للاستاذ فضيلة الشيخ السامحى ص ٣٢ .

تعليق على ما قال ابن حجر وكما ذكر في مقدمة شرح الاسيوطي للموطأ قال الاسيوطي ان ما في الموطأ من المراسيل مع كونها حجة عنده بلا شرط وعند من وافقه من الأئمة على الاحتجاج بالمرسل فهي أيضا حجة عندنا لان المرسل عندنا حجة اذا اعتضد ، وما من مرسل في الموطأ الا وله عاضد أو عواضد . فالصواب اطلاق ان الموطأ صحيح لا يستثنى منه وقد علق الشيخ عبد الغنى على كلام السيوطي بأن البخاري جرد في كتابه ما جمع على انه صحيح بذاته غير مفتقر الى تقوية غيره اهـ وأنت ترى ان هذا انما يفيد في دعوى أصحية كتاب البخاري على كتاب مالك ولا يفيد عدم اصحية كتاب مالك حتى يكون كتاب البخاري هو أول صحيح الف ونحى الحافظ العراقي منهج ابن حجر وقال بأن مالكا لم يفرد الصحيح وقال ان من بلاغاته احاديث لا تعرف كما ذكره ابن عبد البر فلم يفرد الصحيح اذن ، واجاب الجلال السيوطي بأنه ما من مرسل في الموطأ الا وله عاضد أو عواضد وقد صنف ابن عبد البر كتابا في وصل ما في الموطأ من المرسل والمنقطع والمعضل قال وما فيه من قوله بلغني ومن قوله عن الثقة عنده مما لم يكن يسنده واحد وستون حديثا كلها مسندة من طريق مالك الا اربعة لا تعرف .

وقد نقل الشيخ محمد حبيب الشنقيطي في كتابه دليل السالك الى موطأ مالك ان ابن الصلاح وصل هذه الأربعة قال :

وقد رأيت بعض متقني السنن من حاز في كل العلوم خير فن
عزا الى نجل الصلاح أن وصل أربعة الأخبار فالكل اتصل

وبين بأن المراد من بعض متقني السنن الى آخره هو الشيخ الفلاني شهره العمري نسبة المدني مهاجرا في حواشيه على شرح زكريا الانصارى على الفية العراقي قال ما نص المراد فيه وما ذكر العراقي من أن من بلاغاته ما لا يعرف مردود وبأن ابن عبد البر ذكر أن جميع بلاغاته ومراسيله منقطعة الا أربعة أحاديث وقد وصل ابن الصلاح الأربعة في تأليف مستقل وهو عندى وعليه خطه فظهر بهذا أنه لا فرق

بين الموطأ والبخارى وصح أن مالكاً أول من صنف في الصحيح كما ذكره ابن عبد البر وابن العربي القاضى والسيوطى ومغلطائى وابن ليون وغيرهم فافهم انتهى بلفظه منقولاً بخط صاحب الحواشى الشيخ صالح الفلانى المحدث المذكور كما ذكر الشنقيطى بأن ابن حجر رجع عن قوله وقرر بأن أول من ألف الصحيح هو الامام مالك وذلك فى كتابه النكت قال الشنقيطى :

أول من ألف فى الصحيح مالك الامام فى الصحيح
كما له ابن حجر قد رجعا فى نكت كان لها قد جمعا
ورأى الشنقيطى أن ما فى الموطأ من الموصول تضمنه الصحيحان الا ندورا قال :

وكل ما إسناده فيه اتصل كيف رواه عنه من عنه نقل
أخرجه الشيخان وفقاً أو أحد زين فكل واحد قد انفرد
بل أخرجوا المرسلات وما أشبهها مع اتصال سلماً

وبذلك تبين صحة الموطأ وانه أول صحيح ألف وهذه دعوى مستقلة ، لا تتنافى مع أن صحيح البخارى أصح ، ولا يعارض ذلك ما قاله الشنقيطى فى دعوى أخرى وهى أن الموطأ أقدم وأصل للصحيحين أى فى مجموعته ، ولا تتنافى هذه الدعاوى مع ما ذكره الدهلوى من أن الطبقة الأولى فى الصحة هى كتاب موطأ مالك وصحيح البخارى وصحيح مسلم ، ويبدو لى أنه ليس أمر مشكلة الأولوية فيما ألف فى الصحيح أهو الموطأ أو الجامع الصحيح للبخارى بالأمر الخطير الذى نستطيع من أجله أن ننحى سمة الصحة عن موطأ مالك لكى ثبت للبخارى أولية التأليف للصحيح فليس بالأمر الهين أن نغض من قيمة بناء شامخ له أثره فى حياة السنة وفى حياة الاسلام عامة، وان التفاضل والمقارنة بين هذين الكتابين الجليلين انما يجب أن تقتصر على أيهما أصح ، ولا تتعدى الى أيهما صحيح وأيهما غير صحيح ، وفى ضوء تفسير ابن حجر لمعنى الجامع فى تسميته (١) كتاب البخارى بأنه لم يختص بصنف دون صنف ،

ولهذا أورد فيه الأحكام والفضائل والأخبار المحضة عن الأمور الماضية والأمر الآتية وغير ذلك من الآداب والرقائق .. نستطيع أن نقول بأن البخارى أول من ألف الجامع الصحيح وإن مالكا أول من ألف الصحيح والحق أن صحيح البخارى جامع بالمعنى العام لأحاديث الفقه وغيرها من الأغراض بخلاف الموطأ فإنه لا يتوفر فيه هذا المعنى فإن معظمه وغالبيته فى الأحاديث التى تدور على أحكام الفقه وعلى ذلك يمكن أن يقال بحق أول من ألف فى الصحيح الإمام مالك وأول من ألف الجامع الصحيح الإمام البخارى ويسكن أن يقال أن الموطأ أول صحيح فى القرن الثانى وصحيح البخارى أول صحيح فى القرن الثالث ، ورأى الإمام النووى فى غاية الدقة حينما زاد على ابن الصلاح كلمة المجرد فى صحيح البخارى ملاحظا معنى الصحة فى كتابى الإمام مالك والإمام أحمد وهو بهذه الزيادة يعتبر قد حل الاشكال قال أول من صنف الصحيح المجرد البخارى (١) ثم مسلم وهما الكتب بعهد القرآن وبين السيوطى (٢) فى تنبهاته فى التدريب بأن قول النووى (المجرد) زيادة على ابن الصلاح احترز بها عما اعترض عليه من أن مالكا أول من صنف الصحيح وتلاه أحمد بن حنبل وتلاه مسند الدارمى وقال الدهلوى فى كتاب حجة الله البالغة أن مسند الدارمى إنما صنف لأسناد أحاديث الموطأ وفيه الكفاية لمن اكتفى وهذا هو الرأى الواضح الذى يحفظ على السنة كيانها ويحمد عليه النووى .

رواية البخارى للموطأ

وقد روى البخارى موطأ مالك عن بعض رواة الموطأ فأخذ عن عبد الله بن يوسف. الدمشقى الأصل التنيسى المسكن (٣) وهو ثقة وثقة البخارى وأبو حاتم وأكثر عنه البخارى فى صحيحه وغيره من كتبه

١ - التدريب ص ٣٩ والتعليق ١/٧٣ .

٢ - التدريب ٤١ .

٣ - نسبة الى تنيس بلدة بجزيرة بحر الروم قرب دمياط « القاموس » .

وأخذ عن سعيد بن عفير وهو سعيد بن كثير بن عقيد بن مسلم الانصارى
أخذ عن مالك والليث روى عنه البخارى وغيره وهو من أحد المحدثين
الثقات توفي في رمضان سنة ٢٢٦هـ ويقال بأن مصر لم تخرج أجمع
للعلوم منه وعن ابن بكير اشتهر لجده وهو يحيى بن بكير أبو زكريا
الموصوف بأخبار شوارد العلوم وجمع شتاتها المصرى أخذ عن مالك
والليث وروى عنه البخارى ومسلم بواسطة في صحيحهما وعن
أبى مصعب الزهرى اشتهر بكنيته واسمه أحمد بن أبى بكر القاسم
ابن الحارث بن زراره بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى
الصوفى قاضى المدينة وأحد شيوخ أهلها لازم مالكا وتفقه عليه وروى
عنه موطأه أخرج عنه أصحاب الكتب الستة وقد قالوا ان موطأه آخر
الموطآت التى عرضت على مالك ويوجد في موطئه زيادة مائة حديث
على سائر الموطآت الأخرى وقال بعض الفضلاء اختار أحمد بن حنبل
رواية عبد الرحمن بن مهدى والبخارى رواية عبد الله بن يوسف
التنيسى ومسلم رواية عبد الله بن يحيى التميمى الحنظلى النيسابورى
أبو زكريا ، وأبو داود رواية القعنبي والنسائى رواية قتيبة بن سعيد
وقال الزرقانى وهذا كله أغلبى والا فقد روى كل ممن ذكر عن غير
من عينه وقد عقب على ذلك المحدث الفاضل محمد حبيب الشنقيطى
وكان مسرفا ومغاليا في تعقيبه حيث قال ومن هنا نعلم بالضرورة ان
أصحاب كتب الحديث عالة على مالك وأصحابه وهو شيخ الجميع لأن
مدار الحديث اليوم على الكتب الستة ومسند أحمد وقد رأيت تعويل
الجميع على روايات الموطأ والسماع من أصحابه أ - هـ .

وكونهم عالة عليه دعوى فيها اسراف وغمط للمجهودات الجبارة
التي قام بها حماة الاسلام ، والحق انهم تأثروا به وانتفعوا من منهجه
ومادته ولكنهم ابتكروا في المنهج وفي جمع المادة فسلأوا رياضهم من
كل غرس طيب يانع عنده أو عند غيره .

وقد قال صاحب شرح تراجم أبواب صحيح البخارى ولى الله
أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى في مقدمة كتاب تراجم البخارى كان

أول ما صنف أهل الحديث في علم الحديث جعلوه مدونا في أربعة فنون من السنة اعنى الذى قالوا له الفقه مثل موطأ مالك وجامع سفيان ومن التفسير مثل كتاب ابن جريج ومن السير مثل كتاب محمد ابن اسحاق ومن الزهد والرقاق مثل كتاب ابن المبارك فأراد البخارى رحمه الله أن أن يجمع الفنون الأربعة في كتابه ويجرده لما حكم به العلماء بالصحة قبل البخارى وفي زمانه ويجرده للحديث المرفوع المسند وما فيه من الآثار وغيرهما انما جاء فيه تبعا لا أصالة اه فالحق أن الامام مالك له فضل سبق وقد دفع بمنهجه التصنيف دفعة قوية وطوره فوفر على الباحثين عناء البحث في مظان الحديث حينما ابتكر منهجه في التأليف على طريقة جمع الأبواب وكتابه حسب ان مدحه ناصر السنة الامام الشافعى ومما امتاز به لسبقه في الزمن علو الاسناد فأعلى أسانيده ثنائيه واعلى أسانيد البخارى ثلاثية ومما لا شك فيه أن البخارى سار على نهجه في طريقة الجمع والتأليف على الأبواب وأخذ من مادته في بعض أحاديث أبوابه الفقهية ولكنه ابتكر وجرد الصحيح فكان صاحب منهج له أثره في حياة السنة فالبخارى له شخصيته الباهرة وقوته ومزاياه والعبقري النابه يحافظ على ما ورثه من تراث قيم ويكون لمورثه الفضل في ذلك ويتصرف في هذا التراث وينميه ويبنى هو بمجهوده وشخصيته القوية صروحا خالدة تتميز بمميزات كل الجد جديدة..

نبى كما كانت أوائلنا نبى ونفعل مثلما فعلوا

وهذا هو ما كان من الامام البخارى وان شئت التحديد فكتاب مالك كما يقول الدهلوى انتفع به البخارى بما يتعلق ببعض أحاديث أحكام الفقه خاصة من حيث المادة كما انتفع بغيره من الرواة الثقات واذا وجدت مادة الحديث في غير أبواب الفقه فانما هى أحاديث لا تعدو أن تعد على أصابع اليد الواحدة .

وباطلاعى ومراجعتى (١) للموطأ شرح الزرقانى وجدت الامام مالكا

١ - شرح الزرقانى على الموطأ المطبوع بالطبعة الكستلية بمصر سنة ١٢٨٠ هـ ومقدمة الموطأ تعليق الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ط عيسى الحلبي .

المحدث العظيم المنصرف الى العناية بما يتعلق بأحاديث أحكام الفقه .
أما البخارى فقد فاقه وكانت مهمة الموطأ جزءاً من مهمة البخارى
فهو الجامع من غير منازع الى كل أصناف الحديث كما يبدو من النظر
فى صحيحه فقد اعتنى بأبواب أحاديث الفقه كما اعتنى بالمغازى والسير
والعقيدة والأدب . الخ .. كما قرر الدهلوى فى كلامه السابق
والاسماعيلى فى المدخل وغيرهما من الأئمة .

هذا مع انه لم يقل أحد بأن أحاديث أبواب الفقه فى البخارى
مقصورة على ما فى الموطأ ولم يتحقق ذلك كاملاً حتى فى باب واحد
من أبواب البخارى فالبخارى له قوته وبراعته وشخصيته فى أبواب
الفقه وغيرها فليس بعالة على غيره ثم هو حتى فيما أخذه من بعض أحاديث
الامام مالك له مجهوده وتصرفه برفع الموقوف ويستدرك على ما فات
ويذكر الملاحظات والشواهد كما انه يحيط بجوانب الكلام بذكر ما روى
خلافه فأى همة بعد ذلك ؟ .

واذا كنت قد جرنى الحديث الى القول بأن الموطأ اهتم بالعناية
بأحاديث أحكام الفقه وما فيه غير ذلك فهو قليل للغاية، وان جامع البخارى
يمتاز بالاستيعاب فالواجب هنا الايضاح حتى لا تختلط هذه الدعوى
البريئة وتلتبس بما ادعى على الامام مالك من غير حق بأنه فقيه وليس بمحدث
فهذه دعوى مجانبة للصواب وانما اقول ان امامته فى الفقه انما هى نتيجة لانه
بنى فقهه على أساس متين من الحديث وهو امام الحديث والفقه معا
وقد رد الدكتور السباعى أبلغ رد على من قال بأن الامام مالكا فقيه وليس
بمحدث من المستشرقين وأتباعهم فى قولهم أن الموطأ كتاب فقه لا كتاب
حديث (١) .

رأى فؤاد سيزكين

ولقد ذكر فضيلة الشيخ عبد الغنى فى مقدمة البخارى (٢) ان بعض
باحثى المسلمين فى مؤلف خاص باللغة التركية ادعى بأن البخارى أغار

١ - السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٤٩١ للدكتور السباعى .

٢ - مقدمة البخارى ص ١٢٠ للشيخ عبد الغنى .

على بعض الكتب التى سبقته كالموطأ وما اليه فنقل سائر ما تضمنته وكذب ذلك ووعد بالرد عليه ان شاء الله) اهـ .

ولقد علمت من السيد / مدير المخطوطات بدار الكتب المصرية الأستاذ فؤاد السيد بأن هذا الباحث اسمه فؤاد سيزكين وهو الآن أستاذ الأديان فى جامعات المانيا ومثل هذا يطمئن اليه الغرب ، ويحتضنه لشكك الناس فى مجهود حماة الاسلام ويهون من شأنهم وفى ذلك خطورة وخبت فالتقليل من قيمة صاحب المؤلف ينعكس على مؤلفه ويقلل من شأن كتابه حتى يصرف الناس عنه .

وكان استاذ الأديان هذا لم يعرف شيئا عن تاريخ رحلات البخارى ولم يتعرف على صحيحه والا فدعواه تنهار تماما بالنظرة الأولى لصحيح البخارى أو لفهارسه الجامعه وعند التطلع لقسمات تراجمه وأبوابه وترتيبها وما فيها من دقة لم يسبق اليها تصور دقة العالم الجامع فهو فى مظهر كتابه والتصرف فيه واستنباطه فى تراجمه وتبوييه مبتكر لا شك فى هذا ، وفى مادته مطوف على كل روض لم يقتصر على كتاب ولا عشرات من الرواة والكتب حتى يكون عالة على واحد منهم ولكن الأمر الذى لا شك فيه أنه لم يبتدع حديثا من عنده . وهل يعاب على ذلك ؟ وكأنى بصاحب هذه الدعوى وقد نسى مهمة البخارى وغيره من المحدثين بأنها الجمع من الثقات والدقة فى التأليف والتحرى فى الصحيح والتبويب والاستنباط وحسن العرض .

وظن أن على المحدث أن يترك أحاديث جديدة من عند نفسه لم يسبق اليها فى العصور التى بينه وبين النبى عليه السلام أو ان عليه الا ينظر أو يقدر من سبقه فلا يتعرض الى حديث مسطر فى كتب بل يتعنت ضد كل مؤلف ؟ وهذا مالا يليق ، فالبخارى فى الواقع طالب صحيح السنة يبحث عنها فى كل مكان حاملا معه المقاييس الصحيحة الدقيقة راحلا الى أئمة السنة قاطعا الفيافى والفقار مسجلا لرجال الحديث وأحوالهم وحسبه فى ذلك التاريخ الكبير وغيره من كتب الرجال التى

ألفها قبل تأليف الصحيح وإذا كان لابد من تصحيح لتعبير فؤاد سيزكين الضيق فانا نقول بأنه يغير على كل ثقة ويطوف على كل بستان نضر يمتص منه أسمى رحيقه الصافي ولكنه عالمي لا يختص بروض بعينه ولا تتحملة عشرات الرياض حتى يجمع مادته ومن هنا فقد روى عن آلاف الثقات حتى جمع الجامع الصحيح ، الجامع لكل أصناف الحديث وذلك مما يدل على مكاتته ومجهوده الجبار الذي يضي عليه وعلى كتابه كل تقدير وثقة وبهذا العموم في الرجال أيضا تميز على كتاب الموطأ ورجاله وكان هذا مميزا ثانيا فكما كان الجامع لكل صنف من الحديث كان الجامع لكل صنف من الرجال من كل قطر لأى بلد وجد فيه المحدثون قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه في علوم الحديث وجاء محمد ابن اسماعيل البخارى امام المحدثين في عصره وخرج أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التى للحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه أ هـ .

كما روى عن أهل الرى وواسط وخراسان ومرو وبلخ وهراة ونيسابور وبخارى وغيرها ، أما الامام مالك فلم يرحل عن المدينة التى هى منبع الحديث ومهبط الوحى لذا نجد معظم رواته من الحجازيين وكان البخارى فريدا في تراجمه وتقطيعه الحديث وتكراره ثم تجريده الصحيح فكان المميز عن غيره ولكل فضله وسماته التى تجعله فريدا في تأليفه وأماما في عصره .

ولقد كان الامام البخارى يقدر رواية الامام مالك رحمه الله فاذا وجد حديثا متصلا مرفوعا برواية مالك لا يعدل عنه الى غيره الا اذا لم يكن على شرطه فيورد له شواهد ومن المعلوم عند البخارى والمحدثين أن السلسلة الذهبية مالك عن نافع عن ابن عمر ولما كان أجل من روى عن مالك الشافعى قالوا الشافعى عن مالك عن نافع عن ابن عمر .

الموطأ من كتب الأصول فى السنة

الموطأ للامام مالك مما لا شك انه من الكتب الصحيحة ومن أصول السنة . فقد عد رزين بن معاوية في جامع الصحاح الأصول ستة الموطأ

وكتب الأئمة الخمسة . وتابعه ابن الأثير في جامع الاصول ومن ترك الموطأ ولم يعده من كتب الأئمة فكما يقول الكوثري في تعليقاته على كتاب الأئمة الخمسة للحازمي (١) ومن لم يجعل من بينها الموطأ فأئنا ذلك لاندماج أحاديثه فيها الا ما قل أ هـ .

وقال الدكتور السباعي (٢) وأما عدم عد الموطأ من الكتب الستة فلأنه أكثر فيه من المراسيل وهو وان كان يرى العمل بها لكن غيره من المحدثين لا يرون ذلك فهذا هو الذي منع عده في الكتب الستة أ هـ . وأقول لعل من عدى كتب الأئمة ولم يعد فيها الموطأ فانما يعد كتب الأئمة بالنسبة للعصر الثالث لاجتماعهم فيه، كما انه يمكن أن يقال ربما كانت شهرة الامام مالك وإمامته في الفقه وكذلك ابن حنبل اغنتهما في نظر بعض العادين عن عدهما في أئمة الحديث رغم امامتهما وبراعتهما فيه .

لكل موقوف أو مقطوع في الموطأ وصحيح البخارى أصل من الكتاب والسنة :

ويزيدنا ثقة بما لم يوصل في كتابي الامامين الجليلين مالك والبخارى ان نعلم فضلا عن جلالتهما وامامتهما في الحديث انه لا يوجد في الموطأ موقوف صحابي أو أثر تابعي الا وله عاضد من الكتاب والسنة (٣) كما لا يوجد في صحيح البخارى حديث عن الصحابة أو التابعين الا وله أصل من كتاب الله أو سنة رسول الله الصحيحة كما صرح البخارى بذلك .

عن أبي محمد (٤) بن أبي حاتم الوراق قال سمعت سليم بن مجاهد يقول كنت عند محمد بن سلام البيكندی فقال لي لو جئت قبل لرأيت صيبا يحفظ سبعة آلاف حديث قال فخرجت في طلبه حتى لقيته فقلت أنت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث قال نعم وأكثر ولا أجيئك

١ - الأئمة الخمسة للحازمي ص ٩

٢ - السنة ومكانتها ص ٤٩٣ .

٣ - موطأ مالك شرح الزرقاني تعليق محب الدين الخطيب .

٤ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤ .

بحديث عن الصحابة والتابعين الاعرفت أكثر مولدهم ووفاتهم ومساكنهم .
ولست أروى حديثاً من أحاديث الصحابة والتابعين ألا ولى فى ذلك
أصل أحفظه حفظاً من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

أثر صحيح البخارى فى ازهار السنة فى القرن الثالث وما بعده

لقد تسلم الامام البخارى لواء الحديث فى مطلع القرن الثالث الهجرى
وسلك به منهجاً قوياً أوصله درجة بالغة فى الصحة والكمال فقد كان
كتابه الخالد الجامع الصحيح له فضل سبق فى هذا القرن الذى ازدهر
بأئمة السنة فالامام مسلم والامام أبو عيسى الترمذى والامام النسائى
والامام أبو داود السجستانى وكتب هؤلاء الأئمة التى أصبحت المرجع
فى الأحاديث انما ظهرت بعد الجامع الصحيح وقد كان له أثر عظيم
فى توجيه مؤلفى هذه الكتب وإجادة مصنفىها .

وكان البخارى موضع تقديرهم وامام قافلتهم وأستاذهم جميعاً الذى
تأثروا به وشهدوا له .

وليس معنى التأثير ان يكون التلميذ نسخة من الأستاذ مقلداً له فى
كل شئ وظيفته المحاكاة فقط والا لو كان الأمر كذلك للاحق العيب
الأستاذ والتلميذ معا ولما كان منهج الأستاذ ناجحاً ولا كان تفكير التلميذ
مرناً .

بل قد يتأثر التلميذ النابه بالأستاذ النابه ويظهر فيه ذلك فى لون
من ألوان تصرفه وان كان مع ذلك يتسم بخصائص منفردة تحفظ له
ذاتيته ومجهوده وقد تقرب أو تبعد عما تأثر به ترتفع أو تنخفض كذلك
عن منهجه بعض الخطوات ولا يتسع المقام أن أبين خصائص كتب هؤلاء
الأئمة فى السنة . كلهم أو أقارنهم بصحيح البخارى ، امامهم فى منهجه
وباعث نهضتهم - خاصة وأنه لم يضع محدث ما أى كتاب من كتب
هؤلاء الأئمة فى كفة محاولاً وضعه فى جوار كفة البخارى أو قريابنه

اللهم الاتليذه الأول الذى لحق بشيخه أو قاربه وارتقى لما يقرب من مرتبته وأصبح كتابه قرين كتاب البخارى وأطلق عليهما معا الصحيحان وعند الاطلاق يعلم انهما صحيح البخارى وصحيح مسلم - ووضع فى درجة هى الدرجة الأولى من كتب الحديث واقترن ذكر مسلم بالبخارى وقيل لهما فى عرف المحدثين الشيوخان .

لذا سأكتفى بالحديث عنه مبينا تأثيره بصحيح البخارى وخصائصه وفيما عداه سأكتفى بنصوص الائمة التى تبين أثر صحيح البخارى فى كتب الائمة وتقدير الائمة له .

شهد للبخارى تلميذه الأول الامام مسلم ووصفه بأبلغ وصف فأطلق عليه انه سيد المحدثين وطبيب الحديث فى عله (١) ويقول ابو عيسى الترمذى (٢) الامام الجليل فى فضل الامام وعلمه : لم أر بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد ابن اسماعيل ويذكر الامام النووى أن من رواة البخارى الاعلام الامام مسلما بن الحجاج وأبا عيسى محمد بن عيسى بن سوره الترمذى وأبا عبد الرحمن النسائى وأبا حاتم وأبا زرعة الرازيين وكل هؤلاء أئمة الاعلام (٣) .

وقال الاسماعيلى عن الامام البخارى فى المدخل انه حاز سبق وبلغ الغاية (٣) وجمع الى ذلك حسن النية والقصد الى الخير ونفعه الله ونفع به وقد نحا نحوه فى التصنيف جماعة منهم الحسن بن على الحلوانى لكنه اقتصر عن السنن ومنهم أبو داود السجستانى وكان فى عصر أبى عبد الله البخارى فسلك فيما سماه سننا ذكر ما روى فى الشئ وان كان فى المسند ضعف اذا لم يجد فى الباب غيره ومنهم مسلم بن الحجاج فكان يقاربه فى العصر فرام مرامه وكان يأخذ عنه أو عن كتبه الا أنه لم يضايق نفسه مضايقة أبى عبد الله وروى عن جماعة كثيرة لم يتعرض أبو

١ - مقدمة شرح البخارى للنووى ص ٧ .

٢ - ابو عيسى الترمذى فى رسالة الدكتوراه الاستاذ نور العتر الدمشقى .

٣ - التهذيب للنووى ج ١ ص ٧٤ .

عبدالله للرواية عنهم وكل قصد الخير غير أن أحدا منهم لم يبلغ من التشدد مبلغ أبى عبد الله ولا تسبب الى استنباط المعانى واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ما له صلة بالحديث المروى فيه تسببه ولله الفضل يختص من يشاء وفى تقرير هذا المعنى يقول الحاكم أبو احمد النيسابورى رحم الله محمد بن اسماعيل فإنه ألف الأصول يعنى « أصول الأحكام من الاحاديث » وبين للناس وكل من عمل بعده فانما أخذه من كتابه كسليم بن الحجاج .

اثر منهج البخارى فى صحيح مسلم

من أشرف ما يتسم به الجامعان الصحيحان للبخارى ومسلم ويتفقان فيه باتفاق العلماء . وحسبهما فى ذلك شرفا وفضلا وصلة وثيقة انهما أصح الكتب بعد القرآن العزيز وأن الأمة تلقتهما بالقبول وما أروعا وأثبتها من مكانة رفيعة لا يسكن بأى حال أن تغير بما يقال بعد ذلك من تفصيل يراد به ابراز خصائص كل منهما ومزاياه وتأثير اللاحق منهما بالسابق فيما اتفقا فيه ويترتب على ذلك .

أولا - أثبات ذاتية مجهود الامامين فى كتابيهما وصلتهما ببعضهما .

ثانيا - أيهما أرجح وأفضل .

الجامع الصحيح للإمام مسلم

مؤلفة أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى نسبة النيسابورى وطنا إمام الحديث وتلميذ البخارى وخريجه وصاحبه .

ولد مسلم بنيسابور سنة ست ومائتين وكان منهجه فى تحصيل العلم نهج البخارى واسع الرحلات جواب الافاق طلبا للحديث وعاش حياة علمية حية بالتلقى والرحلة والتدريس والتأليف الى ان أدركته الوفاة سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور ولم يتجاوز خمسة وخمسين عاما .

موضوع الجامع الصحيح للإمام مسلم

وموضوع الجامع الصحيح للإمام المسلم هو الحديث الصحيح المجرد المسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نهج في تأليفه نهج البخارى في طريقة صحيحه في جمع الحديث الصحيح المجرد وتأليفه على أبواب العلم من فقه وخلافه متأثراً بطريقته غير انه اقتصر فيه على سرد المسند من غير أن يذكر الموقوفات الا نادراً ومن غير أن يذكر فيه تراجم الأبواب وقد قام بالتبويب والترجمة شراح كتابه وكان أعظم من أجاد في ذلك الامام محبى الدين أبو زكريا يحيى النووى .

قال النووى (١) ان مسلماً رحمه الله تعالى رتب كتابه على أبواب فهو مبوب في الحقيقة ولكنه لم يذكر تراجم الأبواب فيه لئلا يزداد بها حجم الكتاب أو لغير ذلك ثم قال النووى وقد ترجم جماعة أبوابه بتراجم بعضها جيد وبعضها ليس بجيد اما لقصور في عبارة الترجمة أو ركاكة لفظها وأما لغير ذلك وان شاء الله أحرص على التعبير عنها بعبارات تليق بها في مواطنها أ - هـ .

وقد جمع مسلم في كتابه أربعة آلاف من الأحاديث الصحاح غير المكرر وبالمكرره (٧٢٧٥) .

خصائص صحيح مسلم

١ - ليس فيه بعد الخطبة الا الحديث السرد ولم يتصد لما تصدى له البخارى من استنباط الأحكام وتقطيع الأحاديث وترجمة الأبواب وقد عقد النووى فصلاً في خصائصه قال : فمن تحرى مسلم رحمه الله اعتناؤه بالتمييز بين حدثنا وأخبرنا . وتقبيده ذلك على مشايخه وفي روايته وكان من مذهبه رحمه الله الفرق بينهما وان حدثنا لا يجوز اطلاقه الا لما سمعه من لفظ الشيخ خاصة وأخبرنا لما قرئ على الشيخ

١ - مقدمة صحيح مسلم شرح النووى ص ٢١ .

وهذا الفرق هو مذهب الشافعى وأصحابه وجمهور أهل العلم بالشرق وقال محمد بن الحسن الجوهري المصرى وهو مذهب أكثر اصحاب الحديث الذين لا يحصيهم أحد وروى هذا المذهب أيضا عن ابن جريج والاوزاعى وابن وهب والنسائى وصار هو الشائع الغالب على الحديث وذهب جماعات الى انه يجوز ان تقول فيما قرئ على الشيخ حدثنا وأخبرنا وهو مذهب الزهرى ومالك وسفان ويحيى بن سعيد القطان وآخرين من المتقدمين وهو مذهب البخارى وجماعة من المحدثين وهو مذهب الحجازيين والكوفيين وذهبت طائفة الى أنه لا يجوز اطلاق حدثنا ولا أخبرنا فى القراءة وهو مذهب ابن المبارك ويحيى بن يحيى واحمد بن حنبل والمشهور عن النسائى والله أعلم ، ومن ذلك اعتناؤه بضبط لفظ الرواة كقوله حدثنا فلان وفلان واللفظ لفلان وكذلك اذا كان بينهما اختلاف فى حرف من متن الحديث أو صفة الراوى أو نسبته أو نحو ذلك فانه يبينه وربما كان بعضه لا يتغير به معنى وربما كان فى بعضه خلاف فى المعنى ولكن كان خفيا لا يتفطن له الا من هو على اطلاع على دقائق الفقه ومذاهب الفقهاء ..

ومن ذلك تحريه فى مثل قوله حدثنا عبد الله بن سلمه حدثنا سليمان « يعنى ابن بلال » عن يحيى « وهو ابن سعيد » فلم يجوز رضى الله عنه أن يقول سليمان بن بلال ويحيى بن سعيد لكونه لم يقع فى روايته منسوباً فلو قاله منسوباً لكان مخبراً عن شيخه انه أخبره بنسبه ولم يخبره ومن ذلك حسن ترتيبه وترصيفه الأحاديث على نسق يقتضيه تحقيقه وكمال معرفته بمواقع الخطاب ودقائق العلم وأصول القواعد وخفيات علم الأسانيد ومراتب الرواة وغير ذلك .

يقول صاحب كتاب أطوار الثقافة والفكر الاسلامى (١) وليس لمسلم مزية فى صحيحه على البخارى الا انه لم يقطع الحديث فى أبوابه كما فعل البخارى فى بعض أحاديثه بل أنه روى كل حديث مستكملاً غير

١ - كتاب اطوار الثقافة والفكر الاسلامى للاستاذ على الجندى وزملائه ج ٢ ص ٣٢١ .

مجزء بأسانيده المختلفة في مكان واحد واقتصر فيما دونه على الأحاديث المتصلة دون الموقوفات التي ينتهي سندها الى الصحابة من غير أن يذكر فيها قول ، ولا فعل للنبي صلى الله عليه وسلم أه .

وهذا الأمر هو الذي استرعى أنظار أئمة الحديث ومنصفيه قال النووى والسيوطى في التدريب (١) اختص مسلم بجمع طرق الحديث في مكان واحد بأسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة فنهل تناوله بخلاف البخارى فانه قطعها فى الأبواب بسبب استنباط الأحكام منها وأورد كثيرا منها في مظانه .

وقال النووى في مقدمته شرح مسلم (٢) وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة جعلته أسهل متناولا من حيث انه جعل لكل حديث موضعا واحدا يليق به جمع فيه طرق الحديث التي ارتضاها واختار ذكرها وأورد منه أسانيده المتعددة وألفاظ الحديث المختلفة فيسهل على الطالب النظر في وجوه الحديث واستثمارها ويحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه بخلاف البخارى فانه يذكر تلك الوجوه المختلفة للحديث فى أبواب متفرقة متباعدة وكثيرا منها يذكره فى غير بابها الذى يسبق الى الفهم انه أولى به وذلك لدقيقة يفهما البخارى منه فيصعب على الطالب جمع طرقه وحصول الثقة بجميع ما ذكره البخارى من طرق هذا الحديث أ - ه .

ويلاحظ ان كلام النووى يشعر بدقة تصرف البخارى وان خفى ذلك على من ليس له قدم راسخة فى الحديث وان هذه الدقة انما يفهما البخارى والخواص فى معرفة الحديث ومن هنا ربما كان صعب المنال على غير العارفين بالحديث والذى حتم على البخارى ذلك المنهج تقطيع الأحاديث انما هو استنباطه وتراجمه وهذه ميزة لم يضح بها البخارى

١ - التدريب ص ٤٤ .

٢ - مقدمة صحيح ومسلم شرح النووى ج ١ ص ١٤ فى الموازنة بين الصحيحين .

فى سبيل سهولته على العامة ولذا قال شيخ الاسلام ابن حجر فى ذلك (١) :

واذا امتاز مسلم بهذا للبخارى فى مقابلته من الفضل ما ضمنه فى أبوابه من التراجم التى حيرت الأفكار .

وقد بين الامام مسلم نفسه (٢) فى أول مقدمته فى صحيحه انه عمد على تلخيص الطرق فى موضع واحد بلا تكرار ليسهل على العامة والخاصة كما بين بأن الذى ساقه انى التأليف انما هو تخطب العامة فى غير الصحيح وان ضبط القليل واتقائه من الحديث أيسر على المرء من معالجة الكثير منه ولا سيما عند من لا تميز له من العوام الا بأن يوقفه على التميز غيره ويبين بأنه انما يرجى بعض المنفعة فى الاستكثار وجمع المكررات من الحديث للخاصة من الناس ممن رزق فيه بعض التيقظ والمعرفة بأسباب الحديث وعلمه بخلاف عوام الناس الذين هم بخلاف معانى الخاصة من أهل التيقظ والمعرفة وقال مبينا لسائله ان من سبب تأليفه الحرص على هداية العوام قال وبعد يرحمك الله فلولا الذى رأينا من سوء ما صنعه كثير ممن نصب نفسه محدثا فيما يلزمهم من طرح الأحاديث الضعيفة والروايات المنكرة ، وتركهم الاقتصار على الأحاديث الصحيحة المشهورة مما نقله الثقات المعروفون بالصدق والأمانة بعد معرفتهم واقرارهم بألسنتهم أن كثيرا مما يقذفون به الى الأغبياء من الناس هو مستنكر ومنقول عن قوم غير مرضيين ممن ذم الرواية عنهم أئمة أهل الحديث مثل مالك بن أنس وشعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم من الأئمة لما سهل علينا الاستنباط لما سألت من التميز والتحصيل ولكن من أجل ما أعلمناك من نشر القوم الأخبار المنكرة بالأسانيد الضعاف المجهولة وقد ألقى بها الى العوام الذين لا يعرفون عيبها خف على قلوبنا اجابتك الى ما سألت أ - ه .

١ - التدوين ص ٤٥ .

٢ - من كلام الامام مسلم نفسه فى مقدمة صحيحه بتصرف ص ٤٥ شرح النووى .

ولهذه السهولة في صحيح مسلم شذأبو على الحسين بن علي النيسابوري عن اتفاق العلماء بتقديم صحيح البخاري على صحيح مسلم وقال بتقديم صحيح مسلم على صحيح البخاري أو فهم منه ذلك روى ابن الصلاح (١) عن أبي علي الحافظ النيسابوري أستاذ الحاكم أبي عبد الله بن البيع قال: « ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم بن الحجاج » فهذا وقول من فضل من شيوخ المغرب كتاب مسلم على كتاب البخاري قال ابن الصلاح ان كان المراد به ان كتاب مسلم يترجح بأنه لم يمازجه غير الصحيح فانه ليس فيه بعد خطبته الا الحديث الصحيح مسرودا غير ممزوج بمثل ما في كتاب البخاري فهذا لا بأس به ولا يلزم ان كتاب مسلم أرجح فيما يرجع الى نفس الصحيح وان كان المراد ان كتاب مسلم أصح صحيح فهو مرودو على من يقوله والله أعلم .

وعلق العراقي على ذلك بقوله (٢) قلت قد روى مسلم بعد الخطبة في كتاب الصلاة باسناده الى يحيى بن أبي كثير انه قال لا يستطاع العلم براحة الجسم فقد مزجه بغير الأحاديث ولكنه نادر بخلاف البخاري.

وقال شيخ الاسلام ابن حجر (٣) قول أبي علي ليس فيه ما يقتضى تصريحه بأن كتاب مسلم أصح من كتاب البخاري خلاف ما يقتضيه اطلاق الشيخ محيي الدين في مختصره « التقريب » وفي مقدمة شرح البخاري حيث يقول (٤) البخاري أول من صنف الحديث المجرّد واتفق العلماء على أن أصح الكتب المصنفة صحيحا البخاري ومسلم واتفق الجمهور على أن صحيح البخاري أصحهما صحيحا وأكثرهما

١ - مقدمة ابن الصلاح ص ١٤ والتدريب ص ٤٣ .

٢ - التقييد والايضاح لما اطلق واغلاق من مقدمة ابن الصلاح لشيخ الاسلام الحافظ

زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ص ١٤ المتوفى سنة ٨٠٦ هـ .

٣ - التدريب ص ٤٣ ومقدمة الفتح ج ١ ص ٦ .

٤ - مقدمة شرح البخاري للنووي ج ١ ص ٧ ومقدمة شرح مسلم للنووي في الموازنة بين

البخاري ومسلم ص ١٤ .

فوائد وقال الحافظ أبو على النيسابورى شيخ الحاكم أبى عبد الله :
صحيح مسلم أصح ووافق بعض علماء المغرب وأنكر ذلك عليهم
والصواب ترجيح البخارى على مسلم أ - هـ

قال ابن حجر وانما يقتضى نفى الأصحية عن غير كتاب مسلم عليه
لا اثباتها أما اثباتها له فلا ، لان اطلاقه يحتمل ان يريد ذلك ويحتمل
ان يريد المساواة فى نظره قال :

ومع احتمال كلامه ذلك فهو منفرد به سواء قصد الأول أو الثانى
وعلق ابن حجر فى المقدمة على كلام ابن الصلاح بقوله : واقتضى كلام
ابن الصلاح ان العلماء متفقون على القول بأفضلية البخارى فى الصحة
على كتاب مسلم الا ما حكاه عن أبى على من قوله المتقدم وعن بعض
شيوخ المغاربة ان كتاب مسلم أفضل من كتاب البخارى من غير تعرض
للصحة « بل الى المعنى الذى تقدم من السهولة فى الرجوع الى موضع
الحديث وسرد الصحيح » وعارض ابن حجر قول أبى على هذا بقول
من هو أعظم منه فقال رويناه بالاسناد الصحيح (١) عن أبى عبد الرحمن
النسائى وهو شيخ أبى على النيسابورى انه قال ما فى هذه الكتب كلها
أجود من كتاب محمد بن اسماعيل والنسائى لا يعنى بالجودة الا جودة
الأسانيد كما هو المتبادر الى الفهم من اصطلاح أهل الحديث ومثل هذا
من النسائى غاية فى الوصف مع شدة التحرى وتوقيه وتبته فى نقد
الرجال وتقدمه فى ذلك على أهل عصره حتى قدمه قوم من الحزاق
فى معرفة ذلك على مسلم بن الحجاج وقدمه الدارقطنى فى ذلك وغيره
على امام الأئمة ابى بكر بن خزيمة صاحب الصحيح وأورد ابن حجر
غير ذلك مما سأعرج عليه عند الكلام على مزايا وخصائص الجامع
الصحيح للبخارى وأقول ان سهولة الكشف والتناول فى الجامع
الصحيح للامام مسلم فى نظرى انما هى مستفادة وحاصلة بعد التبويب
والتراجم للكتاب وهذا من عمل شراح الصحيح لا من عمل الامام مسلم

وأما قبل التبويب والترجمة فإن الأحاديث وإن كانت متجمعة بطرقها المختلفة وألفاظها في مكان واحد لكنه نظرا إلى عدم تبويبها يصعب البحث في جوانب الكتاب حتى يهتدى الباحث إلى الموضوع الخاص الذي يريده وبعد تصنيف كتب مفاتيح الصحيحين أصبحت طرق حديث البخاري معلومة وكما يقول محب الدين الخطيب في كتابه توضيح البخاري بعد تنبيهه على مواضع تعدد وطرق الحديث قال وبذلك لم يعد فضل وميزة لكتاب مسلم بهذا على كتاب البخاري .

أفضلية صحيح البخاري على صحيح مسلم

أصبح من المعلوم أن الصحيحين هما أصح الكتب بعد كتاب الله وبهما رفعت راية السنة وضاعة في أبهى أدوار أوجها واتسم العصر الثالث بهما وبأثرهما فيمن بعدهما بأنه أزهى عصور جمع السنة ولم يرق إمام من أئمة الحديث بعدهما إلى مرتبتهما وفي معرض المفاضلة بين الصحيحين يجد الباحث أن صحيح البخاري مجمع على أفضليته إذا استثنينا رأى أبي على النيسابوري في تقديم صحيح مسلم في الصحة لأن أفضلية البخاري ثابتة بأمرين الأمر الأول : وهو ما عبر عنه ابن حجر بقوله من حيث الاجمال ويرجع إلى تقدير شهادة أهل الفن والحديث (١) بعد دراستهم الواعية أن أفضلية الصحيح للبخاري على مسلم ثابتة عن أئمة العلماء وقد نقل الاتفاق على تقدمه الإمام النووي وشيخه ابن الصلاح وغيرهما ، قال النووي في مقدمة شرحه لصحيح مسلم في الموازنة بين البخاري ومسلم :

اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول .

وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة

وقد صح ان مسلما كان يستفيد من البخارى ويعترف بأنه ليس له نظير
فى علم الحديث . وتصديقا لكلام النووى فقد روى فى تاريخ بغداد (١) .

قول الامام مسلم للبخارى: لا ييغضك الا حاسد وأشهد أن ليس
فى الدنيا مثلك . وعن أبى عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول سمعت
أبى يقول رأيت مسلم بن حجاج بين يدى محمد بن اسماعيل البخارى
يسأله سؤال الصبى المتعلم .

وقول النووى فى ترجيح كتاب البخارى هو المذهب المختار الذى
قال به الجماهير وأهل الاتقان والحقق بأسرار الحديث .

قال الذهبى وأما جامع البخارى الصحيح فأجل كتب الاسلام بعد
كتاب الله تعالى فلو رحل الشخص لسماعه من ألف فرسخ لما ضاعت
رحلته وقال النووى فى مقدمة شرحه للبخارى ومن أخص ما يرجح
اتفاق العلماء ان البخارى أجل من مسلم وأصدق بمعرفته للحديث
ودقائقه . وقد انتخب علمه ولخص ما ارتضاه فى هذا الكتاب وقال
شيخ الاسلام ابن حجر : اتفق العلماء على أن البخارى أجل من مسلم
ومسلم خريجه ولم يزل يستفيد منه ويتتبع آثاره حتى قال الدارقطنى
لولا البخارى ما راح مسلم ولا جاء وقال مرة أخرى وأى شئ صنع
مسلم انما أخذ كتاب البخارى فعمل عليه مستخرجا وزاد فيه زيادات
وهو وان أسرف فى ذلك فانما يؤخذ منه ترجيح البخارى على مسلم
وإثبات أنه قد استفاد منه وهو تلميذه الذى تأثر به فى حياته العلمية وكان
صاحب طاقة طيبة فكان له مجهودات علمية وكان لكتابه خصائصه
الذاتية التى تقدمت فى الحديث على صحيحه .

قال الحاكم أبو أحمد النيسابورى وهو عصرى أبى على النيسابورى
ومقدم عليه فى معرفة الرجال :

« رحم الله محمد بن على بن اسماعيل فانه الذى ألف الأصول »
(يعنى أصول الأحكام فى الحديث) وبين للناس وكل من أتى بعده فانما
أخذه من كتابه كمسلم بن الحجاج (١) والنقول كثيرة فى هذا المعنى
وحسبنا هذا القدر الذى يكاد يترأى منه اتفاق العلماء كما نقل ذلك
عن أئمة الحديث لأن البخارى أعلم بهذا الفن من مسلم وأنه أستاذه
وقد شهد مسلم بأنه ليس مثله ولا فى عصره من يدانيه فى فن الحديث
وعلموه كما أنه قد ترأى لنا من كلام الحاكم أبى أحمد وغيره أن منهج
البخارى هو الذى خرج أئمة الحديث بعده وفى مقدمتهم تلميذه الأول
الامام المسلم .

الأمر الثانى :

وهو ما يتعلق بتفصيل الأدلة على مقاييس الصحة .

ومعلوم أن مقاييس الحديث انما يدور على اتصال السند واتقان
الرجال والسلامة من الشذوذ والعلل فالبخارى أتقن رجالا وأشد
اتصالا وأبعد عن الشذوذ والعلة وبيان ذلك .

أولا : فيما يتعلق باتقان الرواة فصحيح البخارى أرجح على صحيح
مسلم .

(أ) ان الذين انفرد البخارى بالاخراج لهم دون صحيح مسلم
أربعمائة وبضع وثلاثون رجلا - المتكلم فيه بالضعف منهم (٨٠) رجلا
والذين انفرد مسلم بالاخراج لهم دون البخارى (٦٢٠) رجلا المتكلم

١ - مقدمة فتح البارى ٧/١ والتبذيب السوى ٧٤/١ .

فيه بالضعف منهم (١٦٠) رجلا ، ولا شك أن التخريج عن لم يتكلم فيه أصلا أولى من التخريج عن تكلم فيه وإن لم يكن ذلك الكلام قادحا .

(ب) أن الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيه لم يكثروا من التخريج عنهم وليس لواحد منهم نسخة كبيرة أخرجها كلها أو أكثرها الا ترجمة عكرمة عن ابن عباس .

بخلاف مسلم فانه أخرج أكثر تلك النسخ كأبى الزبير عن جابر وسهيل عن أبيه والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه وحماد بن سلمة عن ثابت وغير ذلك .

(ج) أن الذين انفرد بهم البخارى ممن تكلم فيه أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وميز جيدهم من غيرد . بخلاف مسلم فإن من انفرد بتخريج حديثه ممن تكلم فيه أكثرهم ممن تقدم عصره من التابعين ومن بعدهم ولا شك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه دون غيرهم .

(د) أن البخارى يخرج أحاديث الطبقة الأولى وهى أعلى الطبقات فى الحفظ والاتقان وطول الصفة عن أخذوا عنه استيعابا ويتلقى من أحاديث الطبقة الثانية التى دون الأولى فى الصفات المذكورة . ومسلم يخرج حديث الطبقة الثانية استيعابا وفى أصل موضوع كتابه فكان البخارى أقوى اسنادا واثق رجلا .

أما بالنسبة بما يتعلق باتصال السند :

فإن مذهب مسلم بل نقل الاجماع (١) فى أول صحيحه أن الاسناد المعنعن الذى يقال فيه (فلان عن فلان) له حكم الموصول بسمعت بمجرد كون المعنعن والمعنعن عنه كانا فى عصر واحد وإن لم يثبت

١ - مقدمة صحيح مسلم للإمام مسلم ص ١٢٧ شرح النووى باب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن اذا أمكن لقاء المعنعن ولم يكن فيهم مدلس ومقدمة مسلم للنووى ص ١٤ فى الموازنة بين البخارى ومسلم .

اجتماعهما والبخارى لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما ولو مرة وقد بين البخارى هذا المذهب فى تاريخه وجرى عليه فى صحيحه فان روى أحد عن أحد بالنعنة مع عدم المعاصرة واللقاء يكون رواية منقطعة عند الشيخين وان روى مع تحقق اللقاء والمعاصرة يكون رواية مقبولة عندهما .

ويظهر الخلاف بينهما . ان روى الراوى عن معاصره ولم يثبت لقاءه ، قبله مسلم ورده البخارى لعدم ثبوت السماع عنده فشرط البخارى أكثر فى الاتصال . وطريق (٢) ثبوت السماع عنده يدور على التصريح فى اسناد ثبت السماع عنده فى موضع فيحكم به فى سائر المواضع وهذا الشرط عنده انما هو للصحيح فى كتابه خاصة للصحيح مطلقا فمخالفته للجماهير ولمسلم ليس فى نفس تعريف الصحيح بل هو شرط التزمه للصحيح فى كتابه فهذا تشديد منه على نفسه فى هذا الكتاب فقط .

ولكل ذى همة وعزم ان يشدد على نفسه بما شاء .

اما بالنسبة بما يتعلق بالسلامة من الشذوذ والعلة :

فان الأحاديث التى انتقدت عليهما بلغت (٢١٠) مائتى حديث وعشرة أحاديث (٣) اختص البخارى منها بشمانية وسبعين واختص مسلم بمائة واشتركا فى الباقي وهو اثنان وثلاثون وقد وافقه مسلم فى تخريجها ولاشك أن ما قل الانتقاد فيه أرجح مما كثر فيه الانتقاد فثبت بذلك قول الامام مسلم بأن البخارى استاذ الاساتذة وسيد المحدثين وطبيب الحديث .

البخارى المسند فيه صحيح لآلته

وبما فضل به البخارى على مسلم كما فى فيض البارى (٣) ان مسلما يشتمل كتابه على الصحيح لذاته والصحيح لغيره الذى هو الحسن

١ - فيض البارى للكشميرى ج ١ ص ٥٠ .

٢ - مقدمة فتح البارى ج ١ ص ٨ و ج ٢ ص ٨١ لابن حجر .

٣ - فيض البارى ج ١ ص ٥١ للكشميرى .

كما في باب مذمة الشعر - بخلاف البخارى فانه يشتمل على الصحيح لذاته فقط وذلك لأنه جرى على اصطلاح القدماء ولم يفرق بين الحسن والصحيح وقد قال ابن تيميه ان تقسيم الحديث عند القدماء كان الى قسمين فقط صحيح وضعيف والحسن لذاته كان داخلا في الصحيح واليه جنح غير واحد من الائمة حتى انعقد الاجماع على ذلك .

قال الكشميرى دعوى الاجماع غير صحيحة لأن البخارى وعلى بن المدينى ممن يفرقان بينهما حتى جاء الترمذى وتبع فى ذلك شيخه البخارى فشهره ونوه بذكره وعليه مشى فى جميع كتابه .

الصحيحان لم يستوعبا الصحيح ولا رواته

ان البخارى لم يستوعب الأحاديث الصحيحة (١) وقد صرح بذلك فقال ما أدخلت فى كتاب الجامع الا ما صح وتركت من الصحاح لحال أو لأجل الطول : وفى رواية وتركت من الصحاح حتى لا يطول .

وقال أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتى ألف حديث غير صحيح وقال الاسماعيلى سمعت من يحكى عن البخارى أنه قال لم أخرج فى هذا الكتاب الا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر ومعلوم أن أحاديث الجامع لم تبلغ ما حفظ البخارى من الصحيح ومعنى ذلك أن البخارى لم يثبت كل حديث صحيح حفظه فضلا عن كل حديث صحيح وكل حديث على شرطه بل لم يستوعب الصحيحان معا الأحاديث الصحيحة .

قال السخاوى فى فتح المغيث ان الشيخين لم يستوعبا كل الصحيح فى كتابيهما بل لو قيل إنهما لم يستوعبا شروطهما لكان موجها وقد صرح كل منهما بعدم الاستيعاب فقد روى عن مسلم أيضا أنه قال ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ها هنا انما وضعت ما أجمعوا عليه قال ابن الصلاح (٢) اراد والله أعلم انه لم يضع فى كتابه الا الاحاديث

١ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ٨ وتهذيب النووى ج ١ ص ٧٤ .
٢ - التهذيب بن حجر ج ١ ص ٤٩ ومقدمة الفتح ج ١ ص ٤ .

التي وجد عنده فيها شرائط الصحيح المجمع عليه وان لم يظهر اجتماعها في بعضها عند بعضهم .

وقال الحافظ بن كثير : ثم ان البخارى ومسلما لم يلتزما باخراج جميع ما يحكم بصحته من الاحاديث فإنهما قد صححا احاديث ليست في كتابيهما كما ينقل الترمذى عن البخارى تصحيح احاديث ليست عنده بل في السنن وغيرها ، وبهذا يرد ما زعمه مؤلف فجر الاسلام الدكتور احمد أمين من أن ما جمعه البخارى في حديثه وهو أربعة آلاف من غير المكرر هو كل ما صح عنده من عدد الاحاديث التي كانت متداولة في عصره وبلغت ستمائة ألف .

وقال البلقينى على ما في التدريب (٢) قيل أراد مسلم اجتماع أربعة أحمد بن حنبل وابن معين وعثمان بن أبى شيبة وسعيد بن منصور الخراسانى ورووا عن مسلم أنه لما عوتب على ما فعل من جمع الأحاديث الصحاح في كتاب وقيل له ان هذا يطرق لأهل البدع علينا فيجدون السبيل لأن يقولوا اذا احتج عليهم بحديث قالوا ليس هذا في الصحيح قال ان ما أخرجت في هذا الكتاب وقلت هو صحاح ولم أقل ان مالم اخرجه من الحديث في هذا الكتاب فهو ضعيف .

قال النووى (٣) ولم يستوعبا الصحيح ولا التزامه أى الاستيعاب .

قال ابن الصلاح : والمستدرك للحاكم كتاب كبير يشمل على ما فاتهما على شىء كثير وان يكن في بعضه مقال فانه يصفونه منه صحيح كثير .

قال النووى: والصواب - انه لم يفت الأصول الخمسة وهى الصحيحان وسنن أبى داود والترمذى والنسائى الا اليسير . وبناء على ذلك فلا يسوغ لمن اعترض على الشيخين وألزمهما احاديث لم

١ - اختصار ملوم الحديث ص ٩ .

٢ - التدريب ص ٤٧ .

٣ - مقدمة مسلم ص ٢٤ .

يخرجها مع كونها صحيحة على شرطها أن يعترض عليهما حيث لم يلتزما استيعاب الصحاح وصرحا بعدم التزامه .

قال النووى الزم الامام الحافظ أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى رحمه الله وغيره البخارى ومسلما رضى الله عنهما اخراج أحاديث تركا اخراجها مع أن أسانيدها أسانيد قد أخرج لرواتها في صحيحهما بها وذكر الدارقطنى وغيره أن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورويت أحاديثهم من وجوه صحاح لا مطعن في ناقلها ولم يخرجها من أحاديثهم شيئا فيلزم اخراجها على مذهبيهما .

وذكر البيهقى انهما اتفقا على أحاديث من صحيفة همام بن منبه وأن كل واحد منهما انفرد عن الآخر بأحاديث منها مع أن الاسناد واحد .

وصنف الدارقطنى وأبو ذر الهروى في هذا النوع الذى ألزموهما .

قال النووى : وهذا الالتزام ليس بلازم في الحقيقة فانهما لم يلتزما استيعاب الصحيح بل صح عنهما تصريحهما بأنهما لم يستوعبا كما أنه لا يلزم من عدم تخريج الشيخين لراو من الرواة سقوطه أو ضعفه فانهما لم يستوعبا الرواة الثقات المتوفرة فيهم صفات القبول والصحة:

قال الحازمى (١) ان قصد البخارى وضع مختصر في الحديث وانه لم يقصد استيعابا لا في الرجال ولا في الحديث . وقد قال لم أخرج في هذا الكتاب الا صحيحا ولم يتعرض لأمر آخر وكذلك الأمر في كتاب مسلم فلم يستوعب الثقات كلهم وهم كثرة ، ففى تاريخ البخارى أكثر من أربعين ألفا من الثقات .

وقد قال المحدث الشيخ محمد زاهد الكوثرى في تعليقه على شروط الأئمة الخمسة (٢) :

١ - شروط الأئمة الخمسة ص ٤٤ .

٢ - شروط الأئمة الخمسة للحازمى ص ٤٣ .

ومما يلفت اليه النظر ان الشيخين لم يخرجوا في الصحيحين شيئا من حديث الامام ابى حنيفة مع انهما أدركا صغار أصحاب أصحابه فأخذا عنهم ولم يخرجوا أيضا حديث الامام الشافعى مع أنهما لقياه بعض أصحابه ولا أخرج البخارى من حديث أحمد الا حديثين أحدهما تعليقا والآخر نازلا بواسطة مع أنه أدركه ولازمه ولا أخرج مسلم في صحيحه عن البخارى شيئا مع أنه لازمه ونسج على منواله . ولا عن أحمد الا قدر ثلاثين حديثا ولا أخرج أحمد في مسنده عن مالك عن نافع بطريق الشافعى وهو أصح الطرق أو من أصحابها الا أربعة أحاديث وما رواه أحمد عن الشافعى بغير هذا الطريق لا يبلغ عشرين حديثا مع أنه جالس الشافعى وسمع منه موطأ مالك وعد من رواة مذهبه القديم .

قال الشيخ الكوثرى معللا ذلك بقوله والظاهر من ديدنهم وأماتهم ان ذلك من جهة انهم كانوا يرون أذ أحاديث هؤلاء في مأمن من الضياع لكثرة أصحابهم القائلين بروايتها شرقا وغربا وجل عناية أصحاب الدواوين بأناس من الرواة ربما كانت تضع أحاديثهم لولا عنايتهم بها لأنه لا يستغنى من بعدهم عن دواوينهم في أحاديث هؤلاء دون هؤلاء ومن ظن أن ذلك لتحاميتهم عن أحاديثهم أو لبعض ما في كتب الجرح من الكلام في هؤلاء الأئمة كقول الثورى في أبى حنيفة وقول ابن معين في الشافعى وقول الكرايسى في أحمد وقول الذهلى في البخارى ونحوها فقد حملهم شططا أ . ه .

وكما كان السبب في بعض الأحيان في ترك بعض الرواة الثقات هو الاطمئنان على حفظ مروياتهم كذلك قد يكون السبب طلب علو الاسناد فقد يكون الحديث من طريق ذاك الامام نازلا ومن طريق غيره من الثقات عاليا فيختار صاحب الصحيح الطريق العالى لقربه من الرسول صلى الله عليه وسلم .

تحقيق معنى كون الحديث على شرط الشيخين أو أحدهما

رأى النووى وابن الصلاح وابن دقيق العيد أن معنى كون الحديث على شرط الشيخين أو أحدهما أن يكون رجال اسناده فى الكتاب الذى على شرطه . ورأى العراقى : أن معنى كون الحديث على شرط الشيخين أو أحدهما أن يكون رواته متوفرة فيهم صفات الرواة فى الكتاب الذى على شرطه . وقد اعترض العراقى على النووى ومن معه فقال : ليس ذلك منهم بجيد فإن الحاكم خرج فى خطبته للمستدرک بخلاف ما فهموه عنه فقال : وأنا أستعين الله تعالى على اخراج أحاديث رواتها ثقات قد احتج بمثلها الشيخان أو أحدهما فقله بمثلها أى بمثل رواتها لا بهم أنفسهم ويحتمل أن يراد بشل تلك الأحاديث وانما تكون مثلها اذا كانت بنفس رواتها وفيه نظر وتحقيق المثلية أن يكون بعض من لم يخرج عنه فى الصحيح مثل من خرج عنه فيه « فى صفات القبول والصحة » أو أعلى منه عند الشيخين .

طريق معرفة المثلية

وتعرف المثلية عندهما اما بنصهما على أن فلانا مثل فلان أو أرفع منه وقل ما يوجد ذلك واما بالالفاظ الدالة على مراتب التعديل كأن يقولوا فى بعض من احتجابه ثقة أو ثبت أو صدوق أولا بأس به أو غير ذلك من ألفاظ التعديل ثم يوجد عنهما أنهما قالا ذلك أو أعلى منه فى بعض من لا يحتج به فى كتابيهما .

فيستدل بذلك على أنه عندهما فى رتبة من احتجابه لأن مراتب الرواة معيار معرفتها ألفاظ الجرح والتعديل .

واعترض بأن هذا القدر لا يكفي فانهم لا يكتفون بالتصحيح بمجرد حال الراوى فى العدالة والاتصال من غير نظر الى غيره بل ينظرون فى حالته مع من روى عنه فى كثرة ملازمته له أو قلتها أو كونه من بلده ممارسا لحديثه أو غريبا عن بلد من أخذ عنه وهذه امور تظهر بتصفح كلامهم وعملهم فى ذلك أ . هـ (١) .

وفي هذا المعنى أيضا قال الحافظ الزيلعي فإن هذا القدر لا يكفي تكون الحديث على شرط البخاري لأن البخاري لا ينظر إلى ثقة الراوي فقط بل إلى ملازمته لشيخ روى عنه أيضا ويمكن أن يكون الراوي ثقة في نفسه ومن رجاله ومع هذا لا يكون ملازما لهذا الشيخ الذي يروي عنه فحينئذ كيف ينبغي أن يحكم عليه مطلقا أنه على شرطه :

ثم ثقة الراوي وضعفه قد يكون في نفسه وقد يكون بالنسبة إلى شيخ معين فيكون ثقة في نفسه وضعيفا في هذا الشيخ مثل هشيم بن بشير ثقة في نفسه وضعيف في الزهري لأنه لما كتب عنه أحاديث ورجع اشتد الريح في الطريق وطارت بأوراقه فكتبتها عن حفظه .

وقال الكشميري ينبغي أن يوسع الأمر من ذلك فإن هذا التصحيح إنما يناسب شأنه وعلمه وعندي يحكم عليه أنه على شرطه ما لم توجد فيه علة في خصوص هذا المقام من أهل الشأن في هذا الفن — ولا يلتفت إلى هذه الاحتمالات ليتوفر ذخيرة الحديث ولا يفقد كثير من الأحكام كما وقع على مذهب من رد الأحاديث المرسلة فإنه يلزم منه أن يضع حصة كثيرة من الدين فاعلمه .

وعلى هذا ينبغي أن يحكم على حديث من كان له إمام ثقة . الخ .. أنه على شرط الشيخين كما حكم به الشيخ ابن الهمام رحمه الله تعالى وأرضاه اهـ .

أما رأي شيخ الإسلام ابن حجر فلم يرقه رأي العراقي واعترض على اعتراضه وقال إن الحاكم استعمل لفظ مثل في أعم من الحقيقة والمجاز في الأسانيد والمتون دل على ذلك صنعه فإنه تارة يقول على شرطهما وتارة على شرط البخاري وتارة على شرط مسلم وتارة صحيح الإسناد ولا يعزوه لأحدهما وأيضا فلو قصد بكلمة مثل معناها الحقيقي حتى يكون المراد احتج بغيرها ممن فيهم من الصفات مثل ما في الرواة الذين خرج عنهم — لم يقل قط على شرط البخاري فإن

شرط مسلم دونه فما كان على شرطه فهو على شرطهما لأنه حوى شرط مسلم وزاد .

وقال ابن حجر ووراء ذلك كله أن يروى اسنادا ملفوقا من رجالهما كسماك عن عكرمه عن ابن عباس فسمك شرط مسلم فقط وعكرمه انفرد به البخارى . والحق أن ليس على شرط واحد منهما .

وآدق من هذا أن يروى عن أناس ثقات ضعفوا في أناس مخصوصين من غير حديث الذين ضعفوا منهم فيجىء عنهم حديث من طريق من ضعفوا فيه برجال كلهم في الكتاين أو أحدهما . فنسبة انه على شرط من خرج له غلط كأن يقال في هشيم عن الزهرى وكل من هشيم والزهرى أخرجا له فهو على شرطهما : فيقال بل ليس على شرط واحد منهما . لأنهما انما أخرجا لهشيم في غير حديث الزهرى فانه ضعف فيه وكذا همام ضعيف في ابن جريج مع أن كلا منهما أخرجا له لكن لم يخرج له عن ابن جريج شيئا .

فعلى من يعزو الى شرطهما أو شرط واحد منهما أن يسوق ذلك السند بنسق رواية من نسب الى شرطه ولو في موضع من كتابه .

وكذا قال ابن الصلاح (١) في شرح رواية مسلم من حكم لشخص بمجرد رواية مسلم عن أنه في صحيحه وانه من شرط الصحيح فقد غفل وأخطأ بل ذلك متوقف على النظر في كيفية رواية مسلم عنه وعلى أى درجة أعتمد عليه .

ونستخلص من كل ذلك بأنه يمكن أن يقال ان المراد بكون الحديث على شرطهما أعم من ان تتوفر في رواته صفات القبول عندهما مع مراعاة حال الراوى فيمن روى عنه وان لم يكن الاسناد فى كتابهما أو اذا توافرت الصفات مع مراعات حال الراوى فى مشايخه وذكر فى كتابيهما من باب أولى والله أعلم .

الاتفاق على وجوب العمل بما فى الصحيحين والخلاف فى افادة احاديثهما القطع أو الظن ؟؟

رأى النووى أن احاديث الصحيحين التى لم تتواتر ثابته بالظن لا بالعلم القطعى ويجب العمل بها وهو رأى الاكثرين ومحققى الأصول .

قال (١) ان المحققين والاكثرين قالوا احاديث الصحيحين التى ليست بمتواترة تفيد الظن فانها آحاد والآحاد انما تفيد الظن : ولا فرق بين البخارى ومسلم وغيرهما فى ذلك وتلقى الامه بالقبول انما افادنا وجوب العمل بما فيها وهذا متفق عليه . فان أخبار الاحاد التى فى غيرها يجب العمل بها اذا صحت اسانيدها ولا تفيد الا الظن فكذا الصحيحان .

وانما يفترق الصحيحان عن غيرهما من الكتب فى كون ما فيهما صحيحا لايحتاج الى النظر فيه بل يجب العمل به مطلقا وما كان فى غيرهما لايعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح .

ورأى ابن الصلاح وابن حجر والسيوطى أن احاديث الصحيحين تفيد القطع واليقين - فضلا عن الاتفاق مع النووى وغيره بأنه يجب العمل بها .

قال الحافظ أبو عمرو بن الصلاح جميع ما حكم به الشيخان مقطوع بصحته والعلم النظرى حاصل بصحته فى نفس الأمر لان الأمة تلقت ذلك بالقبول سوى من لا يعتد بخلافه ووفاقة فى الاجماع قال والذى نختاره أن تلقى الأمة للخبر المنحط عن درجة التواتر بالقبول يوجب العلم النظرى بصدقه خلافا لبعض محققى الاصوليين حيث نفى ذلك بناء على أنه لا يفيد فى حق كل منهم الا الظن وانما قبله لانه يجب عليه العمل بالظن والظن قد يخطئ .

قال ابن الصلاح وهذا مندفع لان ظن من هو معصوم من الخطأ لا يوجد خطأ والامة فى اجماعها معصومة من الخطأ .

١ - مقدمة شرح مسلم صفحة ١٩ للنووى .

وقد قال إمام الحرمين الجويني لو حلف انسان بطلاق أمراته ان ما في كتابي البخارى ومسلم مما حكم بصحته من قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ألزمته الطلاق ولا حنث فيه لاجماع علماء المسلمين على صحتها.

قال : ولقائل ان يقول انه لا يحنث ولو لم يجمع المسلمون على صحتها للشك في الحنث فانه لو حلف بذلك في حديث ليست هذه صفته . لم يحنث وان كان راويه فاسقا فعدم الحنث حاصل قبل الاجماع فلا يضاف الى الاجماع — والجواب أن المضاف الى الاجماع هو القطع بعدم الحنث ظاهرا وباطنا . وأما عند الشك فعدم الحنث محكوم به ظاهرا مع احتمال وجوده باطنا . فعلى هذا يحمل كلام امام الحرمين فهو اللائق بتحقيقه .

فاذا علم هذا فما أخذ على البخارى ومسلم وقدح فيه معتمد من الحفاظ فهو مستثنى مما ذكرنا . لعدم الاجتماع على تلقيه بالقبول وما ذلك الا في مواضع قليلة .

وقال : على ما في التدريب (١) ان ما رواه او احدهما فهو مقطوع بصحته والعلم القطعى حاصل فيه — خلافا لمن نفى ذلك محتجا بأنه لا يفيد الا الظن وانما تلقته الأمة بالقبول لانه يجب العمل بالظن والظن قد يخطئ قال وقد كنت أميل الى هذا واحسبه قويا ثم بان لى ان الذى اخترناه أولا هو الصحيح لان ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطئ والأمة في اجماعها معصومة من الخطأ ولهذا كان الاجماع المبني على الاجتهاد مقطوعا به. وقال البلقينى ما قاله النووى وابن عبد السلام ومن تبعهما ممنوع .

فقد نقل بعض الحفاظ المتأخرين مثل قول ابن الصلاح عن جماعة من الشافعية كابى اسحاق وأبى حامد الاسفرايينى والقاضى أبى الطيب والشيخ أبى اسحاق الشيرازى — وعن السرخسى من الحنفية والقاضى عبد الوهاب من المالكية — وأبى يعلى وأبى الخطاب وابن الزاغونى

من الخنابله وابن فورك وأكثر أهل الكلام من الأشعرية وأهل الحديث قاطبة ومذهب السلف عامة بل بالغ ابن طاهر المقدسى فى صفة التصوف فألحق ما كان على شرطهما وإن لم يخرجاه .

وقال شيخ الاسلام ابن حجر ذكره النووى من جهة الأكثرين اما المحققون فلا ، فقد وافق ابن الصلاح أيضا بعض المحققين .

وقال فى شرح النخبة : الخبر المحتف بالقرائن يفيد العلم خلافا لمن أبى ذلك قال وهو انواع منها ما أخرجه الشيخان فى صحيحهما مما لم يبلغ التواتر . فانه احتف به قرائن منها جلالتهما فى هذا الشأن . وتقدمهما فى تمييز الصحيح على غيرهما وتلقى العلماء لكتائيهما بالقبول .

وهذا التلقى وحده أقوى فى افادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر الا ان هذا مختص بما لم ينتقده احد من الحفاظ . وبما لم يقع التجاذب بين مدلوليه حيث لا ترجيح لاحدهما على الآخر وماعدا ذلك فالاجماع حاصل على تسليم صحته .

قال وما قيل من أنهم اتفقوا على وجوب العمل لا على صحته فممنوع لانهم متفقون على وجوب العمل بكل ما صح ولو لم يخرجاه فلم يبق للصحيحين مزية والاجماع حاصل على ان لهما مزية فيما يرجع الى نفس الصحة ويحتمل أن يقال المزية المذكورة كون احاديثهما اصح الصحيح ثم قال ولا يحصل العلم الا للعالم المتبحر فى الحديث العارف باحوال الرواة والعلل . وكون غيره لا يحصل له العلم لقصوره عن الأوصاف المذكورة لا ينفى حصول العلم للمتبحر المذكور . هـ

وقال ابن كثير فى الباعث الحثيث (١) وانا مع ابن الصلاح فيما عول عليه وارشد اليه قال السيوطى وهو الذى اختاره ولا اعتقد سواه .

وقال الكشميرى فى كتابه فيض البارى (٢) ان رأى ابن الصلاح ومن وافقه هو رأى قال قد صرح الحافظ ابن حجر رضى الله عنه ان

١ - الباعث الحثيث صفحة ٢٣

٢ - فيض البارى ج ١ صفحة ٤٥ .

افادتهما القطع نظريا كاعجاز القرآن فانه معجز قطعاً الا انه نظرى
لا يتبين الا لمن كان له يد فى العلوم العربية عن آخرها .

فان قيل ان فيهما أخبارا آحادا وقد تقرر فى الاصول انها لا تفيد
غير الظن قلت لا خير فان هذا باعتبار الاصل وذلك بعد احتفاف
القرائن واعتراض الطرق فلا يحصل القطع الا لأصحاب الفن الذين
يسر لهم الله سبحانه التمييز بين النضة والقضة ورزقهم علما من احوال
الرواة والجرح والتعديل فانهم اذا مروا على حديث وتبعوا طريقه
وفتشوا رجاله وعلموا من أحوال إسناده يحصل لهم القطع . وان لم
يحصل لمن لم يكن له بصر ولا بصيرة .

ثم قال الا ترى ان الواحد جليل القدر اذا اخبرك بأمر فنظرت الى
حالته وثقافته وعلمه ودينه أيقنت بخبره كقلق الصبح ولا يبقى فى نفسك
قلق واضطراب وكفاك عن جماعة فان واحدا قد يزن جماعة بل يرجحهم
والآخر قد يكون كريشة طائفة لا يوازى جناح بموضة وان ابراهيم
كان أمة قاتنا ومن أمته من يجيىء يوم القيامة أمة واحدة .

وليس على الله بمستنكر ... ان يجمع العالم فى واحد .

فهذا تفاوت واختلاف بين الناس فخير الواحد مثل الأول يفوق على
خبر الذين ليسوا بثابته قطعاً وبقينا الا ان تلك الإفادة تكون لمن له
معرفة فى نقد الرجال وصفة الحديث وبمثله اجابوا مما كان يرد على
أهل قباء حيث استداروا الى الكعبة فى صلواتهم بخبر الواحد مع أن
قبلتهم كانت ثابتة بالقاطع فلم يكن التحول عنها جائزا لهم الا بالقاطع
ولم يجد غير خبر الواحد . وحاصل الجواب أنه كان عندهم خبر من
قبل أن النبى صلى الله عليه وسلم يجب أن يوجه الى البيت وانه
يقلب وجهه فى السماء طمعا فى الوحى وان ربه سيسارع الى مايرضاه
حتى اذا جاءهم ممن وثقوا به واحتف خبره بالقرائن اذ عنوا به وعلموا
ان ربه ولأه وحصل لهم اليقين لأن الخبر بعد تلك الاحتفافات صار
يفيد اليقين بعد ما كان ظنيا من اصله ونعم ما قال بعض العلماء ان أكثر

الاحاد كان مفيدا نلعلم فى عهدہ صلى الله عليه وسلم ولما كان هذا أمرا لا يستطيع انكاره احد جعل الحافظ هذا النزاع راجعا الى النزاع اللفظى فلم يبق فى نفس افادة القطع خلاف ولا شقاق وانما هو فى أن تلك الافادة بدیهية أو نظرية فمن ذهب الى انها تنفید القطع أراد به النظرى ومن انكرها أراد به الضرورى فانه تحقيق حقیق بالقبول ومن حاد فقد عدل عن المسلك القويم .

فان قيل وفيهما احاديث شك فيهما الراوى بنفسه وتردد فيها فكيف سبيل العلم بها ؟؟؟.

قلت هذا الوهم لم يوجد فى نفس الحديث الذى هو مدار المسألة وانما وجد فى الأمور الزائدة التى ليست لها دخل فى الحكم كتعيين اسم الراوى أو القصة ونحوها فلا يضر فى افادة القطع وهو تحليل رافع ثبت بذلك القطع فى افادة احاديث الصحيحين والاتفاق على وجوب العمل بها .

تعاليق البخارى

المعلق وهو الذى حذف من مبدأ اسناده واحد أو أكثر وقد أكثر منه البخارى فى صحيحه فتراه يذكره فى تراجمه .

وقد يكون التعليق بلفظ فيه جزم يفيد الحكم على من علقه عنه قال ابن الصلاح والعراقى والنووى وغيرهم فى حكمه ما كان بهذه الصيغة بلفظ فيه جزم وحكم به على من علقه عنه فقد حكم البخارى بصحته عنه والمعلق يشمل المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم بغير اسناد مثل :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا والموقوف على الصحابى مثل: قال ابن عباس كذا وكذا وروى ابو هريرة كذا وكذا والمقطوع على التابعى مثل: قال سعيد بن المسيب عن أبى هريرة كذا وكذا وعموما فهو يشمل كل ما رواه البخارى عن شيوخه فما فوقهم مثل قال الزهرى عن ابى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا وكذا .

واما ما أورده البخارى كذلك أى بصيغة قال وروى وذكر ونحوها من صيغ الجزم عن شيوخه فليس حكمه حكم التعليق عن شيوخه ومن فوقهم بل حكمه حكم العنونة من الاتصال بشرط اللقاء والسلامة من التدليس كما قال ابن الصلاح :

ولا يقال (١) فى رواية البخارى عن شيوخه مما لم يسمعه انه نوع من التدليس فى الاسناد (وهو ان يروى عن عاصره ما لم يسمعه منه - لان فيه ايهام - لان البخارى التزم فى كل ما يسمعه من شيوخه فى حال التلقى والأخذ حدثنا وما يماثلها من أخبرنا او سمعت ثم اصطلح لنفسه فى غير ذلك حيث لم يسمع أو لم يعول على السماع (قال) وان يقول فى الإجازة والمناولة والمذاكرة (قال لنا) ونحوها وبذلك يتبين مراده ، واذا تبين المراد فلا تدليس ولا ايهام وانما التدليس حيث

١ - المنهج قسم المصطلح لفضيلة الشيخ السماحى ص ١٤٨ .

يسوقها الراوى ولم يكن لنفسه اصطلاح معلوم فيوهم انه سمع ولم يسمع).

حكم تعاليقه المرفوعة في صيغ التمريض

أما الصيغة الثانية فهي صيغة التمريض مثل يذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا . وانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أو ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا أو فى الباب عن النبى صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فلا تستفاد منها الصحة الى من علق عنه لكن فيه ما هو صحيح وفيه ما ليس بصحيح فأما ما هو صحيح فلم يوجد فيه ما هو على شرطه الا مواضع يسيرة جدا ووجدناه لا يستعمل ذلك الا حيث يورد ذلك الحديث المعلق بالمعنى كقوله فى الطب :

ويذكر عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الرقى بفاتحة الكتاب فإنه اسنده فى موضع آخر من طريق عبيد الله بن الأخنس عن أبى مليكة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان قفرا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مروا بحى فيهم لديغ فذكر الحديث فى رقيتهم الرجل بفاتحة الكتاب وفيه قول النبى صلى الله عليه وسلم لما اخبروه بذلك :

((ان احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله)) فهذا كما ترى لما أورده بالمعنى لم يجزم به اذ ليس فى الموصول انه صلى الله عليه وسلم ذكر الرقية بفاتحة الكتاب انما فيه انه لم ينهم عن فعلهم فاستفيد ذلك من تقريره وأما ما لم يورد فى موضع آخر مما أورده بهذه الصيغة فمنه ما هو صحيح الا أنه ليس على شرطه . ومنه ما هو حسن ومنه ما هو ضعيف فرد الا ان العمل على موافقته ومنه ما هو ضعيف فرد لاجابرله .

فمثال الأول انه قال فى الصلاة ويذكر عن عبد الله بن السائب قال : «قرأ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم - المؤمنون فى صلاة الصبح حتى اذا جاء ذكر موسى وهارون أو ذكر عيسى أخذته سطة فركم » وهو

حديث صحيح على شرط مسلم أخرجه في صحيحه الا ان البخارى لم يخرج لبعض رواته وقال في الصيام ويذكر عن ابي خالد عن الاعمش عن الحكم ومسلم البطين وسلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد عن ابن عباس قال «قالت امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ان اختي ماتت وعليها صوم شهرين متتابعين» الحديث ورجال هذا الاسناد رجال الصحيح الا ان فيه اختلافا كثيرا في اسناده وقد تفرد أبو خالد سليمان بن حيان الأحمر بهذا السياق وخالف فيه الحفاظ من اصحاب الأعمش .

ومثال الثانى وهو الحسن قوله في البيوع « ويذكر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اذا بعت فكل واذا ابتعت فاكل » وهذا الحديث قد رواه الدارقطنى من طريق عبد الله بن المغيرة وهو صدوق عن منقذ مولى عثمان وقد وثق عن عثمان به وتابعه عليه سعيد بن المسيب ومن طريقه أخرجه احمد في المسند الا ان في اسناده ابن لهيعة ورواه ابن بى شبة في مصنفه من حديث عطاء عن عثمان وفيه انقطاع فالحديث حسن لما عضده من ذلك ومثال الثالث وهو الضعيف الذى لا عاضد له الا انه على وفق العمل قوله في الوصايا « ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قضى بالدين قبل الوصية » وقد رواه الترمذى موصولا من حديث ابي اسحاق السبيعى عن الحارث الأعور عن على والحارث ضعيف وقد استغربه الترمذى ثم حكى اجماع أهل العلم على القول به .

ومثال الرابع وهو الضعيف الذى لا عاضد له وهو فى الكتاب قليل جدا وحيث يقع ذلك فيه يتعقبه المصنف بالتضعيف بخلاف ما قبله فمن أمثله قوله فى كتاب الصلاة ويذكر عن ابي هريره رفعه «لا يتطوع» الامام فى مكانه ، ولم يصح ، وهو حديث أخرجه ابو داود من طريق ليث بن ابي سليم عن الحجاج بن عبيد عن ابراهيم بن اسماعيل عن ابي هريرة وليث بن ابي سليم ضعيف وشيخ شيخه لا يعرف وقد اختلف عليه فيه فهذا حكم جميع ما فى الكتاب من التعاليق المرفوعة بصيغتي الجزم والتريض .

وهاتان الصيغتان قد نقل النووى اتفاق محققى المحدثين وغيرهم على اعتبارهما وانه لا ينبغى الجزم بشيء ضعيف لانها صيغة تقتضى صحته عن المضاف اليه فلا ينبغى ان تطلق الا فيما صح قال وقد اهل ذلك كثير من المصنفين من الفقهاء وغيرهم واشتد انكار البيهقى على من خالف ذلك وهو تساهل قبيح جدا من فاعله اذ يقول فى الصحيح يذكر ويروى فى الضعيف قال وروى وهذا قلب للمعانى وحيد عن الصواب قال :

وقد اعتنى البخارى رحمه الله باعتبار هاتين الصيغتين واعطاهما حكمهما فى صحيحه فيقول فى الترجمة الواحدة بعض كلامه بتمريض وبعضه يجزم مراعىا ما ذكرنا وهذا مشعر بتحريره وورعه وعلى هذا فيحمل قوله ما ادخلت فى الجامع الا ما صح اى مما سقت اسناده والله تعالى اعلم ، أهـ

قال ابن حجر وقد تبين مما فصلنا به اقسام تعاليقه انه لا يفتقر الى هذا الحمل وأن جميع ما فيه صحيح باعتبار انه كله مقبول ليس فيه ما يرد مطلقا الا النادر فهذا حكم المرفوعات .

الموقوفات

اما الموقوفات فانه يجزم منها بما صح عنده ولو لم يكن على شرطه ولا يجزم بما كان فى اسناده ضعف أو انقطاع الا حيث يكون منجبرا اما بمجيئه من وجه آخر واما بشهرته عن قاله وانما يورد ما يورد من الموقوفات من فتاوى الصحابة والتابعين ومن تفاسيرهم لكثير من الآيات على طريق الاستئناس والتقوية لما يختاره من المذاهب فى المسائل التى فيها الخلاف بين الأئمة فحينئذ ينبغى ان يقال جميع ما يورد به اما أن يكون مما ترجم له او مما ترجم به فالمقصود من هذا التصنيف بالذات هو الاحاديث الصحيحة المسندة وهى التى ترجم لها والمذكور بالعرض والتبع الآثار الموقوفة والاحاديث المعلقة، نعم والآيات المكنونة فجميع ذلك مترجم به الا أنها اذا اعتبرت بعضها مع بعض واعتبرت أيضا بالنسبة الى الحديث يكون بعضها مع بعض منها مفسر ومنها مفسر

فيكون بعضها كالمترجم له باعتبار ولكن المقصود بالذات هو الأصل
قال ابن حجر وذكر السيوطي رأى النووي وابن الصلاح في التدريب
قال :

وما اورده البخارى في الصحيح مما عبر عنه بصيغة التمرىض وقلنا
لا يحكم بصحته ليس بواه ولا ساقط لإيراده اياه في الكتاب الموسوم
بالصحيح وعبارة ابن الصلاح ، ومع ذلك فايراده له فى أثناء الصحيح
مشعر بصحة أصله اشعارا يؤنس به ويركن اليه ... أهـ

فقول البخارى ما ادخلت فى كتابى الا ما صح^(١)

محمول على مقاصد الكتاب وموضوعه ومتون الابواب المسنده
دون التراجم وغيرها .

على ان وجود هذه التراجم انما تزيد من قوة الصحيح فى كتابه
ومكاته لانها فى جملتها مقوية للصحيح ومعضدة له .

ورأى ابن حجر^(٢) ان ماجاء من التعاليق التى لم توصل فى موضع
آخر من كتابه وإن لم يكن على شرطه من الاتصال .

فلا يرد عليها اعتراض لانها ليست من موضوع الكتاب وانما ذكرت
استثناسا واستشهادا لأحاديثه الأصلية فى الكتاب وأن مراده بذلك أن
يكون الكتاب جامعا لأخذ الأحاديث التى يحتج بها (الا ان منها ما هو
على شرطه فساقه سياق اصل الكتاب ومنها ما هو على غير شرطه فغاير
السياق فى إيراده ليمتاز فاتفى ، ايراد المعلقات وبقي الكلام فى علل
الأحاديث المسندات واذا علمنا ان ابن حجر بعد ذلك قد وصلها . فقد
تحقق وتأكد ما قاله بصورة أوضح من نفي ايراد اعتراض المعلقات .

١ - مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠ ، ٧٢ الملق - مقدمة مسلم للنووي ٨-١ التدريب ٦٢-١
مقدمة فتح البارى ١٢-١ .

١ - مقدمة ابن الصلاح ص ٢٠ ، ٧٢ الملق - مقدمة مسلم للنووي ٨-١ التدريب ٢-١
مقدمة فتح البارى ١٢-١ .

قال ابن الصلاح في مقدمة مسلم ما وقع في صحيح البخارى ومسلم
مما صورته صورة المنقطع ليس ملتحقا بالمنقطع في خروجه من حيز
الصحيح الى حيز الضعيف ويسمى هذا النوع تعليقا .

اهمية تعاليق البخارى ووصلها

وقد شعر المتقدمون بأهمية تعاليق البخارى وانها مفتقرة الى ان
يصنف فيها كتاب خاص تسند فيه تلك المعلقات وتبين درجتها وقد صرح
بذلك - على ما في مقدمة الفتح ابو عبد الله بن رشيد في كتاب ترجمان
التراجم .

وقد انبرى لهذا الميدان الفسيح الحافظ ابن حجر الذى تخصص في
جامعة صحيح البخارى فقدم بذلك للحديث والمحدثين وحماة السنة
ومحبيها أجمل فضل وكان صاحب السبق فى وصل المعلقات المرفوعة
ومعها المتابعات فى مقدمته قال : وما علمت احدا تعرض للتصنيف فى
ذلك وانه لمهم لمن له عناية بكتاب البخارى وعقد فصلا فى مقدمته
ساق فيه تعاليق الصحيح المرفوعة واثار الى من وصلها .

وأضاف الى ذلك المتابعات لالتحاقها بها وبدأها على ترتيب ابواب
الصحيح فيقول مثلا (من بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم) متابعة عبد الله بن يوسف عن الليث وصلها المؤلف فى الانبياء
وفى التفسير ومتابعة ابي صالح عنه وصلها يعقوب ابن سيفان فى
تاريخه عنه وفى الايمان حديث عبد الله بن عمر .

(والمسلم من سلم) الحديث رواية أبى معاوية فيه وصلها اسحاق
ابن راهوية فى مسنده عنه ووصلها ابن جبان فى صحيحه وفى (باب
الاستئثار فى الوضوء) قوله (ويذكر عن جابر أن النبى صلى الله عليه
وسلم كان فى غزوة ذات الرقاع) الحديث هو مختصر من حديث طويل

وصله أبو يعلى فى مسنده وابن خزيمة فى صحيحه وابن دأود وغيرهم
رواية شعبية عن الأعمش وصلها مسلم .

وعلى هذا النمط سار فى وصل المتابعات والمعلقات المرفوعة مما
يدل على سعة أفقه وقوته العلمية .

ولم يقف ابن حجر عند هذا الحد بل سمت همته فوصل جميع
المطلقات من الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة والمتابعات الموجودة فى
الصحيح وذكرها بإسناده الى المكان المعلق فى مؤلف خاص سماه
(تغليق - التعليق) فجاء كما يقول ابن حجر كتابا حافلا وجامعا كاملا
لم يفرد فيه احد بالتصنيف .

ولكن مع الأسف ان هذا الكتاب الذى اشاد به ابن حجر وبه على
اهميته لم يلق عناية ما من المحدثين والهيئات العلمية على اهميته فى
توثيق هذه الثروة الفريدة من المعلقات والمتابعات فى الصحيح - بل
ان كل ما صادفته فى كتب الكتاتين فى هذا العصر فى المعلقات انهم ينقلون
اسم الكتاب خطأ نقلًا عن المقدمة لوجوده فيها كذلك ولم يكلفوا انفسهم
التحقق من اسمه فهم ينقلونه هكذا (تعليق التعليق) وهو تغليق
التعليق كما رأيت ولتسميته بموضوعه علاقة لأنه غلق كل معلق وملا
فراغ الاسناد قال ابن حجر : سميت تغليق التعليق لأن اسانيده كانت
كالابواب المفتوحة فغلقت وقد اطلعت عليه مخطوطا فى المكتبة الازهرية
والامل كبير ان تمتد اليه يد مخلص من الهيئات أو الأفراد المخلصين
للسنة حتى يطبع هذا الكتاب الذى هو فى الواقع عماد قوى وسند
متين فى تقوية الثقة بما وجد من المعلقات والمتابعات فى اصح كتاب بعد
كتاب الله وكتاب تغليق التعليق لابن حجر موجود مخطوط بالمكتبة
الازهرية السقا تحت رقم ٢٨٥٠٢ .

وقد عقد ابن حجر فى مقدمته فصلا ساق فيه رجال من علق البخارى
شيئا من حديثهم وتكلم فيهم قال فيه وما يعلقه البخارى من أحاديث
هؤلاء انما يورده فى مقام الاستشهاد وتكثير الطرق فلو كان ما قيل
فيهم «فرضا» قادحا ما ضر ذلك ا هـ أو على أن هذه التعاليق التى لم

يجعلها البخارى من أصل موضوع كتابه لا لشيء إلا لأنه اشترط الاتصال والزم نفسه به في موضوع كتابه - وهى عند غيره من الصحيح الذى هو من أصول الكتاب وهذا اصطلاح أمام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه حيث جعلها من موضوع كتابه فاعتبرها من الصحيح عامة - فاذا أضيف الى ذلك وصل ابن حجر لها مع ما تقدم من أنه اوردها به استشهادا وتكرارا بما اورده فى الاصول ترداد ثباتا وقوة وأصبح لا مجال مطلقا لاعتراض فيها .

اغراض البخارى فيما جزم به عن المضاف اليه فى المرفوع

وقد قسم (١) ابن حجر المعلق من المرفوعات الى قسمين :

القسم الأول - ما يوجد فى موضع فى كتابه الجامع موصولا فالسبب فى ايراده . أنه يورده معلقا حيث يضيق مخرج الحديث اذ من قاعدته أنه لا يكرر الا لفائدة فمتى ضاق المخرج واشتمل المتن على أحكام فاحتاج الى تكرير فانه يتصرف فى الاسناد بالاختصار خشية التطويل لضيق المخرج واشتمال المتن على أحكام متعددة فاحتاج الى التكرير والتصرف فى الاسناد .

الثانى مالا يوجد فيه الا معلقا وها هى اغراضه فيما ذكره بصيغة الجزم وذلك على أقسام :

١ - لا يلتحق بشرطه والسبب فى عدم ايصاله اما الاستغناء بغيره عنه مع افادة الاشارة اليه وعدم اهماله بايراده معلقا اختصارا واما كونه لم يسمعه من شيخه أو سمعه مذاكرة أو شك فى سماعه فما رأى أنه يسوقه مساق الاصول .

مثاله : قوله فى الوكاله : قال عثمان بن الهيثم حدثنا عون حدثنا محمد بن سيرين عن ابى هريره قال وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بركة رمضان واورده فى (فضائل القرآن) وفى ذكر ابليس ولم يقل فى موضع منها حدثنا عثمان فالظاهر عدم سماعه له منه .

قال شيخ الاسلام ابن حجر وقد استعمل الصيغة فيما لم يسمعه من مشايخه في عدة أحاديث فيوردها عنهم بصيغة :

قال فلان ، ثم يوردها في موضع آخر بواسطة بينه وبينهم كما قال في التاريخ : وقال ابراهيم بن موسى نبأ هشام بن يوسف وذكر حديثا ثم يقول حدثوني بهذا عن ابراهيم .

وقال ولكن ليس مطردا في كل ما أورده في هذه الصيغة على أنه سمعه من شيوخه قال السيوطي : قولنا (يلتحق بشرطه) ولم نقل أنه على شرطه لانه وان صح فليس من نمط الصحيح المسند فيه بانه عليه ابن كثير .

٢ - ما لا يلتحق بشرطه ولكنه صحيح على شرط غيره .

مثاله : قوله في الطهارة وقالت عائشة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه - فان مسلما قد اخرجه في صحيحه ٣ - ما هو حسن صالح للحجية :

مثاله قوله : وقال بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : الله أحق أن يستحي منه . فهو حديث حسن مشهور أخرجه اصحاب السنن .

٤ - ما هو ضعيف لا من جهة قدح برجاله ولكن من جهة انقطاع يسير في اسناده .

قال الاسماعيلي : قد يضع البخاري ذلك اما لانه سمعه من ذلك الشيخ بواسطة من يثق به عنه وهو معروف مشهور عن ذلك الشيخ واما لأنه سمعه ممن ليس من شرط الكتاب فنبه على ذلك الحديث بتسميته من حدث به لا على التحديث به عنه .

مثاله قوله في الزكاة وقال طاووس قال معاذ بن جبل لأهل اليمن أيتوني بعرض ثياب خميص أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة اهون عليكم وخير لاصحاب محمد فاسناده الى طاووس صحيح الا ان طاووسا لم يسمع من معاذ فكل ما كان كذلك بصيغة الجزم فانه يفيد الصحة الى من علق عنه .

وقد قال الامام ابن حجر (١) فاما ما اعترض به بعض المتأخرين بنقضه هذا الحكم فى صيغة الجزم وانها لاتفيد الصحة الى من علق عنه بأن المصنف اخرج حديثا قال فيه قال عبد الله بن الفضل عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال لا تفاضلوا بين الأنبياء الحديث فان ابا مسعود الدمشقى جزم بأن هذا ليس بصحيح لأن عبد الله بن الفضل انما رواه عن الأعرج عن أبى هريرة لا عن أبى سلمة ثم قوى ذلك بأن المصنف أخرجه فى موضع آخر موصولا فقال :

عن عبد الله بن الفضل عن الأعرج عن أبى هريرة :

فهذا اعتراض مردود والقاعدة صحيحة لا تنتقض بهذا الايراد الواهى وقد روى الحديث المذكور أبو داود الطيالسى فى مسنده عن عبد الله بن الفضل عن أبى سلمة عن أبى هريرة كما علقه البخارى سواء، فبطل ما ادعاه ابو مسعود من ان عبد الله بن الفضل لم يروه الا عن الأعرج وثبت أن لعبد الله بن الفضل فيه شيخان - فلا اعتراض.

الاعتبارات والمتابعات والشواهد

والاعتبار (١) هو سبر الحديث والنظر فيه وليس قسيما للمتابعات والشواهد بل هو الطريق الى معرفتها .

فاذا روى حماد مثلاً حديثاً عن أيوب عن ابن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه فالاعتبار أن ينظر هل تابع حماد ثقة فروى ذلك الحديث عن أيوب فان لم يجد الباحث نظر فيمن بعده هل تابع أيوب ثقة عن ابن سيرين والا فثقة غير ابن سيرين عن أبى هريرة والا فصحابى غير أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أو ينظر هل وجد حديث آخر بمعناه فاذا وجد ذلك علم ان له أصلاً يرجع اليه والا فلا فهذا النظر هو الاعتبار ومنه يعلم المتابعات والشواهد .

١ - المقدمة ١٢/١ .

١ - مقدمة ابن الصلاح ص ٩٠ وشرح النووى والبخارى ص ١٢ والمبنى ج ١ ص ٨ .

فالمتابعة بأن يروى هذا الحديث عن أيوب غير حماد أو عن ابن سيرين غير أيوب أو عن أبي هريرة غير ابن سيرين أو عن النبي غير أبي هريرة فكل نوع من هذه يسمى متابعة وافضلها الأولى فتسمى المتابعة التامة ثم على الترتيب وسببه ان المتابعة تقوية والمتأخر الى التقوية أحوج .

والشاهد بأن يروى حديث آخر بمعنى ذلك الحديث .

ويسمى المتابع شاهدا ولا ينعكس ويدخل في المتابعات والشواهد بعض من لا يحتج به ولا يصلح لذلك كل ضعيف ولهذا يقول الدارقطني وغيره في الضعفاء فلان يعتبر به وفلان لا يعتبر به والسبب في أنه يدخل فيهما من لا يحتج به أنهما للتقوية فقط والاستئناس لالتأسيس وان الأصل أغنى عنهما، فالبخارى يأتي بالمتابعة ظاهرة كقوله فيمن رواه حماد عن أيوب عن ابن سيرين تابعه مالك عن أيوب أى تابع مالك حماد فرواه عن أيوب كرواية حماد فالضمير في تابعه يعود الى حماد وتارة يقول تابعه مالك ولا يزيد فيحتاج اذن الى معرفة طبقات الرواة ومراتبهم .

وقال شيخ الاسلام ابن حجر على ما في التدريب (١) قد يسمى الشاهد متابعة أيضا، والأمر سهل مثال ما اجتمع فيه المتابعة التامة والقاصرة والشاهد ما رواه الشافعى في الام عن مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروا الهلال فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين» فهذا الحديث بهذا اللفظ ظن قوم ان الشافعى تفرد به عن مالك فعده من غرائب لان اصحاب مالك رواه عنه بهذا الاسناد بلفظ فان غم عليكم فاقدروا له - لكن وجدنا للشافعى متابعا وهو عبد الله ابن مسلمة ، القعنبي، كذلك أخرجه البخارى عنه عن مالك وهذه متابعة تامة .

ووجدنا له متابعة قاصرة في صحيح ابن خزيمة من رواية عاصم ابن

محمد عن أبيه محمد بن زيد عن جده عبد الله ابن عمر فأكملوا ثلاثين ورواه البخارى من رواية محمد بن زياد عن ابى هريره بلفظ فان أغمى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين وذلك شاهد بالمعنى أه .

ومثال المتابعة من دراسة صحيح البخارى فى باب (١) أهل العلم والفضل أحق بالامامة حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثنا ابن وهب قال حدثنى يونس عن ابن شهاب عن حمزه بن عبد الله انه اخبره عن أبيه قال لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قيل له فى الصلاة فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس قالت عائشة ان ابا بكر رجل رقيق اذا قرأ غلبه البكاء قال مروه فيصل فعاودته قال مروه فيصل انكن سواحب يوسف تابعه الزبيدى وابن اخى الزهيرى واسحاق بن يحيى الكلبي عن الزهرى وقال عقيل ومعمّر عن الزهرى وعن حمزة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ومثال المتابعة أيضا (باب (٢) ما قيل فى شهادة الزور) يقول الله عز وجل (والذين لا يشهدون الزور) وكتمان الشهادة (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) تلوا السنتكم بالشهادة حدثنا عبد الله بن منير سمع وهب بن جرير .

وعبد الملك بن ابراهيم قال حدثنا شعبه عن عبيد الله بن ابى بكر ابن انس عن أنس رضى الله عنه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الكبائر قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور تابعه غندر وأبو عامر وبهز وعبد الصمد عن شعبه .

عدد أحاديث (٣) صحيح البخارى وأبوابه

قال الحافظ بن حجر العسقلانى انى عدتها فبلغت بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعين حديثا قال وجملة ما فيه التعاليق الف وثلاثمائة وواحد واربعون وأكثرها مخرج فى

١ - صحيح البخارى ص ١ - ١١٢ كتاب الجماعة والامام .

٢ - صحيح البخارى ٣ - ١٥٠ - كتاب الشهادات .

٣ - مقدمة الفتح ج ٢ ص ١٨٣ .

أصول متونه والذي لم يخرج مائة وستون قال وفيها من المتابعات والتتبعات على اختلاف الروايات ثلاثمائة وأربعة وثمانون وقال في المقدمة ان ما وقع في صحيح البخارى من الاحاديث الموصولة بدون تكرار الفا حديث وأربع مائة وستون حديثا ومن المتون المعلقة المرفوعة التي يصلها في موضع آخر من الجامع مائة وتسعة وخمسون حديثا فجميع ذلك الفا حديث وستمائة وثلاثة وعشرون حديثا وقال التوقادى صاحب مفتاح الصحيحين جميع أبواب صحيح البخارى على ما أحرزته ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون (١) . وقد أيد كلام ابن حجر بعد أن ذكر فضلا عدد فيه ما لكل صاحب في صحيح البخارى في الموصول بلا تكرير فوجدتها ٢٦٠٢ كما قال ابن حجر .

وقد قال ابن حجر في المقدمة فجميع ما في الكتاب على هذا بالمكرر تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثا وهذه العدة خارجة عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات عن التابعين فمن بعده وقد استوعبت وصل جميع ذلك في كتاب تغليق التعليق وهذا ما حررته من عدة أحاديث البخارى تحريرا بالغا فتح الله به لا أعلم من تقدمنى اليه وأنا مقرر بعدم العصمة والسهو والخطأ والله المستعان .

آداب طالب (٢) الحديث عند البخارى

قال أبو العباس الوليد بن ابراهيم بن زايد الهمداني لما بلغت مبلغ الرجال تآقت نفسى الى طلب الحديث فقصدت محمد بن اسماعيل البخارى واعلمته مرادى فقال لى يابنى لا تدخل فى أمر الا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره - ثم بين له البخارى آداب طالب الحديث وعدته فبين انه يحتاج الى كتابة اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وتشريعاته والصحابة ومقاديرهم والتابعين واحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم مع اسماء رجالها وكناهم وامكنتهم وازمنتهم - كما التحميد مع الخطيب والدعاء مع التوسل والبسملة مع الصورة والتكبير

١ - مفتاح الصحيحين للتوقادى ص ٤ .

٢ - تدريب الراوى ص ٢٥٧ ومقدمة القسطلانى ص ٧ .

مع الصلوات مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات في
صغره وفي ادراكه وفي شبابه وفي كهولته عند شغله وعند فراغه وعند
فقره وعند غناه بالجيال والبحار والبلدان والبرارى على الاحجار
والاصداف والجلود والاكتاف الى الوقت الذى يمكنه نقلها الى
الأوراق عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعصّن هو دونه وعن كتاب أبيه
وتيقن أنه بخط أبيه دون غيره لوجه الله تعالى طالبا لمرضاته والعمل
بما وافق كتاب الله تعالى منها ونشرها بين طالبها والتأليف في
أحياء ذكره بعد ، ثم لا تتم هذه الأشياء الا بمعرفة الكتابة واللغة
والصرف والنحو وهذه من كسب العبد ثم هو في حاجة الى اعطاء
الله تعالى من الصحة والقدرة والحرص والحفظ فاذا صحت له هذه
الأشياء هان عليه الأهل والولد والمال والوطن وابتلى بشماتة الأعداء
وملامة الأصدقاء وطعن الجهلاء وحسد العلماء فاذا صبر على هذه
المحن أكرمه الله تعالى في الدنيا بعز القناعة وبهيبة اليقين وبلذة العلم
وبحياة الأبد واثابه في الآخرة بالشفاعة لمن أراد من اخوانه .

وبطل العرش حيث لا ظل الا ظله وبسقى من أراد من حوض محمد
صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين فى أعلى عليين فى الجنة فقد أعلنتك
يا بنى بمجملات جميع ما كنت سمعت من مشايخي متفرقا فى هذا
الباب فأقبل الآن على ما قصدتني له اودع .

الباب الرابع



فقه البخارى

محمد بن اسماعيل فقيه هذه الامة
ابو نعيم بن حماد الخزاعي

المحدثون والفقهاء في عصر البخارى وشيوخه (١)

فى ذلك العصر كثر تدوين الحديث والأثر فى بلدان الاسلام وكتابة الصحف والنسخ حتى قل من يكون من أهل الرواية الا كان لهم تدوين أو صحيفة أو نسخة .

فطاف من أدرك من عظمائهم ذلك الزمان - بلاد الحجاز والشام والعراق ومصر واليمن وخراسان وجمعوا الكتب وتتبعوا النسخ وأمعنوا فى غريب الحديث ونوادير الأثر فاجتمع باهتمام أولئك من الحديث والآثار ما لم يجتمع لأحد قبلهم وخلص اليهم عن طرق الحديث شئ كثير حتى كان يكثر من الأحاديث عندهم مائة طريق فما فوقها .

فكشف بعض الطرق ما استتر فى بعضها الآخر وعرفوا محل كل حديث من الغرابة والاستنباط وأمكن لهم النظر فى المتابعات والشواهد وظهر عليهم أحاديث كثيرة لم تظهر على أهل الفتوى من قبل قال الشافعى لأحمد : أتتم أعلم بالأخبار الصحيحة منا فاذا كان خبر صحيح فأعلموني حتى أذهب اليه كوفيا كان أو بصريا أو شاميا - حكاه ابن الهمام . وذلك بأنه كم من حديث صحيح لا يرويه الا أهل بلد خاصة كأفراد الشاميين والعراقيين أو أهل بيت خاصة كنسخة بريد عن أبى برده عن أبى موسى : فمثل هذه الأحاديث يغفل عنها عامة أهل الفتوى

واجتمعت عندهم آثار فقهاء كل بلد من الصحابة والتابعين وكان الرجل فيما قبلهم لا يتمكن من جمع حديث بلده وأصحابه . وأمعنت

١ - مقتبس من كتاب حجة الله البالغة لولى الله الدهلوى ١٤٨/١ .

هذه الطبقة في هذا الفن وجعلوه شيئاً مستقلاً بالتدوين والبحث وناظروا في الحكم بالصحة والانتقطاع على من سبقهم فقد كان سفيان ووكيع وأمثالهما يجتهدون غاية الاجتهاد فلا يتمكنون من الحديث المرفوع المتصل الا من دون ألف حديث كما ذكر أبو داود السجستاني في رسالة الى أهل مكة.

وكان أهل هذه الطبقة يروون دون ألف حديث فما يقرب منها بل صح عن البخارى انه اختصر صحيحه من ستة آلاف حديث .

وعن أبي داود أنه اختصر سننه من خمسة آلاف حديث . وجعل احمد مسنده ميزانا يعرف به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فما وجد فيه ولو بطريق منه فله أصل والا فلا أصل له فكان رءوس هؤلاء عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان ويزيد بن هارون وعبد الرزاق وأبو بكر بن أبي شيبة ومسدد وهناء وأحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه والفضل بن دكين وعلى بن المديني وأقرانهم وهذه الطبقة هي الطراز الأول من طبقات المحدثين فرجع المحققون منهم بعد أحكام فن الرواية ومعرفة مراتب الاحاديث الى الفقه وأحكامه .

منهج المحدثين في استنباط الأحكام

لم يكن في ذلك العصر من الرأي أن يجتمع على تقليد رجل ممن مضى : مع ما يرون من الأحاديث والآثار والمناقضة في كل مذهب من تلك المذاهب فأخذوا يتتبعون أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة والتابعين والمجتهدين — على قواعد أحكموها في نفوسهم .

قال الدهلوى : وأنا أبينها لك في كلمات يسيرة — كان اذا وجد في المسألة قرآن ناطق فلا يجوز التحول عنه الى غيره.

واذا كان القرآن محتملا لوجوه فالسنة قاضية عليه — فاذا لم يجدوا في كتاب الله أخذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء

كان مستفيضاً دائراً بين الفقهاء أو لم يعملوا به ومتى كان في المسألة حديث فلا يتبع فيها خلاف أثر من الآثار ولا اجتهد احد من المجتهدين واذا فرغوا جهدهم في تتبع الأحاديث ولم يجدوا في المسألة حديثاً أخذوا بأقوال جماعة من الصحابة والتابعين ولا يتقيدون بقوم دون قوم ولا بلد دون بلد كما كان يفعل من قبلهم (١).

فإن اتفق جمهور الخلفاء والفقهاء على شيء فهو المقنع وان اختلفوا أخذوا بحديث أعلمهم وأورعهم ورعا أو أكثرهم ضبطاً او ما اشتهر عنهم فإن وجدوا شيئاً يستوى فيه قولان فهي مسألة ذات قولين فإن عجزوا عن ذلك أيضاً تأملوا في عمومات الكتاب والسنة وإيما آتتهما وحملوا نظير المسألة عليها في الجواب اذا كانتا متقاربتين بآدى الرأى لا يعتمدون في ذلك على قواعد الاصول ولكن على ما يخلص الى الفهم ويثلج به الصدر كما أنه ليس ميزان التواتر عدد الرواه ولا حالهم ولكن اليقين الذى يعقبه في قلوب الناس — كما كان الحال عند الصحابة — وكانت هذه الأصول مستخرجة عن صنيع الأوائل وتصريحاتهم ، وعن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به وان لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة قضى بها فان اعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتانى كذا وكذا فهل علمتهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك القضاء ؟ فربما اجتمع اليه نفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء فيقول ابو بكر : الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ سنة نبينا فان اعياه ان يجد فيه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به وعن شريح أن عمر بن الخطاب كتب اليه ان جاء لك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلفتك عنه الرجال فان جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر

سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض به فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أى الأمرين شئت إن شئت أن تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم وإن شئت تتأخر فتأخر ولا أرى التأخير الا خيرا لك .

وبالجملة فلما مهدوا الفقه على هذه القواعد فلم تكن مسألة من المسائل التى تكلم فيها من قبلهم والتى وقعت فى زمانهم الا وجدوا فيها حديثا مرفوعا متصلا او مرسلا او موقوفا صحيحا أو حسنا أو صالحا للاعتبار أو وجدوا أثرا من آثار الشيخين - (ابى بكر وعمر) أو سائر الخلفاء وقضاة الانصار وفقهاء البلدان أو استنباطا من عموم أو ايماء أو اقتضاء فيسير الله لهم العمل بالسنة على هذا الوجه .. وكان أعظمهم شأنًا وأوسهم رواية وأعرفهم للحديث مرتبة وأعمقهم فهما أحمد بن محمد بن حنبل ثم اسحاق بن راهويه وهما من أساتذة البخارى ومعاصريه - وكان ترتيب الفقه على هذا الوجه يتوقف على جمع شئ كثير من الأحاديث والآثار حتى سئل احمد : يكفى الرجل مائة ألف حديث يفتى ؟

قال : لا - حتى خمسمائة ألف حديث . قال :

أرجو ، كذا فى غاية المنتهى ، مراده الافتاء على هذا الأصل ثم أنشأ الله تعالى قرنا آخر فرأوا أصحابهم قد كفوهم مؤونة جمع الأحداث وتمهيد الفقه على أصلهم فتفرغوا لفنون أخرى كتمييز الحديث الصحيح المجمع عليه بين كبراء أهل الحديث كزيد بن هرون ويحيى بن سعيد القطان وأحمد واسحق وأضرابهم .

وكجمع احاديث الفقه . التى بنى عليها فقهاء الأمصار وعلماء البلدان مذاهبهم .

وقد حكم على كل حديث بما يستحقه . وكالشاذة من الأحاديث

التي لم يرووها أو طرقها التي لم يخرج من جهتها الأوائل مما فيه اتصال أو علو سند أو رواية فقيه عن فقيه أو حافظ عن حافظ ونحو ذلك من المطالب العلمية وهؤلاء هم البخارى ومسلم وأبو داود وعبد بن حميد والدارمى وابن ماجه وأبو يعلى والترمذى والنسائى والدارقطنى والحاكم والبيهقى والخطيب والديلمى وابن عبد البر وأمثالهم .

وكان أوسعهم علما عندى وأنفعهم تصنيفا وأوسعهم ذكرا رجال أربعة :

(البخارى ، مسلم ، أبو داود السجستانى ، أبو عيسى الترمذى)
— أولهم — أبو عبد الله البخارى وكان غرضه تجريد الأحاديث الصحاح المستفيضة المتصلة من غيرها واستنباط الفقه والسيرة والتفسير منها فصنف .. جامعه الصحيح .. ووفى بما شرط قال الدهلوى : وبلغنا أن رجلا من الصالحين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه . وهو يقول :

مالك اشتغلت بفقه محمد بن ادريس وتركت كتابى ؟

قال : يا رسول الله وما كتابك ؟

قال : صحيح البخارى — ولعمري انه نال من الشهرة والقبول درجة لا يرام فوقها .

منهج البخارى فى تدوين فقهه وأثره

اما منهج البخارى . فهو وان اتفق بالنسبة لمصدره مع الأئمة فى الاستنباط من الكتاب والسنة .

الا انه يختلف عنهم من حيث طريقة تدوين الأحكام فلم ينهج نهجهم فى فرز الأحكام عن أصولها . ولكنه يترجم بها للحديث . ولذا قالوا : فقه البخارى فى تراجمه وقد يعلق على الأحاديث أحيانا فى عقبها بالرأى ويدعم الحكم بمعلقات الصحابة والتابعين وأقوالهم الفقهية . وقد يكتفى بها تعبيراً عن رأيه .

وهى طريقة لها مميزاتها - وهى الاطمئنان الى الأصل الذى أخذ منه الحكم والاطمئنان الى الحكم الذى أيدته الصحابى أو التابعى أو قال به - وفتح الباب أمام المجتهد المؤهل : ليرى مدى علاقة الحكم وصلته بالحديث أو الآية ورأيه فى ذلك وإذا امتازت طريقة البخارى فى تدوين فقهه بهذه المميزات فطريقة الفقهاء لها مميزاتها العظمى فهى تمتاز بكثرتها وتفصيلها للأحكام لتفرغهم لهذه الناحية واقتصارهم عليها بخلاف البخارى فإنه كما تعرض للفقه فى ابوابه تعرض - للعقيدة والسيرة والأدب وغير ذلك فلم يبلغ فى كثرة الأحكام وتعريفها مبلغهم.

وكلا الطريقتين تعاوتتا على حفظ دين الله واحكامه فقد كان تدوين الحديث فى ذلك العصر الذهبى للسنة الذى كان البخارى هو رائد ازدهاره وجاء هذا العصر عقب عصر الفقهاء الأربعة فكان الهاما من الله وتدعيما لآراء الفقهاء وتثبيتا لها على مر الدهور بعرض أصول ما استنبطوا منه احكامهم حتى تعطى الأحكام صبغة الثبات والخلود هذا بالاضافة الى ما دون ذلك فى عصر الفقهاء فى كتبهم كالموطأ ومسند الامام أحمد وهكذا تحقق قول الله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فحفظه كتابا يتلى وسنة موحاة ايضا له وتفصيلا لأحكامه - وقوانين مدونة من الوحي قرآنا وسنة - هى الفقه وتحقق قوله عليه السلام : « يحفظ هذا العلم فى كل زمن عدوله فحفظ الحديث بفرز ثماره فى عصر الفقهاء وفى بعض الاحيان مع بعض الأصول » . ثم حفظ بالاضافة الى ثماره كما هو فى صحيح البخارى وحفظ أصولا لم تستخرج أحكامها معها كما فى صحيح مسلم حيث ساق الحديث ولم ييؤب له .

وشاء الله الذى وعد بحفظ دينه هذا النظام البديع - تحفظ السنة ويجمع الكثير منها فى عصر الصحابة والتابعين ثم تجمع الأحاديث وتبويب منها أبواب الفقه وقوانينه ثم تجمع الأصول مرة أخرى فى صورة زاهية مدعمة للأحكام السابقة ثمرة لأحكام الفقهاء مرجحة لبعض جوانب الخلاف الفرعى ومعرضة أمام المجتهد يقتبس منها

ويستخلص الحكم لما يجد في فروع الحياة العامة من مسائل مطبقا على أصول الاسلام وروح الشريعة ويرجح ما شاء من أحكام الخلاف والرجل وذكاءه والرجل وفطنته .

وهذا ما لم يتوفر لأي تراث أو قانون على الإطلاق .

هل البخارى منتسب لمذهب معين ؟

لقد تنازع أتباع الأئمة الأربعة نسبة مذهب البخارى اليهم . فترجم له ابن السبكي في طبقات الشافعية ترجمة ضافية (١) وروى انه سمع من الزعفراني . وأبي ثور . والكرايسى . وتفقه على الحميدى وكلهم من أصحاب الشافعى ولم يرو عن الشافعى في الصحيح لأنه أدرك أقرانه — والشافعى مات مكتهلا فلا يرويه نازلا .

وروى عن الحسين وأبي ثور مسائل عن الشافعى . وذكر الشافعى في موضعين في جامعه الصحيح في باب الركاز الخمس .

وفي باب العرايا والبيوع — ورقم شيخنا المزى في التهذيب للشافعى بالتعليق وذكر هذين المكانين أ . هـ .

كما ترجم له الفراء في طبقات الحنابلة (٢) . ومعلوم بأن من أساتذته الامام احمد بن حنبل ، وقال المالكية: هو مالكي — روى الموطأ عن عبد الله بن يوسف التميمي وسعيد بن عنبر وابن بكير . وقال الاحناف : ان استاذه الذى أشار عليه بجمع الصحيح اسحاق بن راهويه وهو حنفى — وقد تلقى عنه البخارى فهو حنفى .

وهذه أدلة لا ثبات لها — يشير الى وهنها . تعارضها .

فليست الرواية عن شخص تستلزم أن يكون الآخذ متبعا لمذهب من أخذ عنه ويكون غير مجتهد — ولو كان الأمر كذلك لكان كل

١ — طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٤/٢ .

٢ — طبقات الحنابلة ٢٧١/١ .

امام من الأئمة على مذهب السابق له مع أن الأمر ليس كذلك فمن المعلوم ان الشافعى رضى الله عنه تتلمذ على الامام مالك رضى الله عنه وحفظ موطأه وأخذ الامام أحمد عن الشافعى فقهه واخذ الشافعى عن الامام احمد الحديث وكان يقول للامام احمد : أنتم أعلم بالأخبار الصحيحة منا فاذا كان خبر صحيح فأعلمونى حتى أذهب اليه كوفيا كان أو بصريا أو شاميا .

وأخذ الامام مالك أكثر فقهه عن ربيعة الرأى وحكى : ان ربيعة تعلم عن أبى حنيفة وأخذ أبو حنيفة عن ابراهيم النخعى ثم ان محمد ابن الحسن أحد أركان المذهب الحنفى تفقه على أبى حنيفة وأبى يوسف ثم رجع الى نفسه فطبق مذهبه على الموطأ ثم خرج الى المدينة فقرأ الموطأ على الامام مالك .

وكل هؤلاء من الأئمة الاعلام فقهاء مجتهدون واستفادوا ممن سبقهم واجتهدوا فى استنباط الأحكام طبقا للكتاب والسنة وما يشيران به من أقوال الصحابة والتابعين والقياس والاجماع فابرزوا للعلم ثروة فقهية قانونية مرجعا ومادة واسعة للتشريع الاسلامى وهكذا شأن البخارى حفظ الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين واقوالهم واطلع على الفقه عامة فأصبح صاحب ملكة صافية فى استنباط احكام من الحديث باجتهاده مستنيرا بثروته العلمية والفقهية .

يقول الكشميرى (١) : ان البخارى مجتهد لاريب فى ذلك وما اشتهر انه شافعى فلموافقته اياه فى المسائل المشهورة والا فموافقته للامام الأعظم أبى حنيفة ، ليس أقل مما وافق فيه الشافعى وكونه من تلامذة الحميدى . لا ينفع لأنه من تلامذة اسحاق بن راهويه أيضا وهو حنفى فعده شافعىا باعتبار الطبقة ليس بأولى من عده حنفيا واما الترمذى فهو شافعى المذهب لم يخالفه صراحة الا فى مسألة الأبراد والنسائى وأبو داود حنبليان صرح به الحافظ ابن تيميه - وزعم

آخرون انهما شافعيان واما مسلم وابن ماجه فلا يعلم مذهبهما وأما أبواب مسلم فليست مما وضعها المصنف رحمه الله تعالى بنفسه ليستدل منها على مذهبه ١.٥هـ

ولا يصح أن يقال أن البخارى مجتهد مذهب بحجة أنه لم يؤثر عنه أنه أصل الأصول كالشافعى اذ لو صح هذا المقياس لما كان الامام مالك وابو حنيفة من المجتهدين على الاطلاق (١).

ومن الناحية التطبيقية فان المدارس لصحيح البخارى وتراجمه يجد أنه لم يلتزم مذهبا معينا بل هو دائر مع معنى الحديث يستنبط منه الحكم المناسب عنده وافق أى مذهب أو خالفه مستدلا على ايضاح معنى الحديث بما يرويه من المعلقات والآثار الموقوفة على الصحابة والتابعين ثم هو على معرفة واسعة بفقهاء الصحابة والتابعين وآرائهم - ويتضح ذلك من ذكر آرائهم يقول قال : ابن عمر - قال عثمان ابن عفان - قال الحسن - قال عطاء : قال ابن عباس وهذا النهج يدل على معرفته بفقهاء الصحابة والتابعين فهو يعطى للقارىء فى صحيحه صورة رائعة ومرآة مجلوة بها رأيه ورأى الفقهاء واصل الرأى وهو الحديث مثال ذلك من صحيحه قوله فى كتاب الوضوء (باب لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا المسكر) (٢) وكرهه الحسن وأبو العالية .

وقال عطاء التيمم أحب الى من الوضوء (ثم جاء بالحديث) الذى ترجم ما استنتجه فيه من الحكم بعدم الجواز - وذكر فيه كراهية الأئمة قال حدثنا على عن عبد الله قال حدثنا سفيان قال حدثنا الزهرى عن ابى سلمة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل شراب اسكر فهو حرام .

قال الكشميرى (٣) : اعلم أن محل الخلاف فيما ألقيت فى الماء

١ - مقدمة الشيخ عبد الفنى .

٢ - الجامع الصحيح ٤٨/١ .

٣ - فيض البارى ١/٣٤٠ .

تسيرات حتى صار حلوا رقيقا غير مطبوع ولا مسكر فان أسكر أو طبخ فلا خلاف في عدم الجواز كما في المبسوط وفي البحر نقلا عن (فاضيخان) ان الامام أبا حنيفة رجع عنه الى مذهب الجهور وهو عدم الجواز مطلقا والطحاوى أيضا تركه ولم ينتصر للمذهب المرجوع عنه اهـ .

وفي كتاب الاضاحى من الصحيح (باب سنة الأضحى) وقال ابن عمر هي سنة ومعروف ، وجاء البخارى بالسند المتصل عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : من ذبح قبل الصلاة فإنما ذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين

وفي كتاب الصيد « باب صيد المعراض » (١) وقال ابن عمر في المقتولة بالبندقة تلك الموقوذة وكرهه سالم والقاسم ومجاهد وإبراهيم وعطاء والحسن وكره الحسن رمى البندقية في القرى والأمصار ولا يرى بأسا فيما سواه وذكر الحديث بالاسناد المتصل منه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو هنا كما ترى لم يفصح برأى اكتفاء برأى الأئمة تعبيراً عما يهدف اليه الحديث .

وهكذا يجد من أقوال الصحابة والتابعين ومن اخذ عنهم الأئمة الأربعة ثروة طائلة قد يعبر بها عن فهمه للحديث في كثير من الأحيان ويلاحظ انه لم ينص معتمدا على رأى امام من الأئمة الأربعة معتمدا عليه وحده في فهم الحديث وان كان يتفق بطبيعة الحال مع أى مذهب منها في كثير مما ذهب اليه في اختيار للحكم كما يختلف معه ويتفق مع غيره حسبما يدل عليه الحديث كما هو الشأن في المذاهب الأربعة بعضها مع بعض اتفاقا واختلافا وقد أكسبه اطلاعه على آراء الصحابة والتابعين والفقهاء عامة مقدرة فائقة وملكة وقادة في استنباط الحكم من

١ - المراض خشبة محدودة الطرف أو في طرفها حديدة يرمى بها الصيد وتبل سهم لا يرش له ولا نصل - صحيح البخارى ٧٤/٧ .

الحديث وأمر اتفاقه في كثير مما ذهب اليه أى امام من الأئمة الأربعة في كثير من الأحيان أمر طبيعي كاتفاق الأئمة في الاصول وكثير من الفروع في كثير من الأحيان فمن المعلوم أن الأصل واحد فمصدر تشريع الأئمة باتفاق - الكتاب والسنة - والسنة مفسرة لمجمل القرآن ولا رأى مع وجود الحكم المصرح به في الكتاب والسنة أو المستنبط من الكتاب والسنة وهذا هو نهج البخارى كما هو نهج جميع المجتهدين واذا وجد خلاف في هذه الدائرة فانما هو في النوع المستنبط من نص يحتمل الوجوه المختلفة ويتفاوت رأى حسب اجتهاد المجتهد ومقدرته في استنباط الحكم وقد بوب البخارى في صحيحه في الجزء التاسع كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة وبين فيه أن من السنة القدوة بالصحابة وروى عنه وراقه ما يفيد ان عنده المقدرة على تطبيق أحكام المسائل على الكتاب والسنة وما يشير ان اليه قال وراقه سمعته يقول لا أعلم شيئاً يحتاج اليه الا وهو في الكتاب والسنة فقلت له يمكن معرفة ذلك ؟ قال نعم (١) فمذهب البخارى هو ما تضمنه الكتاب والسنة وما يشير ان به وهو مذهب الأئمة عامة .

وقد روى عن الأئمة الأربعة اذا صح الحديث فهو مذهبي وقال الشافعى في هذا المعنى اذا صح الحديث فاضربوا برأى عرض الحائط فلو وجد امام من الأئمة حديثاً صحيحاً لم يكن معلوماً له ينص على أمر مخالف لرأى من اجتهاده بقياس أو غيره لرجع اليه وهذا من أسباب رجوع الشافعى عن بعض ما دون في مذهبه القديم الى مذهبه الجديد .

فلا رأى مع الكتاب والسنة عند الجميع وكلهم يقر ما قاله عمر بن عبد العزيز عن الأوزاعى قال كتب أنه لا رأى لأحد في كتاب الله وانما رأى الأئمة فيما لم ينزل فيه الكتاب ولم تمض فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ولا رأى لأحد في سنة سنّها رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، وهم في ذلك ملتزمون للمنهج المعلوم الذي أقره النبي صلى الله عليه وسلم في القضاء لمعاذ بن جبل ، على أنه قد ينتج خلاف سير غير ذي بال في الفروع المستنبطة من الكتاب والسنة حسب مقدرة المجتهد في فهمه والمأمة بالآيات والأحاديث التي تفسر بعضها بعضا فيما هو مبهم غير صريح في النص على الحكم ونظرا لوجود ذلك في الفروع واحتمال أخذه من النص كان الخلاف يسيرا في كثير من الأحيان ومن الممكن أن يعتبر تعدد الأوجه في كثير من المسائل آراء متعددة كلها محتملة ، وفي هذا المجال كان اجتهاد البخارى رضى الله عنه واختلافه واتفاقه مع الأئمة ، ويفيد تصريح الأئمة اذا صح الحديث فهو مذهبي وعملهم بذلك أنهم لو فرض أن امتد بهم الأجل وقد رأوا حديثا صحيحا من الأحاديث الصحيحة في البخارى ومسلم وغيرهما لم يظفروا به لأصبح مذهباً لهم ذلك الحديث ، ومما يستحب التنبيه عليه حتى لا يكون أمر التزام البخارى بمذهب أمرا ضروريا شغل الكثير من الباحثين - أنه لم يكن حتى عصر البخارى بل حتى بعد المائة الرابعة أن يكون الناس مجمعين على التقليد (١) الخالص على مذهب واحد بعينه والتفقه به .

قال الدهلوى - اعلم أن الناس كانوا قبل المائة الرابعة غير مجمعين على التقليد الخاص لمذهب واحد بعينه قال ابو طالب المكي في قوت القلوب ان الكتب والمجموعات محدثة والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب واحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له من كل شيء والتفقه على مذهبه لم يكن الناس قديما على ذلك في القرنين الأول والثاني. هـ قال الدهلوى وبعد القرنين حدث فيهم شيء من التخريج غير أن أهل المائة الرابعة لم يكونوا مجتمعين على التقليد الخالص على مذهب واحد والتفقه له والحكاية لقوله كما يظهر من تتبع بل كان فيهم العلماء والعامة وكان من خبر العامة انهم كانوا في المسائل الاجماعية التي لا اختلاف فيها بين المسلمين أو جمهور المجتهدين لا يقنطون الا

١ - حجة الله البالغة ج ١ ص ١٥٠ و ص ١٥٣ باب حكاية حال الناس قبل المائة الرابعة .

صاحب الشرع - وكانوا يتعلمون صفة الوضوء والغسل والصلاة والزكاة ونحو ذلك من آباءهم أو معلمى بلدانهم فيمشون حسب ذلك وإذا وقعت لهم واقعة استفتوا فيها أى مفت وجدوا من غير تعيين مذهب وكان من خبر الخاصة انه كان أهل الحديث منهم يشتغلون بالحديث فيخلص اليهم من أحاديث النبی صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة مالا يحتاجون معه الى شئ آخر فى المسألة ، من حديث مستفيض أو صحيح قد عمل به بعض الفقهاء ولا عذر لتارك العمل به ، أو أقوال متظاهرة لجمهور الصحابة والتابعين مما لا يحسن مخالفتهم ، فإن لم يجد أحدهم فى المسألة ما يطمئن به قلبه لتعارض النقل وعدم وضوح الترجيح ونحو ذلك رجع الى كلام بعض من مضى من الفقهاء فان وجد قولين اختار أوثقهما سواء كان من أهل المدينة أو أهل الكوفة .

وكان أهل التخريج منهم يخرجون فيما لا يجدونه مصرحا به ويجهدون ، وكان هؤلاء ينسبون الى مذهب اصحابهم فيقال فلان شافعى وفلان حنفى .

وكان صاحب الحديث أيضا ينسب الى أحد المذاهب لكثرة مرافقته له كالنسائى والبيهقى ينسبان الى الشافعى فكان لا يتولى القضاء ولا الافتاء الا مجتهد ولا يسمى الفقيه الا مجتهدا وقد قال الشافعى مهما قلت من قول أو اصلت من أصل فبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت ، فالقول ما قاله صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد - ليس لأحد مع الله رسوله كلام وقال أيضا لرجل لا تقلدنى ولا تقلدنا مالكا ولا الأوزاعى ولا النخعى ولا غيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة .

البخارى مجتهد مطلق وفقهه

إذا كان الاجتهاد هو بذل الوسع والجهد فى الدليل التفصيلي السمعى لاستنتاج حكم شرعى فان البخارى قد بلغ فى ذلك المكانة العليا - وقد تجلّى ذلك فى صحيحه على أعظم وجه - ترجمة وتعليقا

على الحديث وله في ذلك تصرف فريد لا يبارى فيه فهو مجتهد مطلق لا يشك في ذلك من درس صحيحه .

وإذا كان الفقه هو العلم أو الظن بالأحكام (النسبة التامة الشرعية العملية) باكتساب كما قال المتقدمون هو المستمد من الأدلة التفصيلية الجزئية أو بدون قيد الاكتساب كما عند المتأخرين سواء نظر في الأدلة أم نشأ عن تقليد بعض الأئمة .

فإن البخارى فقيه حصل الأدلة التفصيلية كتابا وسنة على أوسع نطاق واستنبط منها الأحكام مباشرة وحصل آراء الفقهاء عامة من أئمة الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة بما فيهم الأئمة الأربعة دون الاختصار على امام معين .

فهو المجتهد المطلق والفقهاء اكتسابا وتحصيلا أو قد فيه وأزهر فيه ملكة الاكتساب — اطلاعه الواسع على آراء الصحابة والتابعين وحديث رسول الله وعنايته بالقرآن الكريم وليس هذا القول بالأمر المستكشف أو المستحدث بل هذه هي الحقيقة التى شهد له بها وقررها أئمة العلماء في عصره وبعد عصره ولعمري ماذا يكون المجتهد والفقهاء اذ البخارى لم يكنه .

مكانة اجتهاده وفقهه فى عصره

يقول وراقه (١) سمعته يقول : ما جلست للتحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت فى كتب أهل الرأى وما تركت حديثا الا كتبته .

ويقول : سمعته يقول لا أعلم شيئا يحتاج اليه الا وهو فى الكتاب والسنة فقلت له يمكن معرفة ذلك ؟ قال نعم .

ويقول (١) فيه نعيم بن حماد الخزاعي « محمد بن اسماعيل فقيه هذه الأمة » .

ويقول بندار « محمد بن بشار » في البخارى : هو أفقه أهل زماننا والدارمى (٢) يقول : انى رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراق فما رأيت فيهم أجمع من محمد بن اسماعيل هو أعلمنا وافقها وأكثرنا طلبا .

ويقول وراقه « محمد بن حاتم » (٣) سمعت محمد بن يوسف يقول كنت عند أبى رجاء « قتيبة بن سعيد » فسئل عن طلاق السكران فدخل محمد بن اسماعيل فقال قتيبة المسائل هذا أحمد بن حنبل وابن المدينى وابن راهويه قد ساقهم الله اليك . وأشار الى محمد بن اسماعيل وكان مذهب محمد انه اذا كان مغلوب العقل لا يذكر ما يحدث فى سكره انه لا يجوز عليه من أمره شيء .

وقال وراقه (٤) راويا عن البخارى قوله : كنت عند اسحاق بن راهويه فسئل عن طلق ناسيا فسكت طويلا مفكرا : فقلت انا قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز عن أمته ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به او تكلم . وانما يراد مباشرة هؤلاء الثلاث العمل . والقلب أو الكلام والقلب وهذا لم يعتمد قلبه .

فقال اسحاق بن راهويه وهو الامام الفقيه المحدث - قويتنى قواك الله وأفتى به وقال (٥) صالح بن محمد بن جزره : ما رأيت خراسانيا أفهم من محمد بن اسماعيل وقال (٦) سليم بن مجاهد : ما رأيت بعينى منذ ٦٠ سنة أفقه ولا أروع ولا أزهد من محمد بن اسماعيل .

١ - المقدمة ١٩٧/٢ .

٢ - تهذيب الاسماء واللغات .

٣ - طبقات الشافعية .

٤ - المقدمة ١٩٨/٢ .

٥ - مقدمة شرح النووى للبخارى ٤/١ .

٦ - طبقات السبكي ١١/٢ .

وقال (١) أبو سهل محمد بن النضر الشافعي :

دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن اسماعيل فضلوهم على أنفسهم .

ولما قدم (٢) البخارى البصرة قال محمد بن بشار : قدم اليوم سيد الفقهاء .

وقال عبد الله بن محمد المسندى - محمد بن اسماعيل امام ومن لم يجعله اماما فاتهمه .

وقال (٣) فيه أبو الطيب حاتم بن منصور كان محمد بن اسماعيل آية الآيات في بصره ونفاذه في العلم .

ولم تكن هذه المكانة السامية التي تتراءى من شهادة الأئمة لاجتهاد البخارى وفقهه عن سطحية حتى تكون بالأمر الهزيل الذي يستطيع الزمن أن يحد من قوته .

ولكنها حقيقة واضحة مرتبطة بصحيحه ومكاته الخالدة .

فاستمرت هذه المكانة على مر الأيام والقرون يزكيها الدارسون لصحيحه من أقطاب العلم والسنة في كل عصره كالامام النووى من أعلام القرن السابع المتوفى سنة ٦٧٦ هـ فقد وضع في مقدمة شرحه للبخارى في أسلوب علمي متين مكانة البخارى في الاجتهاد في صحيحه .

وكما بينها الحافظ ابن حجر من أعلام القرن التاسع المتوفى سنة ٨٥٢ هـ في مقدمته فتح البارى وهو المتخصص والمرجع في تصرفات البخارى في صحيحه وقد استغرق في دراسته وتأليف مقدمته وشرحه فتح البارى ستة عشر عاما قدر المدة التي استغرقها البخارى في تأليف صحيحه .

١ - تاريخ بغداد ١٩/٢ .

٢ - تهذيب التهذيب ٥/٦ .

٣ - تاريخ بغداد ٢٨/٢ .

واستمرت هذه المكانة حقيقة سافرة للعلماء في كل عصر وزمن .
يشهد بها كل دارس ومتصد لشرح الصحيح وقد تعرض لها وشهد
بذلك المحدث الكبير محمد أنور الكشميري الديوبندي المتوفى سنة
١٣٢٥ هـ وهو أحد أئمة الحديث في الهند . ومرجع أيضا لدراسة
البخارى وسأشير الى مزيد من آرائهم عند الكلام على تراجمه التى هي
محل فقهه .

تراجم صحيح البخارى

ان تراجم الجامع الصحيح للبخارى تعطى صورة واضحة ان مصنفه
صافى الذهن حاد الذكاء قوى الحفظ يمتاز بفهم عميق للكتاب والسنة
وله المقدرة التامة على استنباط الأحكام منها وحسن التصرف في ترجمته
وكان الكتاب والسنة صفحة مرسومة في ذاكرته يقطف منها ما شاء
استشهادا واستنباطا .

فحق لامام الحديث النووى (١) ان يقول : ان البخارى رحمه الله
كانت له الغاية المرضية من التمكن في أنواع العلوم واما دقائق الحديث
واستنباط اللطائف منه فلا يكاد أحد يقاربه فيها . وقد شهد له اعلام
المحدثين من شيوخه وغيرهم واذا نظرت في كتابه جازمت بذلك لا شك ثم
ليس مقصوده الاقتصار على الحديث وتكثير المتن بل مراده
الاستنباط منها . والاستدلال لأبواب ارادها من الأصول والفروع
والزهد والأدب والأمثال وغيرها من الفنون كما قال الاسماعيلى ان
احدا من المحدثين لم يبلغ من التشدد مبلغ أبى عبد الله ولا تسبب الى
استنباط المعانى واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة
على ماله وصلة بالحديث المروى فيه تسببه ولله الفضل يختص به من
يشاء ، وقال الحافظ ابن حجر في شأن صحيح البخارى ... ثم رأى ان
لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكيمة فاستخرج بفهمه من

١ - شرح البخارى للنووى ج ١ صفحة ٦ .

المتون معانى كثيرة فرقتها فى أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى بآيات الاحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك فى الاشارة الى تفسيرها السبل الوسيعة (١) .

ويقول الكشميرى فى تراجمه ان المصنف سباق غايات وصاحب آيات فى وضع التراجم لم يسبق به احد من المتقدمين ولم يستطع أن يحاكيه أحد من المتأخرين فهو الفاتح لذلك الباب وصار الخاتم وضع فى تراجمه آيات تناسبها مما يتعلق من هذا الباب ونبه على مسائل مظان الفقه فى القرآن بل اقامها منه ودل على طرق التأسيس من القرآن وبه يتضح ربط الفقه والحديث بالقرآن بعضه مع بعض ومن رفعه اجتهاده ودقته فى الاجتهاديات وبسطها فى التراجم قيل ان فقه البخارى فى تراجمه فكان فى تراجم المصنف علوم متفرقة من الفقه وأصوله والكلام أو ما إليها بايجاز واختصار أ . هـ .

واذكر هنا انماطا من تصرفه فى تراجمه لا على سبيل الاستيعاب محاولا قدر الجهد المحدود ان أدعها بالأمثلة من صحيحه فيما لم اصادف التمثيل عليه من المتقدمين المتكلمين على تراجمه كابن حجر فى مقدمته وولى الله الدهلوى فى تراجم صحيح البخارى والنووى فى مقدمة شرحه للبخارى والكشميرى فى مقدمة فيض البارى على صحيح البخارى .

منهجه فى التراجم

قد يكون من تراجمه ما هو ظاهر والترجمة فيه دالة بالمطابقة لما ترجم له ولا فائدة لها سوى الاعلام بما ورد فى ذلك الباب مثاله باب ذكر هند بنت (٢) عتبة بن ربيعة رضى الله عنها وجاء بالاسناد المتصل الى

١ - مقدمة فتح البارى ج ١ ص ٩ .

٢ - صحيح البخارى ٥٩ ص ٢٢ وفتح البارى ج ٧ ص ٩٧ والعينى ج ٨ ص ٢٤ .

عروة ان عائشة رضى الله عنها قالت جاءت هند بنت عتبة قالت يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب اليه ان يذلوا من أهل خيلائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب اليه أن يعزوا من أهل خيلائك .

فهذا وما مثله ليس فيه اجتهاد انما هو مجرد عنوان لما ترجم له وقد يأتى بالترجمة بلفظ المترجم له مثال ذلك (باب قول النبي صلى لله عليه وسلم اللهم علمه الكتاب) وجاء بالحديث المتصل عن ابن عباس قال ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « اللهم علمه الكتاب » (١) وقد يترجم ببعض المترجم له مثاله باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين - وجاء بالاسناد المتصل قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله (٢) .

وقد يأتى بالترجمة تفسيرا للمعنى المراد من كلمة في الحديث بها يتضح المعنى مثاله « باب الاغتباط في العلم والحكمة » وقال عسر تفقهوا قبل أن تسودوا وجاء بالحديث المسند عن عبد الله بن مسعود قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها (فهو بهذه الترجمة بين ان المراد بالحسد انما هو الغبطة وهى تمنى مثل ما للغبوط من غير زواله بخلاف أصل الحسد قانع مع تمنى الزوال عنه (٣) فالترجمة هنا بيان بتأويل ذلك الحديث معينة لمعناه .

وقد يأتى للحديث الخاص بترجمة عامة فتكون الترجمة كتأويل للحديث نائبة مناب قول الفقيه المراد

١ - كتاب العلم ج ١ ص ٢٢ .

٢ - كتاب العلم ص ٢١ .

٣ - القسطلاني ج ١ ص ١٧١ .

بهذا الحديث الخاص العموم اشعارا بالقياس لوجود العلة الجامعة مثال ذلك باب التسمية على كل حال وعند الوقاع (١) وجاء بالاسناد المتصل عن ابن عباس يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال (لو ان احدكم اذا اتى اهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره) .

فمطابقة الحديث لأحد شقى الترجمة الذى هو الخاص وهو قوله (عند الوقاع) وليس فيه ما يطابق الشق الآخر الذى هو العام وهو قوله على كل حال من ذكر اسم الله تعالى ومع ذلك تسن التسمية فيه ففى سائر الاحوال بالطريق الأولى فذلك أورده البخارى فى باب الوضوء وهو كما قال العيني للتنبيه على مشروعية التسمية عند الوضوء ولم يذكر حيث لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه لانه ليس على شرطه وان كثرت طرقه وقد طعن فيه الحفاظ واستدركوا على الحاكم تصحيحه بانه انقلب عليه اسناده واشتبه (٢) .

وقد يأتى للحديث العام بترجمة خاصة وذلك كقول الفقيه المراد بهذا الحديث العام الخصوص مثاله من كتاب الصلاة باب جهر الامام بالتأمين (٣) وقال عطاء أمين دعاء أمن ابن الزبير ومن وراءه حتى أن للمسجد للجه (ضجيجا) وكان أبو هريرة ينادى الامام لا تفتنى بأمين قال نافع كان ابن عمر لا يدعه ويحضهم وسمعت منه فى ذلك خيرا ... وجاء بالحديث المسند عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالم اذا أمن الامام فأمنوا فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه فليس فى الحديث الجهر كما فى الترجمة وانما فى التأمين فبين فى الترجمة بأن المراد ليس مطلق التأمين وانما هو التأمين فى الصلاة الجهرية بالجهر بها واخذه من قوله صلى الله عليه وسلم اذا

١ - العيني ج ٢ طبع المنيرة ص ٢٦٦ .

٢ - العيني ج ٢ ص ٢٦٦ طبع المنيرة .

٣ - صحيح البخارى ج ١ ص ١٢٩ والفتح ج ٢ ص ١٧٧ والعيني ج ٣ ص ١٠٦ وفيض

البارى ج ٢ ص ٢٥٩ .

امن الامام فأمنوا فتوقيتها بحين تأمين الامام بعد جهر الامام لتمكين
المقتدى أن يؤمن على تأمين امامه ويكون المأموم على شاكلة امامه .

وقد يأتي بلفظ الترجمة ثم يورد بعدها آية أو أثراً لا حديثاً مسنداً
فكأنه يقول لم يصح في الباب شيء على شرطه مثاله . باب (١) عفو
المظلوم (لقوله تعالى) (ان تبدوا خيراً او تخفوه او تعفوا عن سوء
فان الله كان عفواً قديراً)

(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ان الله
لا يحب الظالمين) (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما
السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيعون في الأرض بغير الحق أولئك
لهم عذاب اليم) (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور) (وترى
الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل) واتتهى الباب
على ذلك وكأنه يريد ان يبين أن دليل الحكم المستفاد من الترجمة ثابت
بالكتاب لا بالسنة عنده .

وقد يترجم بحديث مرفوع ليس على شرطه ويذكر في الباب حديثاً
شاهداً له على شرطه مثاله :

(باب (٢) لا تقبل صلاة بغير طهور) وجاء بالسند المتصل عن أبي
هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبل صلاة من
أحدث حتى يتوضأ قال رجل من حضرموت ما الحدث يا أبا هريرة قال
(فساء أو ضراط) فهذه الترجمة لفظ حديث رواه مسلم وغيره من حديث
ابن عمر رضى الله عنهما بزيادة قوله (ولا صدقة من غلول).

وأخرجه أبو داود والنسائي من طريق أبي المليح عن أبيه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يقبل الله صدقةً من غلول ولا صلاة بغير

١ - صحيح البخارى ج ٣ ص ١١٢ وفتح البارى ج ٥ ص ٦٢ والعينى ج ٦ ص ١١١
والقسطلانى ج ٤ ص ٥٢٧ والكرمانى ج ١١ ص ٢٠ .

٢ - من كتاب الوضوء صحيح البخارى ج ١ ص ٢٣ العينى ج ١ ص ١٦٣ والفتح
ج ١ ص ١٦٦ والقسطلانى ج ١ ص ٢٢٦ والكرمانى ج ٢ ص ١٦٦ .

طهور وله طرق كثيرة لكن ليس فيها شيء على شرط البخارى فلهذا عدل عنه مع ان حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مطابقا لما ترجم له وحديث ابى هريره يقوم مقامه وقد قيل ان الحديث ليس بمطابق للترجمة لأن الترجمة عام والحديث خاص قال العيني والجواب انه وان كان خاصا ولكنه يستدل به على ان الأعم نحوه بل أولى ولما كانت الأحاديث التى تطابق الترجمة حسب الظاهر ليست على شرطه فذلك لم يذكرها وذكر حديث ابى هريره هذا على شرطه عوضا عنها لأنه يقوم مقامها من الوجه المذكور - وكأنه أراد ان يتابع حديثه بحديث غيره.

وقد يترجم بآية ويأتى بعدها بالحديث مثاله من كتاب العلم (١) (باب قول الله تعالى وما أوتيتهم من العلم الا قليلا) وجاء بالسند المتصل عن علقمه عن عبد الله قال بينا أنا امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى طريق المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنصر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجىء فيه بشيء تكرهونه فقال بعضهم لنسألن فقام رجل منهم فقال يا ابا القاسم ما الروح فسكت فقلت انه يوحى اليه وقت فلما انجلى عنه فقال (يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما أوتيتهم من العلم الا قليلا) قال الأعمش هكذا قرأتها ، يريد البخارى أن يفيد اثبات الحكم بالمصدرين الكريمين الكتاب والسنة .

وقد يترجم بلفظ الاستفهام كقوله باب هل يكون كذا أو من قال كذا أو نحو ذلك حيث لا يتجه له الجزم باحد الاحتمالين وغرضه بيان هل يثبت ذلك الحكم أو لم يثبت فترجم على الحكم ومراده ما تفسر بعد من اثباته أو نفيه أو انه محتمل لهما وربما كان احد المحتملين أظهر وغرضه أن يبقى للنظر مجالا مثاله (باب (٢) هل يدخل الجنب يده فى الاناء قبل أن يغسلها ؟ اذا لم يكن على يده قدر غير الجنابة) وادخل

١ - صحيح البخارى ج ١ ص ٣١ .

٢ - صحيح البخارى كتاب الفسل ج ١ ص ٥١ القسطلانى ج ١ ص ٣١٥ والعينى ج ٢

ص ٣ والفتح ج ١ ص ٢٥٠ والكرمانى ج ٣ ص ١١١ .

ابن عمر والبراء بن عازب يده في الطهور ولم يغسلها ثم توضأ ولم ير ابن عمر وابن عباس بأساً بما ينتضح من غسل الجنابة حدثنا عبد الله ابن مسلمة أخبرنا أفلح بن حميد عن القاسم عن عائشة قالت كنت أغتسل أنا والنبي صلى الله عليه وسلم من اناء واحد تختلف ايدينا فيه وحدثنا مسدد قال حدثنا حماد عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اغتسل من الجنابة غسل يده. قال القسطلاني ومطابقة هذا الحديث للترجمة من حيث جواز ادخال الجنب يده في الاناء قبل أن يغسلها اذا لم يكن عليها قدر لقولها تختلف ايدينا فيه واختلافهما فيه لا يكون الا بعد الادخال فدل ذلك على انه غير مفسد للماء اذا لم يكن عليها ما ينجس يقينا .

ومما قاله ابن حجر (١) ومثل له قوله - وكثيرا ما يترجم بأمر فاهره قليل الجدوى لكنه اذا حققه المتأمل أجدى كقوله باب قول الرجل (٢) ما صلينا فإنه أشار به الى الرد على من كره ذلك ومنه قوله باب (٣) قول الرجل فاتتنا الصلاة وأشار بذلك الى الرد على من كره املاق هذا اللفظ .

وكثيرا ما يترجم بأمر مختص ببعض الوقائع لا يظهر في بادىء الراى كقوله باب استياك (٤) الامام بحضرة رعيته فانه لما كان الاستياك قد يظن انه من أفعال المهنة فلعل بعض الناس يتوهم ان اخفاءه أولى مراعاة للمروءة فلما وقع في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم استاك بحضرة الناس دل انه من باب التطيب لا من الباب الآخر نبه على ذلك ابن دقيق العيد .

ومما ذكره ولي الله الدهلوى أحمد بن عبد الرحيم في كتابه شرح تراجم أبواب صحيح البخارى ، وقد أتممت تمثيل ما ترك الدهلوى

١ - المقدمة ج ١ ص ٩٠ .

٢ - كتاب الجماعة صحيح البخارى ج ١ ص ١٠٩ .

٣ - صحيح البخارى ج ١ ص ١٠٨ .

٤ - ذكره ابن حجر على سبيل المثال ولم اجده في الصحيح ثم وجدت الكشميرى نبه على انه غير موجود في صحيح البخارى .

وغيره التمثيل له ومن ذلك أن يترجم بمسألة اختلف فيها الأحاديث فيأتي بتلك الأحاديث على اختلافها ليقرب الى الفقيه من بعده أمرها مثاله : باب خروج النساء الى البراز ، جمع فيه بين حديثين مختلفين .

وقد ذكر ذلك البخارى فى كتاب الوضوء (١) من صحيحه والحديث الأول عن عائشة قول عمر لسوده ألا قد عرفناك يا سوده ، حرصا على أن ينزل الحجاب فانزل الله آية الحجاب .

والحديث الثانى عن عائشة أيضا وفيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال . قد اذن ان تخرجن فى حاجتكن قال هشام يعنى البراز (وهو القضاء تقضى فيه الحاجة) .

ويسكن أن يجمع بينهما بأنه لا تنافى فانها قد تخرج مغطاة متحجبة لا تعرف والمنهى عنه السفر والتبرج .

ومنها انه قد تتعارض الأدلة ويكون عند البخارى وجه التطابق بينها بحمل كل واحد على محمل فيترجم بذلك المحمل اشارة الى وجه التطبيق مثاله باب خوف المؤمن ان يحبط عمله وما يحذر من الاصرار (٢) على القتال والعصيان ، ذكر فيه حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وذكر حديث خرج النبى صلى الله عليه وسلم للاخبار بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم خرجت لاختبركم بليلة القدر وانه قد تلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم ، الحديث .

فبين البخارى فى الترجمة الجمع بين الحديثين بان الكفر والفسوق فى القتال والعصيان حين الاصرار من غير توبة قال وما يحذر من الاصرار من غير توبة لقوله تعالى « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » .

١ -- مقدمة فتح البارى ج ٢ ص ١١٠ .

٢ -- صحيح البخارى كتاب الايمان ج ١ ص ١٥ .

ومنها أنه قد يجمع في باب أحاديث كثيرة كل واحد منها يدل على الترجمة ثم يظهر له في حديث واحد فائدة أخرى سوى الفائدة المترجم عليها ويعلم على ذلك الحديث بعلامة الباب وليس غرضه أن الباب الأول قد انقضى بما فيه وجاء الباب الأخير برأسه ولكن قوله باب هنالك بسنذلة ما يكتب أهل العلم على الفائدة المهمة لفظ تنبيه أو لفظ فائدة أو لفظ قف بمثاله :

باب قوله تعالى (وبث فيها من كل دابة) ثم قال بعد اسطر باب خير (١) مال المسلم غنم يتبع فيها شعب الجبال ثم ذكر حديث (والفخر والخيلاء في أهل الخير ثم ما ليس فيه ذكر الغنم فكأنه اعلم على هذا الحديث بأنه مع دخوله في الباب فيه فائدة أخرى مع حقيقة الغنم .

ومنها انه قد يكتب (ح) حيث جاء حديث باسنادين مثاله باب ذكر الملائكة (٢) وأطال في الكلام حتى اخرج حديث الملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار رواية شعيب عن أبي الزناد عن ابى هريره ثم كتب باب اذا قال أحدكم أمين والملائكة في السماء أمين فوافقت احدهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ثم اخرج حديث ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه صور ثم ما ليس فيه ذكر امين الا بعد كثير قال الاسماعيلي في موضع (ح) وبهذا الاسناد وكأنه يشير إلى لفظ (ح) علامة لقوله وبهذا الاسناد أهـ .

وبهذه المناسبة اذكر ما قاله النووى في مقدمة صحيح مسلم ان حرف (ح) تستعمل اذا كان للحديث اسنادان أو أكثر فتكتب عند الانتقال من اسناد الى اسناد والمختار انها مأخوذة من التحول لتحوله من الاسناد الى اسناد وانه يقول القارىء اذا انتهى اليها (ح) ويستمر فى قراءة ما بعدها وقيل أنها من احال بين الشيئين اذا حجز لكونها حالت بين الإسنادين وانه لا يلفظ عند الانتهاء اليها بشيء وليست من

١ - كتاب بدء الخلق صحيح البخارى ج ٤ ص ٤ .

٢ - صحيح البخارى ج ٤ ص ٨٩ .

الرواية وقيل إنها رمز الى قوله «الحديث» وان أهل المغرب كلهم يقولون اذا وصلوا اليها - الحديث . فقد كتب جساغه من الحفاظ موضعها صح فيشعر بأنها رمز صح وحسن ها هنا كتابة صح لئلا يتوهم أنه سقط من الاسناد الأول ثم هذه الحاء توجد في كتب المتأخرين كثيرا وهى كثيرة فى صحيح مسلم (١) قليلة فى صحيح البخارى أه .

أمثلة لبعض آراء البخارى الفقهية مع ذكر آراء الأئمة فيها

مسح الرأس كله

قال البخارى باب مسح الرأس كله لقوله تعالى « وامسحوا برؤوسكم » وسئل مالك عن عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه ان رجلا قال لعبد الله بن يزيد وهو جد عمرو بن يحيى أتستطيع أن ترينى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ؟ فقال عبد الله بن زيد : نعم فدعا بماء فأفرغ على يديه فغسل مرتين ثم مضمض واستنثر ثلاثا : ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل يديه مرتين الى المرفقين ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وادبر بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما الى قفاه . ثم ردهما الى المكان الذى بدأ منه ثم غسل رجليه . فاستدل البخارى على وجوب مسح الرأس بالآيه ووجهه ان الرأس اسم لجميع العضو فلا يكون المأمور بالمسح الا هو . وهو موافق لرأى الامام مالك ومخالف للشافعى والاحناف ورأيه انما هو اتباع لما استبان له من معنى الآيه فى ضوء الحديث فى قوله ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وادبر ، بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذى بدأ منه .

فهذا يفيد استيعاب مسح الرأس كله فهو يسير تجاه الحديث حسب اجتهاده مدعما بأراء الصحابة وان خالف الشافعى والحنفى أو غيرهما واما وجهة نظر الشافعى وابى حنيفة فهمى : ان الفعل اذا أمر

بأيقاعه على محل فإنه يكفى فيه وقوعه على بعضه فالآية فيها نوع اجمال يفصله ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على بعض رأسه يقول الكشميري : فنحن معاشر الاحناف تفحصنا حال النبي صلى الله عليه وسلم فى المسح فلم نجد فيه أقل من الربع فقلنا به وعلمنا أن الايقاع على الربع يحكى الكل ويقوم مقامه فى نظر الشارع ويؤدى مؤداه عنده لحديث المغيرة رضى الله عنه فإنه لا يدل الا على أنه مسح على بعض الرأس وعند أبى داود أنه مسح مقدم رأسه وفيه أبو معقل قيل أنه مجهول قال الكشميري : وقد تبين لى اسمه وهو حسن عندى وهو عبد الله بن معقل كما فى الفتح ج ١٤ ص ٤ وفى تهذيب التهذيب .

وعن عطاء بن أبى رباح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان فى سفر وكان على رأسه عمامه فوضعها على رقبته ثم مسح رأسه ، فلمثل هذه الاحاديث قال الاحناف والشافعية أن الاستيعاب ليس بفرض وقدره الشافعية على ما يسمى مسحا فعلم بأن الاستيعاب لم يكن شرطا عند السلف « وقالوا فى الآية الباء للتبعض وقالوا فى الحديث أنه ربما يكون ذلك قصد به الاكمل » .

فالشافعية وقد خالفهم البخارى قالوا يكفى مسح بعض الرأس ولو قليلا واستدلوا بما روى من فعل الرسول ولما لم يثبت حديثهم عند البخارى بشرطه لم يعتبره واقتصر على ما عنده من مسح الرأس كله والحنابلة قالوا (١) بمسح جميع الرأس ومنها الاذان فيفرض مسحهما مع الرأس فالحنابلة متفقون مع المالكية الا انهم اعتبروا الاذنين جزءا من الرأس .

وانما أخذ البخارى بهذا المبدأ نظرا لأن الادلة الاخرى لم تقم عنده ومن هنا نستطيع أن نقول بأن البخارى لم يكن ملتزما بمذهب معين وانما مذهبه الحديث .

١ - الفقه على المذاهب الاربعة للجزيرى ج ١ ص ٥٦ طبعة ثانية شركة فن الطبعة .

مسح الرأس مرة

قال البخارى : « باب (١) مسح الرأس مرة » حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا وهيب قال : حدثنا عمرو بن يحيى عن أبيه قال : شهدت عمرو بن أبى حسن سأل عبد الله بن زيد عن وضوء النبى صلى الله عليه وسلم فدعا بتور من ماء فتوضأ لهم فكفأ على يديه فغسلهما ثلاثا . ثم أدخل يده فى الأناء فمضمض واستنشق واستنثر ثلاثا بثلاث غرفات من ماء ثم أدخل يده فى الأناء فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فى الأناء فمسح برأسه فأقبل بيديه وادبر بهما ثم أدخل يده فى الأناء فغسل رجلبيه فحدثنا موسى قال حدثنا وهيب قال فمسح رأسه مرة .

قال الكشميرى : جزم الامام البخارى بمذهب أبى حنيفة وترك مذهب الشافعية وقد قال الحنفية أن الاسباغ فى المسح هو الاستيعاب لأنه لا يناسبه التثليث وجاء بالرواية مسح برأسه مرة وفهم هذا الراوى عين ما فهمه الحنفية أن الاقبال والادبار حركتان والمسح واحد ولم يحملها على التكرار فى المسح كما فهمه الشافعية .

وقال القسطلانى : وهو الشافعى المذهب فى قوله مسح برأسه مرة أى واحدة وتمام الاسناد وهيب عن عمرو بن يحيى عن أبيه قال شهدت عمرو بن أبى الحسن سأل عبد الله بن زيد عن وضوء النبى صلى الله عليه وسلم الى أن قال مسح رأسه مرة قال القسطلانى واحاديث الصحيحين أى المسندة ليس فيها ذكر عدم المسح وبه استدل فى تدعيم رأى الشافعى قال أكثر العلماء : نعم . روى أبو داود وابن ماجه من وجهين صحح أحدهما ابن خزيمة وغيره من حديث عثمان فى تثليث مسح الرأس والزيادة من الثقة مقبولة وهو مذهب الشافعى ويحتج للتعدد

أيضاً بظاهر رواية مسلم أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثاً ثلاثاً وبالقياس على المغسول لأن الوضوء طهارة حكيمية ولا فرق في الطهارة الحكيمة بين الغسل والمسح .

وأجيب بما يؤيد رأى البخارى بأن ثلاثاً ثلاثاً مجمل . قد بين في الروايات الصحيحة أن المسح لا يتكرر فيحمل على الغالب ويختص بالمغسول وبأن - المسح مبنى على التخفيف فلا يقاس على الغسل الذى المراد منه المبالغة فى الاسباغ فثبت وجهة رأى البخارى .

لا نقض للوضوء من مس المرأة

قال البخارى : « باب (١) من لم ير الوضوء الا من المخرجين، القبل والدبر وقول الله تعالى (أو جاء احد منكم من الغائط) »

وقال أبو هريرة لا وضوء الا من حدث .

وقال ابن عباس لمستم وتمسوهن (٢) النكاح قال (٣) الكشميرى : شرع فى النواقض ووافق أبا حنيفة فى مس الذكر والمرأة ولم يربهما وضوءاً وخالف الشافعى فى ذلك ثم أن الآية عند الشافعى اقامت أصلين فى النواقض .

الأول الخارج من السيلين وهو المشار اليه بقوله أو جاء احد منكم من الغائط فقال المراد به الخروج من السيلين .

والثانى مس المرأة وألحق به مس الذكر أيضاً لكونهما من باب الشهوة فى قوله أو لامستم النساء فالملامسة عند الشافعية هى لمس المرأة وقد ثبت عنده حديث من مس ذكره فليتوضأ وتفسير الملامسة عند الاحناف هو الجماع .

١ - صحيح البخارى ج ١ ص ٣٩ .

٢ - ج ٦ ص ٤٢ من صحيح البخارى .

٣ - فيض البارى ص ٢٧٨ .

والملازمة كما ذهب اليه ابن عباس وعلى وغيرهما واختاره البخارى
هى الجماع ولذا لم يوجب من مس المرأة والذكر وضوءاً، فالمراد من
الملازمة المباشرة بالجماع لأن لفظ الملازمة أصدق على الجماع
والمباشرة باللمس وهكذا يجد الباحث أن البخارى يخالف ويوافق جرياً
وراء اجتهاده وفهمه من النصوص غير مقيد بامام بعينه .

جواز قراءة القرآن للجنب والحائض

قال البخارى : قال ابراهيم لا بأس أن يقرأ الجنب الآية ولم ير ابن
عباس بالقراءة للجنب بأساً وكان النبی صلى الله عليه وسلم يذكر الله
على كل أحيانه .

وقال ابن عباس اخبرنى أبو سفيان أن هرقل دعا بكتاب النبی صلى
الله عليه وسلم فقرأ فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم « يا أهل الكتاب
تعالوا الى كلمة » الآية :

فجوز البخارى قراءة القرآن للجنب وخالف فى ذلك جمهور الفقهاء
فقد حرموا قراءة شيء من القرآن للجنب لحديث على رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يحجبه عن القرآن شيء ليس
الجنابة ورواه أصحاب السنن وصححه الترمذى وغيره .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح وضعف بعضهم بعض رواته وعن
على رضى الله عنه أيضاً قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
« توضأ ثم قرأ شيئاً من القرآن » . ثم قال هكذا ليس الجنب . قال
الشوكانى فان صح هذا صلح للاستدلال به على التحريم أما الحديث
الأول فليس فيه ما يدل على التحريم لأن غايته أن النبی صلى الله عليه
وسلم ترك القراءة على الجنابة ومثله يصلح متمسكاً للكراهه فكيف
يستدل به على التحريم .

وقال ابن حجر تعليقا على هذا لم يصح عند البخارى شيء من
الأحاديث الواردة فى ذلك « منع الجنب والحائض من القراءة » .

فثبت بذلك أن البخارى لا يلتزم مذهب امام وانما يسير على ضوء
مهمه فى الحديث الثابت على شرطه .

من جامع فى نهار رمضان فعلية الكفارة ولا قضاء عليه

قال البخارى (١) : اذا جامع فى رمضان ولم يكن له شيء فتصدق
عليه فليكفر حدثنا ابو الياسن أخبرنا شعيب عن الزهرى قال اخبرنى
حسيد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس
عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل فقال يا رسول الله هلكت
قال مالك ؟ قال : وقعت على امرأتى وأنا صائم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل تجد رقبة تعتقها قال : لا — قال : فهل تستطيع أن
تصوم شهرين متتابعين ؟ قال لا — فقال فهل تجد اطعام ستين مسكينا
قال لا . فمكث النبى صلى الله عليه وسلم بعرق فيها تمر « والعرق المكتل » قال : أين
انسائل ؟ فقال أنا . قال خذها فتصدق به فقال الرجل على أفقر منى
يا رسول الله والله ما بين لابتيها « يريد الحرتين » أهل بيت أفقر من أهل بيتى ؟
فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال اطعمه أهلك »
فغند الحنفية والشافعية والحنابلة والمالكية (٢) أن الجماع يوجب
القضاء والكفارة ودليلهم أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر المجمع فى
نهار رمضان بالقضاء والكفارة .

قال الكشميرى : واختار البخارى أن لا قضاء وعليه الكفارة فلما
لم يثبت أمر النبى صلى الله عليه وسلم عند البخارى بالقضاء اقتصر
على الكفارة .

وقال ابن حجر (٣) والذى يظهر لى أن البخارى أشار بآثاره التى
ذكرها الى أن ايجاب القضاء مختلف فيه بين السلف وان الفطر بالجماع

١ - صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٩ .

٢ - مذاهب الأئمة الاربعة ج ١ ص ٥٦٠ باب ما يوجب القضاء والكفارة .

٣ - فتح البارى ج ٤ ص ١٣٠ .

لا بد فيه من الكفارة فقال البخارى : باب اذا جامع فى رمضان ويذكر عن أبى هريرة رفعه من أفطر يوما من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر . وان صامه وبه قال ابن مسعود وقال مسعيد بن المسيب والشعبى وقتاده يقضى يوما مكانه ثم قال البخارى اذا جامع فى رمضان فليكفر قال ابن حجر قول البخارى وبه قال ابن مسعود أى بما دل عليه حديث أبى هريرة ، وأثر ابن مسعود وصله البيهقى قال : حدث عبد الله بن مسعود قال من أفطر يوما فى رمضان من غير علة لم يجبره صيام الدهر حتى يلقي الله فان شاء غفر له وان شاء عذبه .

وجاء البخارى مرجحا رأى من قال بالتشديد على من جامع حتى لا يقبل فيه القضاء وهكذا نجد أن البخارى له رأى ترجيحا وتعليقا حسب فهمه بما ثبت عنده من الأحاديث وبين الكشمرى ان البخارى رجح التشديد فى ذلك استعظاما لحرمة نقض الصيام بالجماع متعمدا فلا يجبر بالقضاء واما انتقاء الكفارة فلكونها تعذيرا وليس بدلا عن الصوم (١) .

وان الناظر الى ترجمة البخارى يحكم بمذهبه فى الحكم المبوب له .

البخارى وموقفه من الأحناف فى آرائه الفقهية

والبخارى كما تبين يجتهد لاستنباط الحكم من الحديث وقد يستأنس لرأيه بأقوال الصحابة والتابعين بل يذكرها أحيانا مكتفيا بها ومقتنعا بالموافقة لفهمه من الحديث . ولم يذكر بعض الأئمة الأربعة فى صحيحه الا نادرا للغاية وافق رأيهم أو خالفهم . غير أنه نظرا لتوفر مادة الحديث عنده لم يضطر للأسراف فى رأى ومن هنا يختلف أحيانا مع آراء أبى حنيفة فيقول عند ذلك « خلافا لبعض الناس » ولم يذكر اسم أبى حنيفة مطلقا فى صحيحه فظن بعض المتعصبين للامام أبى حنيفة أن هذا تجاهلا لأبى حنيفة وتقييضا من شأن آرائه وليس الأمر كذلك ، وسيرة البخارى كلها

أدب ورقة واحترام لأبطال الاسلام ، وهل يعرف الفضل من الناس الا ذووه ؟ بل انه يفعل ذلك تأديبا وتقديرا لأبى حنيفة ولأن غيره قد يكون مشاركا له في هذا الرأي الذى اعترض عليه البخارى فعبر بعبارة جامعة وهى « بعض الناس » وكلا الامامين حريص على نشر الاسلام وبث تعاليمه .

وقد كان من جراء ذلك أن ألف بعض الهنود (١) كتابا فى الرد على البخارى سماه « بعض الناس فى دفع الوسواس » وهو اعتراضات على البخارى فيما اعترض به على أبى حنيفة ، وكتاب آخر يسمى « كشف الالتباس عما أورده البخارى على بعض (٢) الناس » ورد على ذلك سلطان الفقهاء والمحدثين مولانا محمد نذير حسين الديلووى فى كتاب سماه « رفع الالتباس عن بعض الناس » (٣) قال فى مقدمته وبعد فقد وقعت فى جزء من هذا الزمان على رسالة وعنوانه « بعض الناس فى دفع الوسواس » وأجيب فيها عما وقع فى الصحيح للامام الهمام المجتهد المطلق محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله تعالى من بعض تعارضه على الامام أبى حنيفة النعمان الكوفى رحمه الله تعالى بلفظ بعض الناس فنظرت فيها نظرة التأمل فوجدتها جامعة لشتات ما أجاب عنه بعض ناصرى ملة الأحناف من شراح الصحيح ونظاره ولم يأت جامع ذلك الشتات من عند نفسه بشىء يدافع عن مذهبه أو يدارى عن مسلكه غير أنه أفحش وذهب مذهب الاعتساف واعترض على مسلك الانصاف فأردت حسبة له تعالى وذبا عن أوليائه أن أزيل الالتباس عن بعض الناس كى لا يقعوا فى هذا الوسواس .

وجاء مولانا محمد نذير فى كتابه بما يقرب من ست وعشرين مسألة أورد منها بعض الأمثلة :

١ - موجود بالمكتبة الازهرية طبع الهند تحت رقم ٧٢٠ خصوصية حديث سنة ١٣١١ بالخط الحجرى .

٢ - مخطوط بدار الكتب المصرية ولم يعلم مؤلفه طبع الهند .

٣ - مخطوط بدار الكتب بالخزانة التيمورية .

الركاز دفن الجاهلية وليس المعدن بركا

قال الامام البخارى رحمه الله تعالى فى باب الركاز من صحيحه قال مالك وابن ادريس : الركاز دفن الجاهلية فى قليله وكثيره الخمس ليس المعدن بركا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى المعدن (١) جبار وفى الركاز الخمس وأخذ عمر بن عبد العزيز رحمه الله من المعادن من كل مائتين خمسة ثم قال بعد ذلك وقال «بعض الناس» المعدن ركاز مثل دفن الجاهلية لانه يقال اركز المعدن اذا أخرج منه شئ قيل له فقد يقال لمن وهب له الشئ أو ربح ربحا كثيرا أو كثر ثمرة اركزت ، ثم ناقضه فقال لا بأس ان يكتمه ولا يؤدى الخمس أ . ه .

وغرضه من كل ذلك ان الركاز هو دفن الجاهلية كما ذهب اليه الجمهور وليس المعدن ركازا فى ذلك الحكم الشرعى المذكور كما ذهب اليه بعض الناس واحتج على ذلك بحديث ابى سلمة عن أبى هريره رضى الله عنهما قال النبى صلى الله عليه وسلم العجماء جبار والبئر جبار والمعدن جبار وفى الركاز الخمس، وذكر أن عمر بن عبدالعزيز أخذ من المعادن من كل مائتين خمسة تقوية لما ادعاه وتعيينا لما أراداه النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث من لفظ الركاز وتأييدا لمذهبه بتعامل الفقهاء العرفاء باللسان العلماء بمراد النبى صلى الله عليه وسلم، وتفصيله ان النبى قال المعدن جبار وفى الركاز الخمس عطف الركاز على المعدن وفرق بينهما فى الحكم فعلم منه أن المعدن ليس بركا عند النبى صلى الله عليه وسلم بل هما شيئان متغايران .

ولو كان المعدن ركازا عنده لقال المعدن جبار وفيه الخمس ولما لم يقل ذلك ظهر انه غيره لأن العطف يدل على المغايرة قال الامام الحافظ ابن حجر فى فتح البارى والحجة للجمهور والبخارى التفرقة من النبى صلى الله عليه وسلم بين المعدن والركاز بواو العطف وتغاير الحكم فصح انه غيره ومن هنا تبين قوة حجة البخارى .

١ - ومعنى فى المعدن جبار يعنى اذا حفر معدنا فى ملكه أو فى موات فوقع فيه شخص ومات أو استأجره لعمى فى المعدن فهلك لا يضمه بل دمه هدر وليس المراد انه لا زكاة فيه ، واستدل بفعل عمر بأن حكم هذه فى الزكاة ربع العشر وهو مخالف لحكم الركاز وهو الخمس فى دفن الجاهلية فسطلانى ج ٢ ص ٨١ .

قبول شهادة القاذف والسارق والزاني بعد التوبة

قال الامام البخارى باب شهادة القاذف والسارق والزاني وقول الله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا أولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا الآية وجلد عمر أبا بكر وشبل بن معبد ونافعا بقذف المغيرة ثم استتابهم وقال من تاب قبلت شهادته وأجازه عبد الله بن عتبة وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير وطاووس ومجاهد والشعبي وعكرمة والزهرى ومحارب ابن دثار ومعاوية بن قره وقال ابو الزناد والأمر عندنا بالمدينة اذا رجع القاذف عن قوله فاستغفر ربه قبلت شهادته وقال الثورى اذا جلد العبد ثم أعتق جازت شهادته واذا استقضى المحدود ففضايه جائزة . وقال «بعض الناس» لا يجوز شهادة القاذف وان تاب ثم قال لا يجوز نكاح بغير شاهدين فان تزوج بشهادة محدودين جاز وان تزوج بشهادة عبدین لم یجز « وأجاز شهادة المحدود والعبد والأمة لرؤية هلال رمضان » أقول غرضه من ذلك أن شهادة القاذف مقبولة في الشرع بعد ما تاب كما ذهب اليه الجمهور لا كما قال به «بعض الناس» انها لا تقبل بعد التوبة أيضا واستدل عليه بقوله تعالى : ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا أولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا الآية وتعامل الفقهاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مثل عمر رضى الله عنه وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من الذين ذكروهم البخارى فانهم كانوا أعلم بكتاب الله وبمراده تعالى بذلك .

لا اسقاط للزكاة بالاحتيال

ومذهب البخارى رحمه الله عدم جواز اسقاط الزكاة قبل تمام الحول بالاحتيال واحتج في ذلك بأحاديث منها حديث « لا يجمع بين المتفرقة ولا يفرق بين المجتمع خشية الصدقة » ومذهب الامام أبى حنيفة في ذلك انه لا بأس به فلما ثبت عند البخارى أن هذا القول خلاف الأحاديث بينه في كتاب الحيل في باب الزكاة بقوله وقال «بعض الناس» في عشرين ومائة بغير حقتان فان أهلكها متعمدا أو وهبها أو احتال فيها فرارا من الزكاة فلا شيء عليه أ . ه .

قال الامام البخارى فى صحيحه فى كتاب الحيل باب الزكاة وان لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة ثم قال بعد نقل الأحاديث الواردة فى هذا الباب وقال «بعض الناس» فى عشرين ومائة بعير حقتان فان أهلكها متعمدا او وهبها او احتال فيها فرارا من الزكاة فلا شىء عليه أ. هـ .

وغرضه من ذلك التعريض بأبى حنيفة رحمه الله انه جوز اسقاط الفرض الذى هو من أركان الدين بتجوز الحيلة لسقوطه، مع أن النبى صلى الله عليه وسلم صرح بالنهى بقوله لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة .

من غصب جارية فهى حق لصاحبها وان دفع الغاصب قيمتها

قال الامام البخارى رحمه الله فى كتاب البيوع من الحيل باب اذا غصب جارية رجل فزعم أنها ماتت فقضى بقيمة الجارية الميتة ثم وجدها صاحبها فهى له . وترد القيمة ولا تكون القيمة ثمنا أ. هـ .

وقال أبو حنيفة : الجارية للغاصب والقيمة ثمن لا ترد ، فعرض الامام البخارى وقال : قال «بعض الناس» الجارية للغاصب لاخذ القيمة منه وفى هذا احتيال لمن اشتى جارية رجل لا يبيعها فغصبها واعتل بأنها ماتت حتى يأخذ ربهها قيمتها فتطيب للغاصب جارية غيره وحكم النبى يخالف ذلك . قال النبى صلى الله عليه وسلم : أموالكم عليكم حرام ولكل غادر لواء يوم القيامة .

لا ينعقد النكاح بشهادة الزور

قال الامام البخارى فى كتاب الحيل من صحيحه فى باب النكاح تحت حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تنكح البكر حتى تستأذن ولا الثيب حتى تستأمر ف قيل يا رسول الله كيف اذنها قال اذا سكنت وقال «بعض الناس» ان لم تستأذن البكر ولم تتزوج فاحتال رجل فأقام شاهدين زورا انه تزوجها برضاها وأثبت القاضى نكاحها والزوج يعلم ان الشهادة باطلة فلا بأس أن يطأها وهو تزويج صحيح أ . هـ .

ثم قال بعد ذلك تحت حديث ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا كيف اذنها قال ان تسكت وقال «بعض الناس» ان احتال انسان بشاهدى زور على تزويج امرأة ثيب بامرها فأثبت القاضى نكاحها اياه والزوج يعلم انه لم يتزوجها قط فانه يسعه هذا النكاح ولا بأس بالمقام له معها أ . هـ .

ثم قال بعد ذلك تحت حديث عائشة رضى الله عنها وقال « بعض الناس» ان هوى انسان جارية ثيبة أو بكرا فأبت فاحتال فجاء بشاهدى زور على أنه تزوجها فأدركت فرضيت اليثيمة فقبل القاضى بشهادة الزور والزوج يعلم ببطلان ذلك حل له الوطء أ . هـ .

وقال الجميع التعريض على ابى حنيفة رحمه الله بتجويزه النكاح بشهادة الزور وحل الوطء بها مع علم الزوج ببطلانها والاذن لم يثبت والرضا لم يوجد والنصوص ناطقة باشتراط الاستئذان فظهر بهذا وجاهة رأى البخارى .

جواز انفراد المترجمان الواحد للحاكم

قال البخارى « باب ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد » وذكر حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه ثم قال : وقال « بعض الناس » لا بد للحاكم من مترجمين واستدل البخارى على مذهبه من جواز ترجمان واحد بترجمة زيد بن ثابت رضى الله عنه وحده للنبي صلى الله عليه وسلم وابى حمزة لابن عباس واعترض على من لم يجوز الاكتفاء على واحد لمخالفته الحديث فقال بعضهم المراد به هو محمد بن الحسن وأبو يوسف وزفر ولم يرد بذلك أبا حنيفة لأن أبا حنيفة يجوز الاكتفاء على واحد وقال الحافظ فى الفتح ونقل الكرابسى عن مالك والشافعى رحمهما الله الاكتفاء بترجمان واحد وعن أبى حنيفة رحمه الله الاكتفاء بواحد وعن أبى يوسف رحمه الله اثنين ونزلهما منزلة الشهادة أ . ه .

وهذا يدل على أن الخلاف فى هذه المسألة مع محمد وأبى يوسف وزفر ولم يختلف مع أبى حنيفة فى هذه المسألة .

وقال الديلمى لا تنكر فضائل أبى حنيفة ، كيف وقد أقر الشافعى رحمه الله بنفسه أن الناس فى الفقه عيال لأبى حنيفة وأحاط صيت فضائله المشارق والمغرب ولكن كل ذلك لا يثبت منه العصمة وكما أن وجود فضائل الجمة لا يستلزم عصمته كذلك بعض زلاته لا يجوز اساءة الأدب فى حضرته فانه مجتهد والمجتهد يخطئ ويصيب وقد سلك البخارى مسلك الأدب معه حيث لم يصرح باسمه الشريف وقد قال أبو حنيفة اذا صح الحديث فهو مذهبى ولا شبهة أن الأحاديث لم تدون وتجمع التدوين الكامل والجمع الكامل فى عصره فاحتمل عدم وجدان الحديث وعدم ظهوره للإمام حتى خالفه وهذا عذره ولو وقف على هذه الأحاديث لاتبعها فرضى الله عن الامامين الجليلين .

اعادة البخارى الحديث فى مواضع كتابه

يكرر البخارى الحديث فى مواضعه اللاتقة به لأمر هامة تتعلق بالاسناد أو المتن أو هما معا .

من ذلك انه يخرج الحديث عن صحابى ثم يورده عن صحابى آخر ليخرج به عن حد التفرد والغرابة وكذلك يفعل فى أهل الطبقة التالية للصحابة فمن بعدهم الى مشايخه كما يتضح ذلك فى المتابعات .

ومن ذلك أحاديث يرويها بعض الرواة تامة ويرويها بعضهم مختصرة فيوردها كما جاءت تحريا للدقة وليزيل الشبهة عن ناقلها . وليصل المنقطع منها على أصله فيقوى بعضها بعضا ومثال ذلك فى صحيحه :

باب ليلبلغ العلم الشاهد الغائب قاله ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم وهذا تعليق .

ولكنه أسنده فى كتاب الحج فى باب الخطبة أيام منى عن على بن يحيى بن سعيد عن سعيد بن غزوان عن عكرمه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال : أيها الناس أى يوم هذا قالوا يوم حرام وفى آخره «اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت» . قال ابن عباس فوالذى نفسى بيده انها لوصية الى أمتى فليبلغ الشاهد الغائب وذكر الحديث (١) .

وأورد فى هذا الباب حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثنى الليث قال حدثنى سعيد عن أبى شريح انه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة ائذن لى أيها الأمير أحدثك قولاً قام به النبى صلى الله عليه وسلم .. الخ .. الحديث ذكره مطولا ثم ذكر فى كتاب الحج (٢) باب فضل الحرم باسناد مغاير ومتن مختصر قال حدثنا على بن عبد الله حدثنا جرير بن عبد الحميد عن منصور عن مجاهد

١ - كتاب العين ج ٢ ص ١٢٨ ط المنيرة شرح صحيح البخارى .

٢ - صحيح البخارى ج ٢ ص ١٢٣ .

عن طاووس عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده ولا تلتقط لقطته الا من عرفها ، وليس في هذا الحديث الجزء الذى بوب له فى الباب السابق .

ويشير البخارى بذلك الى أن ترك بعض السند أو المتن اختصارا لا يضر فيزيل الشبهة عن ناقله بذكر الروايتين .

ومنها أحاديث تعارض فيها الوصل والارسال ورجح عنده الوصل واعتمدت وأورد الارسال منها على أنه لا تأثير له لأنه عنده فى الموصول مثال ذلك ما رواه عن مالك عن يزيد بن رومان (١) .

عن صالح بن خوات عن عمن صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف وأخرجه من حديث شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن صالح بن خوات عن سهل بن ابى حشمة وأخرجه من حديث يحيى ابن سعيد عن القاسم عن صالح عن سهل موقوفا قال ابن حجر تعارض الرفع والارسال فى حديث سهل والرفع مشهور عنه .

ومنها أحاديث ذاد فيها بعض الرواة رجلا فى الاسناد ونقصه بعضهم فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوى سمعه من شيخ حدثه به عن آخر ثم لقي الآخر فحدثه به فكان يرويه على الوجهين مثال ذلك .

حدثنا يحيى بن سليمان قال حدثنا ابن وهب قال حدثنا يونس عن ابن شهاب عن حمزة بن عبد الله انه أخبره عن أبيه قال لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قيل فى الصلاة فقال مروا أبابكر فليصل بالناس قالت عائشة ان أبابكر رجل رقيق اذا قرأ غلبه البكاء قال مروه

فيصلى فعاودته قال مروه فيصلى انكن صواحب يوسف، تابعه الزبيدي وابن أخى الزهرى واسحاق بن يحيى الكلبي عن الزهرى وقال عقيل وسعير عن الزهرى عن حنزة عن النبی صلى الله عليه وسلم .

وقد يورد الحديث لتسمية راو أو التنبيه على زياده فى الرواية ويراعى تقديم الحديث الأولى .

وفى باب هل يجعل للنساء يوم على حدة فى العلم (١) .

قال : « حدثنا آدم قال حدثنا شعبه قال حدثنى ابن الاصبهانى قال سمعت أبا صالح ذكوان يحدث عن أبى سعيد الخدرى قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاب من النار فقالت امرأة واثنين قال واثنين » .

ثم قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا غندر عن شعبه عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن ذكوان عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا (٢) وعن عبد الرحمن بن الاصبهانى قال سمعت أبا حازم عن أبى هريرة قال ثلاثة لم يبلغوا الحنث .

وقصد من هذه الاعادة فائدتين أحدهما تسمية ابن الاصبهانى لأنه كان مبهماً فى الحديث الأول وهذه الرواية فسرتها وانما لم يصرح باسمه هناك محافظة على لفظ الشيخ وهو من غاية احتياظه حيث وضعه كما سمعه عن شيخه .

والفائدة الثانية التنبيه على زيادة فى طريق أبى هريرة وهى قوله « لم يبلغوا الحنث » .

وقدم الحديث الأول على الثانى لأنه أعلى درجة من الثانى اذ فيه

١ - العيني ج ٢ ص ١٣٥ .

٢ - العيني ج ٢ ص ١٣٥ ط المنيرة .

بين شعبة والبخارى رجل واحد وهو آدم بخلاف الثانى فان بينهما رجلين وهما محمد بن بشار وغندر .

وحديث ابى هريرة هذا موصول وليس بتعليق من البخارى كما فهم الكرمانى وقد بين ذلك العينى قال :

وذلك لأن شعبة يرويه عن عبد الرحمن باسنادين :

الاسناد الأول حدثنى محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن الاصبهاني عن ذكوان عن ابى سعيد عن النبى عليه السلام . « ما منكن امرأة .. الخ الحديث » أشار الى هذا بقوله بهذا الحديث المذكور .. وتقدير الاسناد الثانى حدثنى محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن الاصبهاني قال سمعت ابا حازم عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الحديث بزيادة ثلاثة لم يبلغوا الحلم .

والبخارى لا يعتمد أن يخرج فى كتابه حديثا معادا لجميع الاسناد ومثنته وان كان قد وقع له من ذلك شئ فهو قليل جدا عن غير قصد كما نبه عليه ابن حجر .

وقال النووى رحمه الله (١) لم يقصد البخارى فى كتابه اخراج المسانيد فقط بل أراد التنبيه على المسائل أيضا فلزمه أن يخرجها مكررا فى الأبواب وقلما يورد حديثا فى موضوعين باسناد واحد فمن أراد أن يأخذ حديثا بريئا عن العلل فليأخذه عن البخارى .

وفى مقدمة شرح القسطلانى قال القسطلانى وقد وجدت ورقة بخط الحافظ ابن حجر تعليقا احضرها الى المحدث البدر المشهدى نصها نبذة من الأحاديث التى ذكرها البخارى فى موضوعين سندنا ومتنا حديث عبد الله بن مغفل رمى انسان بحراب فيه شحم فى آخر الخمس وفى الصيد والذبائح .

حديث في نحر البدن في الحج عن سهل بن بكار عن وهب ذكره في موضوعين متقاربين . وأورد بقية الأحاديث وهي ثلاثة وعشرون بزيادة حديث من ذكر القسطلاني وجده زيادة على ما ذكره ابن حجر .

وأما اقتصار البخاري على بعض المتن في بعض الأحيان مع عدم ذكر الباقي في موضوع آخر لا يقع له ذلك في الغالب الا حيث يكون المحذوف موقوفا على الصحابي وفيه شيء قد يحكم برفعه فيقتصر على الجسلة التي يحكم لها بالرفع ويحذف الباقي لأنه لا تعلق له بموضوع كتابه كما وقع له في حديث هزيل بن شرحبيل عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : ان أهل الاسلام لا يسييون وان أهل الجاهلية كانوا يسييون ، هكذا أورده وهو مختصر ، جاء مطولا في حديث موقوف أوله جاء رجل الى عبد الله بن مسعود فقال انى أعنتت عبدا لى سائبة فمات وترك مالا ولم يدع وارثا . فقال عبد الله ان أهل الاسلام لا يسييون وان أهل الجاهلية كانوا يسييون فأنت ولي نعمته فلك ميراثه فان تأثمت وتخرجت فى شيء فحن نقبله منك ونجعله فى بيت المال فاقصر البخارى على ما يعطى حكم الرفع من هذا الحديث الموقوف وهو قوله : ان أهل الاسلام لا يسييون لانه يستدعى بعمومه النقل عن صاحب الشرع لذلك .

واختصر الباقي لأنه ليس من موضوع كتابه .

وهذا كما قال ابن حجر من أخفى المواضع التي وقعت له في هذا الجنس وبذلك يعلم أن البخاري لا يعيد 'لا هادفا للفائدة حتى لو لم تظهر لاعادته فائدة من جهة الاسناد ولا من جهة المتن لكانت الفائدة لاعادته من أجل مغايرة الحكم الذى تشتمل عليه الترجمة الثانية موجبا أنه لا يعد مكررا بل فائدة مع أنه على أى حال هو لا يخلو من الفائدة الاسنادية وهي تعدد الطرق فضلا عن ابراز الأحكام المتعددة .

الدافع للبخارى على التزامه هذا المسلك فى التراجم

ان البخارى رحمه الله قد أورد فى كتابه من الأحاديث الجامعة لجل مقاصد العلم ومن ذلك العقيدة المتمثلة فى الوحي وكتاب الايمان فى أول كتابه وكتاب التوحيد فى آخره والتفسير الرائع بالمأثور من صحاح الأحاديث وفتاوى الصحابة والتابعين المتمثل فى كثير من أبوابه وخاصة فى كتاب التفسير فى صحيحه .

ومن السيرة العطرة الممثلة فى كتاب المغازى ومن الأدب النبوى الرائع الممثل فى كتاب الأدب ومن تعرضه لطرق التلقى فى كتاب العلم وفضله واصلاحات المحدثين الممثلة فى كتاب العلم وفيه جاء بصيغ الأداء مثل باب قول المحدث حدثنا وأخبرنا وأنبأنا وباب ما يذكر فى المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم وباب كتابة العلم ، وقيمتها على أدلة ثابتة من السنة وتعرض لمسائل أصولية يقيمتها على أساس متين يسر من السنة ككتاب ما جاء فى اجازة خبر الواحد ، والى علاقة الكتاب بالسنة والدعوة الى التزامها وأن على مؤائدهما كل خير كما يتمثل ذلك فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ومن مقاصد الفقه وفروعه وغير ذلك من الأبواب المنبثة فى صحيحه متفرقة متعددة عدد فروع العلم الاسلامى .

واستطاع بمهارته أن ينظمها فى دقة وافية ويبرهن على أن المحدث المتمكن من سنة رسول الله يجد فيها كل درر العلم ويمكن أن يكون من أقصر الطرق وأوفاهها - مفسرا لكتاب الله ومؤرخا اسلاميا لسيرة رسول الله ومتكلما عن هدى وبصيرة فى العقيدة وفقها قانونيا فى أحكام الدين وأخلاقيا مؤدبا بأداب النبوة وأخلاقها .

وغير ذلك من فروع العلم التى تشهد أن من الجهل الصريح أن يفهم المحدث المتمكن أنه بمعزل عن فروع العلم خاصة عن التفسير الذى هو أساس بيانه ، وكيف تقتصر همته فى شئ وهو المتبع هدى الرسول الداعى الى الله باذنه والسراج المنير . ومن أجل هذا العموم الجامع فى

صحيح البخارى كان من شروحه ما وصل الى أكثر من أربع وعشرين مجلدا كالكرمانى ومع ذلك سمي البخارى صحيحه مختصرا .

والواقع انه اختصار العارف الموجز فى دقة من غير اخلال وان اختصاره انما هو بالنسبة الى كثرة مقاصده وكيف أورده فى هذا الحجم مع أنه موسوعة علمية جامعة مستوفاة .

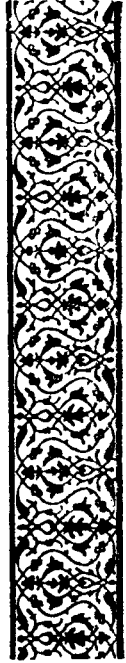
ان الذى ساعده على ذلك مقدرته وتفننه بمسلكه فى تراجمه فى اعادة الحديث واختصاره وتقطيعه والا لما كفى هذا العدد من الأحاديث التى فيه على كثرتها لأن يوفى هذه الثروة الفريدة العامة الشاملة.

ولو لم ينهج هذا النهج لاحتاج الى مجلدات لا نهاية لها حتى يوفى هذه الكتب والأبواب .

وقد ألزم نفسه باخراج الحديث الصحيح لذاته فى مسنده بل ألزم نفسه ألا يخرج كل صحيح عنده أو عند القوم فى صحيحه فالتزم بخالص الصحيح لذاته وصفوته مشددا على نفسه بالشروط وهذا ما جعله أمام المحدثين والمجتهد الفقيه ..

يقول صاحب الفيض (١) ثم ان المصنف رحمه الله العلام لما شدد فى شروط الأحاديث حتى أغمض عما حسبه حسنا بل صحيحا أيضا قلت ذخيرة الحديث فى كتابه ثم لما أراد أن يتمسك منها على جملة أبواب الفقه اضطر الى التكرار والتوسع فى وجوه الاستدلال وذلك من كمال بداعته ومن لا دراية له بغوامضه ولا ذوق له فى علومه فيتعجب من صحيحه ولا يدري أن التوسع فيه من أجل تضيقه على نفسه فى مادة الأحاديث فيستدل بالايماء ويكتفى بالايماضات .

أعيا فحول العلم حل رموز ما أبداه فى الأبواب من أسرار



الباب الخامس

نقد المتقدمين لحديث البخاري

نقد المتقدمين لبعض أحاديث صحيح البخارى

ومنذ أن ألف الجامع الصحيح للبخارى اتجهت الهمم اليه وأصبح قبلة المحدثين وأئمتهم وقد شهد له في عصره بالصحة .

وحسبك شهادة الأئمة: على بن المدينى واحمد بن حنبل ويحيى بن معين وتقدير أئمة العلماء له كما تقدم ، وأصبح كتابه قبائهم ووردهم المورد، ومن الأئمة من دعتهم همتهم العالية وعنايتهم به بعد وفاة البخارى الى تطبيق أحاديثه على ما التزمه البخارى فى صحيحه وما بدا لهم فى أحاديثه انه لم يوافق شرطه تناولوه بالنقد .

وكان من أعلام هذا الميدان الامام الحافظ ابو الحسين على بن عمر بن احمد الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

ووجه نقده الى أحاديث انفرد بها البخارى وبعضها انفق فيها معه الامام مسلم بن الحجاج .

وكذلك كان من النقاد أبو مسعود الدمشقى وأبو على الغسانى قال الامام النووى محبى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الخزامى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ فى مقدمة (١) شرحه للامام مسلم .

قد استدرك على البخارى ومسلم أحاديث أخلاً بشرطهما فيها ونزلت عن درجة ما التزمها ، فقد ألف الامام الحافظ أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى فى بيان ذلك كتابه المسمى بالاستدراكات والتتبع وذلك فى مائتى حديث مما فى الكتابين .

١ - شرح النووى ج ١ صفحة ٢٧ .

ولأبى مسعود الدمشقي أيضا عليهما استدراك ولأبى على الغساني الجياني في كتابه تقييد المهمل في جزء العلل منه استدراك أكثره على الرواة عندهما قال النووي وقد أجيب عن كل ذلك أو أكثره. وفي مقدمة شرحه للبخاري (١) قال قد استدرك الدارقطني على البخاري أحاديث وُظعن في بعضها وذلك الطعن الذي ذكره فاسد مبني على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جدا مخالفة لما عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول وقواعد الأدلة فلا تغتر بذلك . ١ . هـ

وهذه شهادة الامام النووي رجل السنة وأصولها شارح صحيح مسلم والبخاري وصاحب كتاب التقييد في أصول قواعد الحديث ، وقد وضع ابن حجر قاعدة أصلية عامة في الرد على النقاد اعتبرها الجواب الاجمالي المفتح في الرد على كل ما انتقد على البخاري ومسلم . ومن الأئمة المذكورين الدارقطني وأبو مسعود الغساني وغيرهم .

وفي جواب ابن حجر الاجمالي يتوفر الرد على نقد كل معترض مع ملاحظة أن عدم التوفيق في الاجابة فرضا . في بعض نقاط الاعتراض لا يكون مسوغا للتسليم بالنقد لأنه من الممكن أن يخطئ المعترض ولا يوفق المجيب .

ولو كان الاعتراض في حال حياة البخاري ووجه اليه لكان ملزما عند عدم الاجابة عليه وأنت ترى أنه لو لم يوفق الله ابن حجر وأمثاله في قوتهم العلمية لما كان من المعلوم الاجابة على نقد النقاد رغم عدم وجاهتها وعدم ثبوتها في الواقع .

على ان ابن حجر قد وفى ووفق في الاجابة وأنصف في تقديم الدليل الاجمالي ردا على كل نقد موجه للشيخين ثم أعقب ذلك تأكيدا وتبيانا بالأدلة التفصيلية ، ثم تتبع الأحاديث حديثا حديثا بالرد عليه وهي مائة وعشرة .

على انه من الطريف الذي لا يدع مجالا لمعارض أنه قد أثبت ابن حجر أن جميع ما اعترض على البخارى به قد جاء وورد من طرق أخرى صحيحة غير معترض عليها وبذلك قد بين أن قيمة هذا النقد لا تمس صحة المتن حيث أنه قد ورد بأسانيد أخرى صحيحة .

وقال الحافظ ابن حجر في الكلام فيما أعل من الأحاديث المسندات .

وعدة ما اجتمع لنا من ذلك مما في كتاب البخارى وأن شاركة مسلم في بعضها مائة وعشرة أحاديث منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثا .

ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثا .

الجواب الاجمالى

والجواب عنه على سبيل الاجمال أن نقول لا ريب في تقديم البخارى ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح والمعل فانهم لا يختلفون في أن على بن المدينى كان أعلم أقرانه بعلل الحديث . وعند أخذ البخارى ذلك حتى كان يقول ما استصغرت نفسى عند أحد الا عند على بن المدينى . ومع ذلك فكان على بن المدينى اذا بلغه ذلك عن البخارى يقول دعوا قوله فانه ما رأى مثل نفسه . وكان محمد بن يحيى الذهلى أعلم أهل عصره بعلل حديث الزهرى وقد استفاد منه ذلك الشيخان جميعا .

وروى القربرى عن البخارى قال ما أدخلت في الصحيح حديثا الا بعد أن استخرت الله تعالى وتيقنت صحته .

وقال مكى بن عبد الله سمعت مسلم بن الحجاج يقول عرضت كتابى هذا على أبى زرعة الرازى فكل ما أشار أن له علة تركته .

فاذا عرف وتقرر أنها لا يخرجان من الحديث الا مالا علة له أو له علة الا أنها غير مؤثرة عندهما .

فبقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا

لتصحيحهما . ولا ريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة .

الإجابة التفصيلية وأمثلةها

وأما من حيث الإجابة التفصيلية فيحتاج الأمر الى تقسيم الأحاديث المتقدمة أقساما حسب مقاييس المتقدين فقسما الى ستة أقسام ثم تتبع الأحاديث حديثا حديثا بالرد عليه وسأكتفى بالتقسيم التفصيلي مع استخلاص التمثيل لكل قسم من الأحاديث المتقدمة .

القسم الأول :

أ - (١) ما يختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الاسناد ، فإن خرج صاحب الصحيح الطريق المريدة وعلمه الناقد بالطريق الناقصة فهو تعليل مردود كما صرح به الدارقطني .

مثاله (٢) :

قال الدارقطني : واخرجا جميعا حديث ابن جريج عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه وعمه عبيد الله بن كعب عن كعب بن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قدم من سفر ضحى بدأ بالمسجد ، الحديث وقد خالفه معمر فقال عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه وقال عقيل عن الزهري عن ابن كعب عن أبيه وهو يشبه رواية معمر . قال : الدارقطني ورواية ابن جريج أصح ولا يضره من خالفه قال ابن حجر قول معمر وغيره عن عبد الرحمن بن كعب يحمل على انه نسبة الى جده فتكون روايتهم منقطعة ، وهذا الجواب صحيح من الدارقطني في أن الاختلاف في مثل هذا لا يضر كما قرر .

لأن الراوى (٣) ان كان سمعه فالزيادة لا تضر لأنه قد يكون سمعه

-
- ١ - المقدمة صفحة ٨١ من كتاب الجهاد .
 - ٢ - المقدمة صفحة ٩٥ من كتاب الجهاد .
 - ٣ - المقدمة صفحة ٨١ من كتاب الجهاد .

بواسطة عن شيخه في الطريق الزائدة ثم لقيه فسمعه منه مباشرة. وإن كان لم يسمعه في الطريق الناقصة فهو منقطع والمنقطع من قسم الضعيف لا يعمل الصحيح مثاله :

قال الدارقطني وأخرج جميعا حديث يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله بن عمر عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة المسىء صلاته وقول النبي صلى الله عليه وسلم أنه أرجع فصل فانك لم تصل ، وقد خالف يحيى القطان أصحاب عبيد الله كلهم منهم أبو أسامة وعبد الله بن نمير وعيسى بن يونس وغيرهم فرووه عن عبيد الله عن سعيد عن أبي هريرة لم يذكروا أباه . ويحيى حافظ ويشبه أن يكون عبيد الله حدث به على الوجهين والله أعلم . قال ابن حجر ورجح الترمذي رواية يحيى القطان .

وإن أخرج صاحب الصحيح الطريق الناقصة وعلله الناقد بالطريق المزيدة تضمن اعتراضه دعوى انقطاع فيما صححه المصنف .

فينظر — إن كان ذلك الراوى صحابيا — أو ثقة غير مدلس قد أدرك من روى عنه إدراكا بينا أو صرح بالسماع إن كان مدلسا من طريق أخرى فإن وجد ذلك اندفع الاعتراض بذلك، وإن لم يوجد وكان الانقطاع فيه ظاهرا فمحصل الجواب عن صاحب الصحيح أنه إنما أخرج مثل ذلك في باب ماله متابع وعاضد أو ما حفته قرينة في الجملة تقويه ويكون التصحيح وقع من حيث المجموع .

مثال ذلك (١) :

قال الدارقطني : أخرج البخاري حديث أبي مروان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أم سلمة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها إذا صليت الصبح فطوفى على بعيرك والناس يصلون الحديث ، هذا منقطع وقد وصله حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن زينب عن أم سلمة ،

١ — المقدمة صفحة ٩١ من كتاب الجهاد .

ووصله مالك عن أبي الأسود عن عروة كذلك في الموطأ قال ابن حجر حديث مالك عند البخاري في هذا المكان مقرون بحديث أبي مروان . وقد وقع في بعض النسخ وهي رواية الاصيلي في هذا عن هشام عن أبيه عن زينب عن أم سلمة موصولا وعلى هذا اعتمد المزي في الأطراف ولكن معظم الروايات على اسقاط زينب قال ابو على الجياني وهو الصحيح ، ثم ساقه من طريق أبي على بن السكن عن على بن عبد الله بن مبشر عن محمد بن حرب شيخ البخاري فيه على الموافقة وليس فيه زينب وكذا أخرجه الاسماعيلى من حديث عبده بن سليمان . ومحاضر وحسان ابن ابراهيم كلهم عن هشام ليس فيه زينب وهو المحفوظ من حديث هشام وانما اعتمد البخاري فيه رواية مالك التي أثبت فيها ذكر زينب ثم ساق معها رواية هشام التي سقطت منها ، حاكيا للخلاف فيه على عروة كعادته مع أن سماع عروة من أم سلمة ليس بمستبعد .

(ب) وربما علل بعض النقاد أحاديث ادعى فيها الانقطاع لكونها غير مسموعة . كما في الأحاديث المروية بالمكاتبة والاجازة وهذا لا يلزم منه الانقطاع عند من يسوغ الرواية بالاجازة بل تخريج صاحب الصحيح لمثل ذلك دليل على صحة الرواية بالاجازة عنده .

مثاله (١) :

قال الدارقطني : وأخرجنا جميعا حديث موسى بن عقبة عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله قال كتب اليه عبد الله بن أبي أوفى ، فقرأته أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموه فاصبروا « الحديث » قال وأبو النضر لم يسمع من ابن أبي أوفى وانما رواه عن كتابه فهو حجة في رواية المكاتبة .

قال ابن حجر فلا علة فيه لكنه ينبىء على أن شرط المكاتبة هل هو من الكاتب الى المكتوب فقط أم كل من عرف الخط روى به وان لم يكن مقصودا بالكتابة اليه .

الأول هو المتبادر الى الفهم من المصطلح .. واما الثانى فهو عندهم من صور الوجدادة، لكن يمكن ان يقال هنا ان رواية ابى النضر هنا تكون من مولاه عمر بن عبيد الله عن كتاب ابن أبى أوفى اليه. ويكون أخذه كذلك عن مولاه عرضا لأنه قرأه عليه لأنه كان كاتبه فتصير والحالة هذه من الرواية بالمكاتبة كما قال الدارقطنى والله أعلم .

القسم الثانى :

ما تختلف الرواية فيه بتغيير رجال بعض الاسناد . فالجواب عنه ان أمكن الجمع بأن يكون الحديث عند ذلك الراوى على الوجهين جميعا فاخرجهما المنصف ولم يقتصر على احدهما حيث يكون المختلفون فى ذلك متعادلين فى الحفظ والعدد مثاله (١) .

قال الدارقطنى أخرج البخارى من حديث اسرائيل عن الأعمش ومنصور جميعا عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار فنزلت والمرسلات الحديث ولم يتابع اسرائيل عن الأعمش عن علقمة أما منصور فتابعه شيان عنه وكذا رواه مغيرة عن ابراهيم .

قال ابن حجر وقد حكى البخارى الخلاف فيه وهو تعليل لا يضر . (أ.هـ.)

ويجمل أن أين ما حكاه البخارى قال حدثنى محمود حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبيد الله رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزلت عليه والمرسلات وانا لتتلقاها من فيه فخرجت حية فابتدرناها فسبقتنا فدخلت جحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها حدثنا عبده بن عبد الله أخبرنا يحيى بن آدم عن اسرائيل عن منصور بهذا وعن اسرائيل عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله مثله وتابعه أسود بن عامر عن اسرائيل وقال حفص أبو معاوية وسليمان بن قرم عن الأعمش عن ابراهيم عن الأسود قال يحيى بن حماد أخبرنا

أبو عوانه عن مغيرة عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله وقال ابن اسحاق
عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عبد الله حدثنا قتيبة حدثنا جرير
عن الأعمش عن ابراهيم عن الأسود قال : قال عبد الله: بيننا نحن مع
النبي الحديث .

وان امتنع بأن يكون المختلفون غير متعادلين بل متقاربين
في الحفظ والعدد فيخرج المصنف الطريق الراجحة ويعرض عن الطريق
المرجوحة أو يشير اليها فالتعليل بجميع ذلك من أجل مجرد الاختلاف
غير قاذح اذ لا يلزمه من مجرد الاختلاف اضطراب يوجب الضعف فينبغي
الاعلام أيضا فيما هذا سبيله .

مثاله (١) قال الدارقطني أخرج مسلم حديث الأشج
عن أبي خالد عن الأعمش عن الحكم ومسلم البطين وسلمه
ابن كهيل عن سعيد وعطاء ومجاهد عن ابن عباس أن امرأة زعت
أن أختها ماتت وعليها صوم الحديث قال . وقال البخاري ويذكر عن
ابي خالد ذكره قال الدارقطني وخالفه جماعة منهم شعبة وزائدة وابن
نسير وابو معاوية وجرير وغير واحد عن الأعمش عن مسلم عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس وبين زائدة في روايته من أين دخل الوهم على أبي
خالد فقال في آخر الحديث فقال الحكم ومسلمه بن كهيل وكانا عند
مسلم حين حدث بهذا الحديث ونحن سمعناه من مجاهد عن ابن عباس
قال ابن حجر قلت قد أوضحت هذه الطريق في كتابي تعليق التعليق
وتبينت أنه لا يلحق الشيخين في ذكرها لطريق أبي خالد لوم لأن البخاري
علقه بصيغة يشير الى وهمه فيه واما مسلم فأخرجه مقتصرًا على اسناده
دون سياق متنه .

القسم الثالث (٢) :

ما تفرد بعض الرواة فيه دون من هو أكثر عددا أو أضبط ممن لم
يذكرها فهذا لا يؤثر التعليل به الا ان كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر

١ - المقدمة ص ٩١ .

٢ - مقدمة فتح الباري ج ٢ ص ٨٢ .

الجمع اما ان كانت الزيادة لا منافاة فيها بحيث تكون دلحديث
المستقل فلا .

اللهم الا ان وضع بالدلائل القوية ان تلك الزيادة مدرجة في المتن
من كلام بعض رواته فسا كان من هذا القسم فهو مؤثر مثاله (١) قال
الدارقطني واخرجا جميعا حديث قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن
نهيك عن أبي هريرة من أعتق شقيصا (٢) وذكر فيه الاستسعاء من
حديث بن ابي عروبة وجريير بن حازم وقد روى هذا الحديث شعبة
وهشام وهما أثبت الناس في قتادة فلم يذكر في الحديث الاستسعاء
ووافقهما هشام وفصل الاستسعاء من الحديث فجعله من رأى قتادة
لا من رواية أبي هريرة قال المقبري عن هشام وقال أبو مسعود حديث
هشام عندي حسن وعندي انه لم يقع للشيخين ولو وقع لهما لعكم بقبولانه
وتابعه معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة وكذا رواه أبو عامر عن هشام
قال الدارقطني وهذا أولى بالصواب من حديث أبي عروبة وجريير بن
حازم قال ابن حجر وقد اختلفت فيه على هشام وعلى هشام ولم يفصح
بالاجابة ابن حجر وجاء بها العيني وحكى العيني (٣) احتجاج أبي حنيفة
بما رواه البخاري من الاستسعاء قال احتج ابو حنيفة بما رواه البخاري
من أعتق شقصا له في مملوك فخلاصه عليه في ماله ان كان له مال والا
قوم عليه واستسعى به غير مشقوق أى لا يشدد عليه ورواه مسلم
أيضا وقال ابن حزم على ثبوت الاستسعاء ثلاثون صحابيا .

وقد رواه البخاري عن مسدد عن يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة
وتابعه حجاج بن حجاج وابان وموسى بن خلف عن قتادة أى تابع سعيد
ابن أبي عروبة في روايته عن قتادة حجاج .

قال العيني : أراد البخاري بذكر متابعة هؤلاء الرد على من زعم
ان الاستسعاء في هذا الحديث غير محفوظ بل مدرج وان سعيد بن ابي

١ - الحديث رقم ٢٤ ص ٩٢ من الشرب من كتاب البيوع من مقدمة الفتح .

٢ - شقيصا - نصيبا .

٣ - شرح البخاري للعيني ج ٥ ص ١٧٥ .

عروبة تفرد به فاستظهر له بتابعته هؤلاء المذكورين وكذلك رواه حجاج بن ارطاة عن قتادة كما أخرجها الطحاوى وأخرج رواية ابان أبو داود ورواه النسائي برواية الطحاوى وبرواية موسى بن خلف أخرجه الخطيب في كتاب الفصل والوصل وكل ذلك بذكر الاستسعاء فلا وجه للاعتراض .

القسم الرابع :

ما تفرد به بعض الرواة ممن ضعف من الرواة وليس في الجامع الصحيح للبخارى من هذا القبيل غير حديثين وتبين أن كلا منهما قد توبع وهما .

الأول ، قال الدارقطني (١) وأخرج البخارى حديث أبى بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم فرس يقال له اللحيث قال وأبى هذا ضعيف وترجم له ابن حجر في الرجال (٢) قال أبى بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي الانصارى المدنى ضعفه احمد وابن نعيم وقال النسائي ليس بالقوى قال ابن حجر له عند البخارى حديث واحد في ذكر خيل النبي صلى الله عليه وسلم وهو الحديث المذكور الذى معنا وقد تابعه عليه أخوه عبد المهيمن بن العباس وروى له الترمذى وابن ماجه فاندفع الاعتراض عليه .

الحديث الثانى :

قال الدارقطني (٣) ووجدته ابن حجر بخطه أخرج البخارى حديث اسماعيل بن أبى اويس عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه ان عمر رضى الله عنه استعمل مولى يدعى هنيا . على الخمس الحديث بطوله قال واسماعيل ضعيف قال ابن حجر (٤) وروينا في مناقب البخارى بسند صحيح ان اسماعيل أخرج للبخارى أصوله وأذن له أن ينتقى منها وأن يعلم ما يحدث به ليحدث به ويعرض عما سواه وهو مشعر

١ - شرح البخارى للمبني ج ٥ ص ١٧٥ .

٢ - العيني ج ٥ ص ٢١٠ .

٣ - المقدمة ص ٩٤ كتاب الجهاد .

٤ - ص ١١٥ من المقدمة .

بأن ما خرجه البخارى عنه هو من صحيح حديثه لأنه كتب من أصوله وعلى هذا لا يحتاج بشيء من حديثه غير ما فى الصحيح من أجل ما قدح فيه النسائى وغيره الا أن يشاركه فيه غيره فيعتبر به ، على انه لم ينفرد بهذا الحديث كما ظن الدارقطنى بل تابعه عليه معن بن عيسى فرواه عن مالك كرواية اسماعيل سواء فاندفع به الاعتراض .

وبهذا ثبت أن كل ما انتقد على البخارى فضلا عن رده انه ما من حديث الا وقد ورد من طريق آخر فثبتت صحة المتن كلها .

القسم الخامس :

ما اختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن فهذا أكثره لا يترتب عليه قدح لأمكان الجمع فيما اختلف من ذلك أو الترجيح . مثاله (١) حدثنا ابو نعيم حدثنا زكريا قال سمعت عامرا يقول: حدثنى جابر انه كان يسير على جبل له قد أعيا فمر النبى صلى الله عليه وسلم فضربه فدعا له فسار سيرا ليس يسير مثله ثم قال بعنيه بأوقية قلت لاثم قال بعنيه بأوقية فاستثنت حملانه الى أهلى فلما قدمنا أتيت به بالجمل ونقدنى ثمنه ثم انصرفت فأرسل على أثرى . وقال عبيد الله وابن اسحاق عن وهب عن جابر اشتراه النبى صلى الله عليه وسلم بأوقية وتابعه زيد بن أسلم عن جابر وقال ابن جريج عن عطاء وغيره عن جابر أخذته بأربعة دنانير وهذا يكون بأوقية على حساب الدينار بعشرة دراهم ، ولم يبين الثمن مغیره عن الشعبى عن جابر وابن المنكدر وابو الزبير عن جابر وقال الأعشى عن سالم عن جابر أوقية ذهب وقال اسحاق عن سالم عن جابر بمائتى درهم وقال داود بن قيس عن عبد الله بن مقسم عن جابر اشتراه بطريق تبوك احسبه قال بأربع اواق عن جابر اشتراه بعشرين دينارا وقال الشعبى بأوقية أكثر، والاشترط أكثر وأصح عندى قال «أبو عبد الله» وهذا تعبير البخارى يريد نفسه أو حكاية عنه من الراوى وقال ابن

١ - شرح فتح البارى ج ٥ ص ١٩٨ باب اذا اشترط البائع ظهر الدابة الى مكان مسمى جاز .

حجر في شرحه (١) قوله قال أبو عبد الله هو المصنف الاشتراط أكثر وأصح عندي أى أكثر طرقا وأصح مخرجا وأشار بذلك الى أن الرواة اختلفوا عن جابر في هذه الواقعة هل وقع الشرط في العقد عند البيع أو كان ركوبه للجبل بعد بيعه اباحة من النبي صلى الله عليه وسلم بعد شرائه عن طريق العارية .

والحاصل أن الذين ذكروه بصيغة الاشتراط أكثر عددا من الذين خالفوه وهذا وجه من وجوه الترجيح فيكون أصح ويترجح أيضا بأن الذين رووه بصيغة الاشتراط معهم زيادة وهم حفاظ فتكون حجة وليست رواية من لم يذكر الاشتراط منافية لرواية من ذكر لأن قوله لك ظهره وأققرناك ظهره وتبلغ عليه لا يسنعه وقوع الاشتراء قبل ذلك وقد رواه عن جابر بمعنى الاشتراط أيضا أبو المتوكل عند أحمد ولفظه بمعنى ولك ظهره الى المدينة ولكن أخرجه المصنف في الجهاد من طريق أخرى عن أبي المتوكل فلم يتعرض للشرط اثباتا ولا نفيا ورواه أحمد من هذا الوجه بلفظ أتبيعني جساك قلت نعم قال أقدم عليه المدينة .

قوله وقول الشعبي باوقية أكثر أى موافقة لغيره من الأقوال وقد جسع عياض وغيره بين هذه الروايات فقال سبب الاختلاف انهم رووا بالمعنى والمراد أوقية الذهب والاربع اواق والخمس بقدر ثلث الاوقية الذهب والاربعة دنانير مع العشرين دينار محمولة على اختلاف الوزن والعدد وكذلك رواية الاربعين درهما مع المائتى درهم قال وكان الاخبار بالفضة عن ما وقع عليه العقد وبالذهب عما حصل به الوفاء أو بالعكس أ . هـ .

قال القرطبي اختلفوا في ثمن الجبل اختلافا لا يقبله التلفيق وتكلف ذلك بعيد عن التحقيق وهو مبنى على أمر لم يصح نقله ولا استقام ضبطه مع انه لا يتعلق بتحقيق ذلك حكم وانما تحصل من مجموع الروايات انه باعه البعير بثمن معلوم بينهما وزاده عند الوفاء زيادة معلومة ولا يضر عدم العلم بتحقيق ذلك .

قال الاسماعيلي ليس اختلافهم في قدر الثمن بضار ، لأن الغرض الذي سبق الحديث لأجله بيان كرمه صلى الله عليه وسلم وتواضعه وحنوه على أصحابه وبركة دعائه وغير ذلك ولا يلزم من وهم بعضهم في قدر الثمن توهينه لأصل الحديث قال الحافظ ابن حجر وما جح اليه البخارى من الترجيح أقعد وبالرجوع الى التحقيق أسعد فليعتمد ذلك وبالله التوفيق .

فالبخارى هنا قد عرض الروايات وبين قيمتها وصرح برأيه فأى ضير فى ذلك ؟ .

وفى هذا ومثله فقط وقع النقد فى المتن عند المتقدمين ولهذا القدر فقط كان القول بعدم لزوم حجة الاسناد لصحة المتن ومقياسهم فى ذلك مخالفة اللفظ لما رواه الثقات فأخذ من هنا نقاد العصر الحديث نقد المتن فى أصل الحديث مع صحة السند وقاسوه على مقياسهم الزائفة ورموا المتقدمين بعدم نقد المتن .

وهكذا نجد أنه لم يثبت الضعيف الفرد فى صحيح البخارى وأن وجد فيه المضعف الذى انتقد عليه وقد رد هذا النقد وظهر صحة الحديث فى طريقه المنتقد وتعظيمه بطريق آخر صحيح لا نقد فيه وأن ما وجه اليه من ناحية النقد فى المتن من حيث الادراج من الرواة وعدمه قد بينه البخارى وذكر رأيه فيه فلا اعتراض عليه فثبت بذلك صحة متونه .

وقد انتهى ابن حجر بعد الدراسة والتحليل منبها فى الفصل الثامن فى المقدمة على ما بدأ به من أن ما انتقد عليه وان لم يقدح فى أصل موضوع الكتاب فان جميعها ورد من جهة أخرى صحيحة لا نقد عليها وما يؤيد صحة متن البخارى وأن عدم تقدمته انما هو لعدم وجود ما ينتقد فيه من المتن قول الكشميرى (١) :

ثم ان الدارقطنى تتبع على البخارى فى ازيد من مائة موضوع لم يستطع أن يتكلم الا فى الأسانيد بالوصل والارسال غير موضع واحد وهو اذا جاء أحدكم والامام يخطب فليصل ركعتين وليتجاوز فيهما فإنه تكلم فيه مما يتعلق بحال المتن .

ووجهه ان الدارقطنى يشى على القواعد المسهدة عندهم فينازعه من القواعد . وشأن البخارى أرفع من ذلك فانه يشى على اجتهاده وينظر الى خصوص المقام وشهادة الوجدان وانما القواعد لغير الممارس على حد التحديد للعوام فيما لم يرد به التحديد من الشارع ، أ . هـ . ولما كان هذا الحديث الوحيد الذى تصدر له الدارقطنى بالنقد من حيث المتن فأبين موضع نقده وانه لا يتصل بأصل الحديث كما جاء به ورد نقده ابن حجر .

قال الدارقطنى (٢) وأخرجنا جميعا البخارى ومسلم حديث شعبة عن عمرو عن جابر اذا جاء أحدكم والامام يخطب فليصل ركعتين وقد رواه ابن جريج وابن عينية وحماة بن زيد وأيوب وورقاء وحبيب بن يحيى كلهم عن عمرو بأن رجلا دخل المسجد فقال له : صليت الحديث .

وقد رد ابن حجر قال : هذا يوهم أن هؤلاء أرسلوه وليس كذلك فقد أخرجه الشيخان من رواية حماد بن زيد وسفيان بن عيينة، ومسلم من حديث أيوب وابن جريج كلهم عن عمرو بن دينار موصولا وانما أراد الدارقطنى أن شعبة خالف هؤلاء الجماعة فى سياق المتن واختصره وهم انما أوردوه على حكاية قصة الداخل وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بصلاة ركعتين والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وهى قصة محتملة للخصوص .

وسياق شعبه يقتضى العموم فى حق كل داخل فهمى مع اختصارها ازيد من رواياتهم وليست بشاذة فقد تابعه على ذلك روح بن القاسم

عن عمرو بن دينار أخرجه الداقطنى فى السنن فهذا يدل على أن عمرو ابن دينار حدث به على الوجهين والله أعلم .

نقد الرجال وقيمتهم

وقد توجه النقد الى ما حكم فيه بالوهم (١) على بعض الرجال ، وهذا منه ما يؤثر ذلك الوهم قدحا ومنه مالا يؤثر .

والمراد بالتأثير انما هو فى قيمة الرجال والحكم عليهم وان كان ذلك لا يؤثر فى متن الحديث كما تقدم بالنسبة للامثلة التى ذكرت فى القسم الرابع وقد علمنا انه لم ينفرد الرواة الضعفاء بالحديث فى صحيح البخارى الا فى حديثين .

وقد تبين أن كلا منهما قد توبع ومعنى ذلك انه ثبت انه لم ينفرد ضعيف بالحديث فعلى فرض ثبوت ضعف الراوى لم يتأثر المتن الذى ثبت انه قد روى من طرق أخرى صحيحة غير الطريق الذى توهم فيه الضعيف لمتابعته من طريق صحيح وهذا ما بينه ابن حجر . فقال : بعد أن أورد الرجال الذين ورد فيهم طعن (٢) : فجميع من ذكر فى هذين الفصلين من احتج به البخارى لا يلحقه فى ذلك عيب لما فسرناه واما من عدا من ذكر فيهما ممن وصف بسوء الضبط أو الوهم أو الغلط ونحو ذلك وهو القسم الثالث فبين أيضا أنه لم يلحقه عيب قال : فلم يخرج لهم الا ما توبعوا عليه عنده أو عند غيره وقد شرحنا من ذلك ما فيه كفاية والله الموفق الى سبيل الرشاد ونفع الله بجميع ذلك بمنه وكرمه .

وبذلك فقد أصبحت قيمة النقد فى الرجال انما هى بالنسبة الى الحكم عليهم والتعريف بهم وسلم المتن لمجيئه من طريق آخر صحيح وان قيمة السند كما هى لصحة الحديث .

١ - المقدمة ج ٢ ص ٨٢ .

٢ - المقدمة ج ٢ ص ١٨٢ .

هى أيضا للبركة بالاسناد المتصل الى صاحب السنة حتى تتصل الروحانية النبوية فى سلسلة كريمة عاطرة الى راوى الحديث وقارئه وهذا مما اختصت به الأمة الاسلاميه فى حفظ تراثها حيا نابضا باحياة وهى احدى الحكم التى عدت فى اعجام أوائل السور حتى لا يستطيع نسان أن يقرأها بدون شيخ حتى يتأكد المتلقى أن النقل من شيخ الى ما فوqe كان بالمشافهة باتصال روحى تلقاه مقرأ عن مقرأ حتى فم النبى صلى الله عليه وسلم المعطر الذى تلقاه من جبريل عن رب العزة سلسلة مباركة مطهرة يتجلى فيها الروحانية والبركة .

مقاييس الطعن فى الرجال

ونرتاد الى رياض ابن حجر فى مقاييس نقد الرجال ومدارها وقيسه رجال الصحيح .

قال ابن حجر (١) لا يقبل الطعن فى أحد منهم « أى من رجال الصحيحين » الا بقادح واضح لأن أسباب الجرح مختلفة .

ومدارها على خمسة أشياء :

١ - البدعة .

٢ - المخالفة .

٣ - الغلط .

٤ - جهالة الحال .

٥ - دعوى الانقطاع فى السند بأن يدعى فى الراوى أنه كان يدلّس

أو يرسل .

فأما جهالة الحال فمندفعة عن جميع من أخرج لهم فى الصحيح لأن شرط الصحيح أن يكون روايه معروفا بالعدالة فمن زعم أن أحدا منهم مجهول فكأنه نازع المصنف فى دعواه انه معروف ولا شك أن المدعى لمعرفته مقدم على من يدعى عدم معرفته لما مع المثبت من زيادة العلم

ومع ذلك فلا تجد في رجال الصحيح أحدا يسوغ إطلاق اسم الجهالة عليه أصلا .

واما الغلط فتارة يكثر من الراوى وتارة يقل .

فحيث يوصف بكونه كثير الغلط فيما أخرج له ان وجد مرويا عنده أو عند غيره من رواية غيره غير هذا الموصوف بالغلط علم أن المعتمد أصل الحديث لا خصوص هذه الطريقة وان لم يوجد الا من طريقه فهذا قادح يوجب التوقف عن الحكم بصحة ما هذا سبيله وليس في الصحيح بحمد الله من ذلك شيء .

وحيث يوصف بقلة الغلط كما يقال سىء الحفظ أوله أو هام أوله مناكير وغير ذلك من العبارات والحكم فيه كالحكم في الذى قبله .

فتارة يكثر وتارة يقل وينظر فيما اخرج له .. الخ .. وليس في الصحيح بحمد الله شيء من ذلك .

الا أن الرواية عن هؤلاء في المتابعات أكثر منها عند المصنف من الرواية عن أولئك مع عدم التفرد فلا طعن . (أى هى للاستتناس والشواهد وتكثير الطرق فهى معادة .)

وقد نص ابن حجر على ذلك في باب ما طعن عليه من رجال المعلقات أذكره لأهميته فهو خير دليل لسلامة متن ونصوص المعلقات وبذلك يسلم كل ما جاء بالصحيح من المعلقات كما سلم ما جاء من الأصول وقد عقد ابن حجر فصلا في سياق من علق البخارى (١) شيئا من أحاديثهم ممن تكلم فيه قال وما يعلقه البخارى من أحاديث هؤلاء انما يورده في مقام الاستشهاد وتكثير الطرق ومعنى ذلك أنه معاد في صورة غير معترض عليها في الكتاب ولذا رتب النتيجة المنطقية قائلا فلو كان ما قيل فيهم قادحا ما ضر ذلك ثم أورد الأسماء على التفصيل .

والأمر الثالث (١) : المخالفة ويثبت بها الشذوذ والنكاره فاذا روى الضابط والصدوق شيئا فرواه من هو أحفظ منه أو أكثر عددا بخلاف ما روى بحيث يتعذر الجمع على قواعد المحدثين فهذا شاذ وقد تشتد المخالفة بأن يضعف الحفظ فيحكم على من يخالف فيه بكونه منكرا وهذا ليس في الصحيح منه الا نثر يسير .

كما تقدم في نقد المتن في قصة جمل جابر والروايات الضعيفة في مقابل الروايات القوية والأكثر عددا التي رجحها البخاري بعد ذكر الجميع وقد علمت أن البخاري ينه عليه ويذكر فيه رأيه . فلا اعتراض عليه .

(٤) قال ابن حجر : وأما دعوى الانقطاع فمدفوعة عمن أخرج لهم البخاري كما علم من شرطه ومع ذلك فحكم من ذكر من رجاله بتدليس أو ارسال أن تسير أحاديثهم الموجودة عنده بالنعنة فإن وجد التصريح بالسماع فيها اندفع الاعتراض والا فلا . وقد ثبت السماع في المعنعن فلا وجه للاعتراض .

والأمر الخامس : البدعة والموصوف بها أما أن يكون ممن يكفر بها أو يفسق . فالمكفر بها لا بد وأن يكون ذلك التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة كما في غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول الألوهية في علي أو غيره أو الايمان برجوعه الى الدنيا قبل يوم القيامة أو غير ذلك وليس في الصحيح من حديث هؤلاء شيء البتة والمفسق بها كبعد الخوارج والروافض الذين لا يغفلون ذلك الغلو وغير هؤلاء من الطوائف المخالفين لأصول السنة خلافا ظاهرا لكنه مستند الى تأويل ظاهره سائغ فقد اختلف أهل السنة في قبول حديث ما هذا سبيله اذا كان معروفا بالتحرز من الكذب مشهورا بالسلامة من خوارج المروءة موصوفا بالديانة والعبادة فقليل يقبل مطلقا وقيل يرد مطلقا والثالث التفصيل بين أن يكون داعية لبدعته أو غير داعية فيقبل غير الداعية ويرد حديث الداعية وهذا المذهب هو الأعدل وصارت اليه

الطوائف من الأئمة وادعى ابن حبان اجماع أهل النقل عليه لكن في دعوى ذلك نظر ثم اختلف القائلون بهذا التفصيل فبعضهم أطلق وبعضهم زاده تفصيلا فقال ان اشتملت رواية غير الداعية على ما يشيد ببدعته ويزينه ويحسنه ظاهرا فلا تقبل وان لم تشتمل فتقبل وطرد بعضهم هذا التفصيل بعينه في عكسه. في حق الداعية فقال ان اشتملت روايته على ما يرد ببدعته قبل والا فلا وعلى هذا اذا شتمت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على ما لا تعلق له ببدعته أصلا هل ترد مطلقا أو تقبل مطلقا مال ابو الفتح القشيري الى تفصيل آخر فيه فقال ان وافقه غيره فلا يلتفت اليه هو اخماد لبدعته واطفاء لناره وان لم يوافقه أحد ولم يوجد ذلك الحديث الا عنده مع ما وصفنا من صدقه وتحرزه عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته فينبغي أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصلحة اهاتته واطفاء بدعته والله أعلم .

واعلم انه قد وقع من جماعة الطعن في جماعة بسبب اختلافهم في العقائد فينبغي التنبيه لذلك وعدم الاعتداد به الا بحق وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة دخلوا في أمر الدنيا فضعفوهم لذلك ولا أثر لذلك التضعيف مع الصدق والضبط والله الموفق .

وأبعد من ذلك كله من الاعتبار تضعيف من ضعف بعض الرواة بأمر يكون الحمل فيه على غيره أو للتحامل بين الأقران ، وأشد من ذلك تضعيف من ضعف من هو أوثق منه أو أعلى قدرا أو أعرف بالحديث وقد بين ابن حجر القطع بعدالتهم وحفظهم .

قال : ينبغى لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأى راو كان . مقتضى لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ولاسيما ما انضاف الى ذلك من اطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح فهو بمثابة أطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما هذا اذا خرج له في الأصول فأما أن خرجا له في المتابعات

والشواهد والتعاليق فهذا تتفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره من حصول اسم الصدق لهم وحينئذ اذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعنا فذلك الطعن مقابل لتعديل الامام فلا يقبل الا مبين السبب مفسرا بقادح يقدح في عدالة هذا الراوى وفي ضبطه مطلقا أو في ضبطه الخبر بعينه لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدح ومنها ما لا يقدح وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسى يقول في الرجل الذى يخرج عنه في الصحيح هذا جاز القطرة يعنى بذلك أنه لا يلتفت الى ما قيل فيه .

قال الشيخ أبو الفتح القشيرى في مختصره وهكذا نعتقد وبه نقول ولا نخرج عنه الا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد في غلبة الظن على المعنى الذى قدمناه من اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتائيهما بالصحيحين ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما وبهذا فقد اندفع الاعتراض عن نقد رجال البخارى وبالتالي ثبت المتن سليما ، المسند منه والمعلق .

ويؤكد ذلك المعنى وصل ابن حجر لما لم يوصل فيه .

وقول البخارى ولست أروى حديثا من حديث الصحابة والتابعين الا ولى في ذلك أصل أحفظه من كتاب أو سنة (١) .

وهذه نتيجة يعتز بها المسلمون وحق لهم أن يياهاوا بها تراث الانسانية جمعاء .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله، وصدق الله العظيم الذى قال : انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون . والقائل فأما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال .



الباب السادس

النقد الحديث في صحيح البخاري

النقد الحديث فى صحيح البخارى

لقد كانت الحرب الصليبية الأوربية فى بلاد الاسلام تابعة بدافعين أساسيين :

الدافع الأول :

العصبية العمياء من رجال الكنيسة محرضين على تخليص مهد المسيح من أيدي المسلمين مفترين بالتشويش على عقائد الاسلام ومقاييسه .

الدافع الثانى :

وهو استغلال ثروات المسلمين وكانت النتيجة أن هزمت الجيوش الصليبية وأخفقت عسكريا فرأوا أن يتجهوا الى دراسة عقائد المسلمين لغزوهم ثقافيا والفت الجمعيات المسيحية واليهودية لهذا الغرض وهؤلاء هم المبشرون من رجال الدين الذين عنوا بدراستهم لأصول الاسلام وقواعده لبلبة هذه الثقافة الحيوية الاسلامية وكان منهم من يتسم فى الظاهر بانصاف الاسلام والاشادة به . لا لشيء الا ليطمئن الباحث الى أفكاره ثم يأتى بجزئية صغيرة فى حروفها خطيرة فى سموها بالنسبة الى الاسلام وأصوله وسواء أكان ذلك عن جهل بطبيعة الاسلام أم عن سوء النية فقد كان خطرا على قواعد الاسلام والتهوين من شأن مصادره الصافية ورجاله المعنيين به وكان لهم مدرسة فتن بها بعض الباحثين الاسلاميين الذين يطربون لكل جديد شعورا ساذجا منهم الى أن ذلك يعلى قدرهم عن صفوف رجال الدين وكان من أشد هؤلاء المستشرقين

خطرا المستشرق اليهودى المجرى (١) جولد تسيهر . وحسبك أن ترى
افتراء هذا المستشرق فى آرائه .

فى كتابه مذاهب التفسير الاسلامى ترجمة الدكتور عبد الحليم
النجار .

وفى كتابه العقيدة والشريعة فى الاسلام الذى ترجمه الأساتذة
الدكتور محمد يوسف موسى والدكتور على حس عبد القادر والأستاذ
عبد العزيز عبد الحق وكان من قواعد هذا المستشرق ما هو هدم لكيان
السنة بصفة عامة .

مثال ذلك دعواه أن الحديث نتيجة لتطور المسلمين يقول جلد
تسيهر ، ان القسم الأكبر من الحديث ليس الا نتيجة للتطور الدينى
والسياسة والاجتماع للإسلام فى القرنين الأول والثانى ، وهذه دعوة
خطيرة للغاية ومنهارة أمام المقاييس الثابتة من الكتاب والسنة ، فمن
أواخر ما نزل على النبى صلى الله عليه وسلم « اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ولم يتوف الرسول
الا وقد أكمل الشرائع وترك فينا سبيل الهداية ممثلا فى الكتاب
والسنة « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما .. كتاب الله
وسنتى » .

وأما من السنة فقد روى البخارى قال « الرسول صلى الله عليه وسلم
وسلم » : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من
خالفهم حتى يأتى أمر الله . »

والعناية بالسنة ووضع المقاييس الثابتة لحفظها والمنهج المستقيم
الذى لم يتوفر لأى ثقافة كان شغل المسلمين يتلقاها خير خلف عن خير
سلف الى أن أوصلوها إلينا صحيحة ثابتة كما قالها الرسول ويعلم ذلك
من درس منهجهم القويم فى كتب المصطاح وما كان هجوم « أبو ريه »

١ - انظر السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للسباعى .

وأمثاله من التشكيك بالسنة الا ترديدا لقضايا هذا المستشرق وأمثاله
« سيرنجر » ودائرة المعارف الاسلامية البريطانية وما مثلهم .

آراء المستشرقين

وقد وضع جولد تسيهر أيضا قاعدة خطيرة ردها من بعده المفتونون
بكل جديد المغرورون بعتولهم أو تبريزهم في ميادين أخرى غير ميدان
الحديث. وهذه القاعدة هي ان الاعتراف بصحة الحديث امر شكلى
قال جولد تسيهر .. وقد شعر المسلمون فى القرن الثانى بأن الاعتراف
بصحة الأحاديث يجب أن يرجع الى « الشكلى فقط لأنه يوجد بين
الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الأحاديث الموضوعة وساعدهم على
هذا ما ورد من الحديث « سيكثر التحديث عنى فمن حدثكم بحديث
فطبقوه على كتاب الله فما وافق فهو منى قلته أو لم أقله هذا هو المبدأ
الذى حدث بعد قليل عند اتشالو الوضع أ هـ .

الرد على المستشرقين

وقد رد الدكتور السباعى فى كتابه « السنة ومكاتها فى التشريع
الاسلامى » على هذه الفرية فقال :

افترى المستشرقون هنا على علماء الاسلام فى موضوعين :

الأول - زعمه بأن الاعتراف لصحة الحديث شكلى فقط وانه
يوجد بين الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الأحاديث الموضوعة وهذا
افتراء منه عليهم وهم لم يقولوا بذلك قطعا وكيف يقرون بأن هنالك
كثيرا من الأحاديث الموضوعة هى جيدة الاسناد ؟ .

وانما الذى قاله العلماء حين بحثوا مسألة العمل بخبر الواحد . هل
يفيد القطع أو الظن ؟ فذهب بعضهم الى انه يفيد القطع وذهب انجهمور
الى أنه يفيد الظن لأنه وان كان صحيحا بحسب الشروط والقواعد
العامة الا انه يحتمل ألا يكون صحيحا « فى الواقع » وهذا منهم مجرد
احتمال عقلى دعاهم اليه الاحتياط فى دين الله والتثبت فى الأحكام فأين
هذا مما ينقله عنهم هذا المستشرق .

الثانى - زعمه أن المبدأ الذى حدث بعد قليل هو حديث سيكثر التحديث عنى .. الخ .. وهذا افتراء محض إذ أن هذا الحديث تقدمه الأئمة وحكموا بوضعه كما قال الشافعى وابن حزم ويحيى بن معين وعبد الرحمن بن مهدي فكيف يكون هذا الحديث الذى حكموا بوضعه هو القاعدة التى ساروا عليها والمبدأ الذى قالوا به ؟ .. أ .. ه .

وهذا شأن المستشرقين وأتباعهم يشكون فى الأدلة الصحيحة . ومن الغريب أنهم يتشبثون لتقويض الصحيح بكل ضعيف وأى مكذوب فيأخذونه قاعدة مسلمة وهم بذلك يناقضون أنفسهم إذ الوضع لو صح فى الحديث الصحيح كما يدعون على مذهبهم لألزمهم مذهبهم بالوضع من باب أولى فيما يستدلون به من الضعيف الواهى أو على الأقل يتطرق الاحتمال اليه فلا يستدل به وكأنهم ما علموا أن الاعتناء بالسند إنما هو من أجل العناية بالمتن وإن المحدثين يقولون السند للخبر كالنسب للمرء يقول محمد بن سيرين عن ذلك : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيأخذ حديثهم « وهم الذين لا يكذبون وأصحاب المقاييس الصحيحة » وينظر الى أهل البدع « ممن يظن فيهم الكذب أو الضعف » فلا يأخذ حديثهم (١) وقال سفيان « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » (٢) .

وقال الامام مالك « لا يأخذ العلم عن أربعة ويؤخذ من سوى ذلك لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ، ولا من سفيه يعلن بالسفه وإن كان من أروى الناس ، ولا من رجل يكذب فى أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به » وهذا هو نهج المحدثين والبخارى وكان نهجا عمليا تطبيقيا فمايزوا بين الصالحين للرواية وغير الصالحين كما يتضح ذلك فى كتاب التاريخ الكبير

١ - صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ٨٤ .

٢ - الكامل لابن عدى ج ٣ ص ٤ .

وكتاب الضعفاء البخارى ووضح الأمر وأشرق اليقين، على أنهم وضعوا قواعد للمتن على خلاف ما زعم «جولد تسيهر» وما رددته بعده المستشرق «غاستون ويت» كاتب مقال الحديث فى التاريخ العام للديانات (١) .

وقد قال : لقد درس رجال الحديث السنة باتقان الا أن تلك الدراسة كانت موجهة الى السند ومعرفة الرجال والتقائهم وسماع بعضهم من بعض الا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن . «ورتب النتيجة الخبيثة لهذه الفكرة الخطيرة بقوله ولذلك فلسنا متاكدين من ان الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير ان يضيف اليه الرواة شيئاً عن حسن نية فى أثناء روايتهم الحديث ، ومن الطبيعى أن يكونوا قد زادوا شيئاً فى أثناء روايتهم مشافهة ومهما كان هذا الرأى صحيحاً فان المسلمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح» أ . هـ .

وهكذا يرمون القضايا جزافاً حتى غير مشيرين الى أن هناك مصادر للصحيح معلومة وأخرى جمع فيها كلام الوضاعين وأصبح الأمر معلوماً ، والحق أن المسلمين يتقبلون الحديث الصحيح على أنه صحيح لأنهم أعلم بمقاييسهم وأفهم بمصطلحاتهم وصدق جهداً بالعناية بترائهم لا كما فهم المستشرق وهذه الدعوى بهرت بعض الباحثين الاسلاميين من اتباع المستشرقين فقد رددوها، الأستاذ أحمد أمين فقال (٢) وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ولكنهم والحق يقال — عنوا بنقد الأسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن فقل أن يظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب الى النبى صلى الله عليه وسلم لا يتفق والظروف التى قيلت فيه أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفى يخالف المؤلف فى تعبير النبى أو أن الحديث أشبه فى شروطه وقيوده بمتون الفقه وهكذا لم نظفر منهم فى هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم أ . هـ .

وهذه الدعوة من حيث السنة العامة بما فيهم الشيوخ وغيرهما .
بل انما تطرق هذا التطبيق وتعدى الى البخارى نفسه فيقول
الاستاذ أحمد أمين حتى إن البخارى نفسه على جليل قدره ودقيق بحته
يثبت احاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير
صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال .

وأقول لمثل هؤلاء أن العناية بالسند انما هى من أجل المتن كما
أشرت من قبل ثم ان عدم معرفتكم لمقاييس النقد فى المتن لا يعنى عدم
وجودها والمحدثون نقدوا المتن كما نقدوا السند الا ان هذا النقد لم
تهتدوا الى مظان بحته حيث بحثتم عليه فى الأحاديث الصحيحة السند
وهو انما يظهر لكم بوضوح عند عدم التأكد من صحة السند لأن السند
الذى فرض عليه الاتصال للثقات العادلين الحافظين المستمين من الصعب
ان نجد فيه الموضوع — لا كما يدعى هؤلاء وكما يقول أبو ربه وهو
من أتباع أتباع المستشرقين أو من أتباع المعرورين من أن المحدثين
لا يعنون بغلط المتن ؟

ونقل أبو ربه الاتفاق (١) على أنه ليس كل ما صح سنده من
الاحاديث المرفوعة يصح متنه لجواز ان يكون فى بعض الرواة من
أخطأ فى الرواية عمدا أو سهوا .

وما كل ما لم يصح سنده يكون متنه باطلا بل قالوا ان الموضوع
من حيث الرواية يكون صحيحا فى الواقع وان الصحيح السند قد
يكون موضوعا فى الواقع وانما علينا ان نأخذ الظواهر (أ هـ -) وأقول
قد وضع المحدثون المتقدمون قواعد لمعرفة المتن الموضوعة وهى تظهر
بوضوح فى غير صحيح الاسناد .

قال الامام ابن قيم الجوزيه (٢) .

(وسئلت هل يمكن معرفة الموضوع بضابط من غير أن ينظر فى
سنده) فهذا سؤال عظيم القدر وانما يعلم ذلك من تطلع فى معرفة

١ - اضواء على السنة ص ٣٠٢ لابی ربه .

٢ - النار لابن قيم الجوزيه ص ١٥ - وانظر قواعد الحديث ص ١٤٨ .

السنن الصحيحة واختلط بدمه ولحمه وصار له فيها ملكة وحاله . له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه فيما يأمر به وينهى عنه ويخبر عنه ويدعو اليه ويحبه ويكرهه ويشعره للامة بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه ومثل هذا يعرف من احوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وكلامه وما يجوز أن يخبر عنه وما لا يجوز، مالا يعرفه غيره وهذا شأن كل متبع مع متبوعه فالأخص به الحريص على تتبع أقواله وافعاله في العلم بها والتميز بين ما يصح ان ينسب اليه وما لا يصح ما ليس لمن لا يكون كذلك .

وقال ابن دقيق العيد (١) فان معرفة الوضع من قرينة حال المروى أكثر من قرينة حال الراوى .

ومن القرائن التى تدل على الوضع فى المتن على سبيل الاجمال ركافة اللفظ المروى بحيث يدرك من له المام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبى صلى الله عليه وسلم وقد وضعت احاديث ركيكة تشهد الفاظها ومعانيها لوضعها قال الحافظ المدار فى الركة على ركة المعنى فحينما وجدت دلت على الوضع وان لم ينضم اليها ركافة اللفظ لأن الدين كله محاسن والركة ترجع الى الرواية .

أما ركافة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى وغير الفاظه بغير لفظ فصيح ، نعم إن صرح بأنه من لفظ النبى صلى الله عليه وسلم فكاذب .

فساد المعنى كالأحاديث التى يكذبها الحسن نحو حديث البازنجان لما أكل له ومن الموضوعات كل حديث تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه وكل ما يشتمل على سخافات لا تصدر عن العقلاء كحديث المجرة التى فى السماء من عرق الأفعى التى تحت العرش .

وما يناقض نص الكتاب والسنة المتواتره أو الاجماع القطعى (١) .

قال ابن قيم الجوزية ومنها مخالفة الحديث صريح القرآن كحديث مقدار الدنيا وانها سبعة الاف سنة ويجىء فى الالف السابعه وهذا من آيين الكذب فهو مخالف لقوله تعالى (يسألونك عن الساعة أيا نمرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم الا بغته) .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يعلم متى تقوم الساعة الا الله (٢) وكل ما يخالف الحقائق التاريخية ، وتكون من الدراسه ملكات خاصه عند المحدثين وفى هذا يقول ابن الجوزى « الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه قلبه فى الغالب (٣) » .

ويقول الربيع بن خيثم التابعى الجليل أحد أصحاب ابن مسعود « أن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها (٤) » (وان من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه به) ، ولم تكن هذه المقاييس بخافيه على أصحاب الصحاح بل هم فرسان حلبتها لذا لم يوجد الموضوع عندهم ، أبعد كل هذا مع جمع الاحاديث الموضوعه فى قائمة والصحيحة فى قائمة والتعاون من أبطال المحدثين فى المجتمع الاسلامى تصح دعوى المستشرقين ومن نهج نهجهم فى عدم الاعتناء لنقد المتن الذى من أجله كان السند ومع كل اعتناء بالسند انما هو اعتناء بالمتن فوق ما تقدم من قواعد المتن الخاصة ، والواقع ان سبب عدم وجود نقد المتن فى صحيح البخارى أنه انما لما صدق السند صدق المتن فلم توجد فيه متنون مخالفة لقواعد نقد المتن — وان قواعد نقد المتن تظهر فى غير ماسنده يكون صحيحا وقد جهلتم يا هؤلاء مظان أماكن البحث فابحثوا عنها تجدوها فى كتب الموضوعات فلو لم يكن الاهتمام بالمتن لما حصرت

١ - الباعث الحديث ص ٩ والنار لابن قيم الجوزية ص ٢٠ والسنة قبل التدوين ص ٢٤٤ .

٢ - النار لابن قيم الجوزية ص ٣١ .

٣ - الباعث الحديث ص ٩٠ .

٤ - معرفة علوم الحديث ص ٩٢ والمحدث الفاضل ص ٦٣ .

الموضوعات والا على أى أساس حصرت غير نقد المتن لأنه من المعلوم ان ضعف السند لا يقتضى ضعف المتن بل يتوقف عن قبوله ولا يحكم بوضعه ويقال فيه لم يثبت فاذا أتى من طريق صحيح صح المتن وقبل فاعلموا مظان نقاط البحث تهتدوا سواء السبيل .

ونظرا لهذا اللبس والخطأ فى معرفة نقاط البحث فى السنة قال «أبو ريه» فى كتابه «أضواء على السنة المحمدية» المحدثون لا يعنون بغلط المتن. وفى معرض عدم العناية بنقد المتن .

قال أبو ريه : فان الدارقطنى وغيره من أئمة النقد لم يتعرضوا لاستيفاء النقد فيما يتعلق بالمتن كما تعرضوا لذلك فى الاسناد وذلك لأن النقد المتعلق بالاسناد دقيق غامض لا يدركه الا أفراد من أئمة الحديث المعروفين بمعرفة علله ، بخلاف النقد المتعلق (بالمتن) فإنه يدركه كثير من العلماء الاعلام المشتغلين بالعلوم الشرعية والباحثين عن مسائلها الاصلية والفرعية ككثير من المفسرين والفقهاء وأهل أصول الفقه وأصول الدين .

وكأنه يعنى بذلك نفسه وأمثاله غرورا وبهتانا وكأن الدارقطنى ، وهو من أئمة النقاد لم يصل الى مقاييس ابى ريه وأتباعه ، ثم بعد ذلك ناقض نفسه فبعد أن قرر أن أئمة الحديث انما يعنون بالسند رجع مباشرة بعد هذا الكلام بدون فاصل فقرّر بأن كثيرا من أئمة الحديث تعرضوا لنقد المتن وان كان قليلا بالنسبة للسند وجاء بالمثال الذى جاء به ابن حجر فى المقدمة ورد عليه ابن حجر حيث لم يجد أبو ريه غيره .

قال أبو ريه :

وقد تعرض كثير من أئمة الحديث للنقد من جهة المتن الا أن ذلك قليل جدا بالنسبة لما تعرضوا له من النقد من جهة الاسناد فمن ذلك يقول الاسماعيلى بعد أن اورد الحديث الذى رواه البخارى عن ابن ابى أويس عن أخيه عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريره قال : يلقي ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتره الحديث هذا

خبر في صحته نظر من جهة ان ابراهيم عالم بأن الله لا يخلف الميعاد فكيف يجعل ما بأبيه خزيا له مع أخباره ان الله قد وعده ان لا يخزيه يوم يبعثون ، واعلمه أنه لا خلف لوعده وقد اعل الدارقطني هذا الحديث من جهة الاسناد فقال هذا رواه ابراهيم بن طهمان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة ، واجيب عن ذلك بأن البخارى قد علق حديث ابراهيم بن طهمان فى التفسير فلم يهمل حكاية الخلاف فيه وينبغى للناظر فى الصحيحين أن يبحث عما انتقد عليهما من الجهتين فبذلك تتم له الدلالة فيما يتعلق بالرواية (أهـ) أبو ريه .

وقد تبين أن البخارى كما ذكر ، حكى الخلاف فيه وبينه ، فلا نقد عليه هذا فضلا على أن مثل هذا من ناحية المعنى هو ماحكاه القرآن مع نبي آخر هو الأب الثانى للانبيااء نوح عليه السلام حيثما قال (ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق) فبين الله بأنه ليس من أهله حتى يكون قد أخلف الوعد (ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين - قال يانوح انه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح) .

وفى هذا الحديث عندما يقول ابراهيم يارب انك وعدتني الاتخزني يوم يبعثون فيقول الله تعالى انى حرمت الجنة على الكافرين والمعنى ان ذلك ليس بخزى وليس بخلاف للوعد كما قال لنوح عليه السلام ، ولو أطلقت العقول المغرورة فى مثل هذه الأمور المتشابهة لطغت فى القرآن بما لا يوافق هواها كما طغت فى السنة وقد بنى هؤلاء النقاد قاعدتهم هذه على ما صرح به المحدثون من أنه لا يلزم حتما من صحة المتن صحة السند كما لا يلزم العكس قالوا ذلك من أجل الاحتياط التام ومن حيث الجواز العقلى ومرادهم ان المتن قد يزداد فيه لفظ مدرج أو قد يسهو الراوى على سبيل الندره ، على لفظ لا يسترعى اهتمامه لعدم تعلقه بأصل الحديث والا لما قبل أن ينقله ، على أنه فى حالة نقله يبين عدم تمكنه أو تردده فى هذه اللفظة ووضع المحدثون لمعرفة ذلك مقياسا واستوعبوا مثل هذه الالفاظ النادرة وذلك انها تعرف بمخالفة الثقات حيث وردت بطريق آخر ومثل ذلك فى البخارى الاختلاف فى

ثمن جمل جابر رضى الله عنه وقدين البخارى مع عدم تعلق ذلك بالحكم
الأصلى الروايات ونص على الأصح منها ومثل ذلك حديث ذى الدين
رواه البخارى عن ابن عمر قال النبى يوم الاحزاب ان لا يصلين أحدكم
العصر الا فى بنى قريظة ووقع فى رواية أخرى ان لا يصلين أحدكم
الظهر وجمع بين الروايتين بأن النبى قال ذلك لقوم ثم قال لفرقة أخرى
بعدهم رواية العصر أو بجواز خطأ الراوى لعدم تعلق حكم هام باختلاف
العصر أو الظهر وقد نص المحدثون كل ذلك وما مثله وأصبح الأمر
واضحاً لا لبس فيه .

الأحاديث التى انتقدها أحمد أمين

وعلى المقاييس المهتزة نهج أحمد أمين فقال ان البخارى ثبت أحاديث
دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة
لاقتصاره على نقد الرجال من ذلك مثلاً حديث من اصطبح كل يوم سبعة
ثمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم الى الليل قد أخرجه الامام
البخارى فى كتاب الطب (١) كما أخرجه الامام مسلم والامام أحمد (٢)
وقد بين العلماء هذا الحديث فمنهم من خصصه بثمر المدينة اعتماداً على
الأحاديث المقيدة بذلك ومنهم من أطلقه (والذى ارتضاه الأكثرون
تخصيصه بعجوة المدينة قال ابن القيم فى زاد المعاد « والتمر غذاء فاضل
حافظ للصحة ولاسيما لمن اعتاد الغذاء به ونفع هذا العدد من التمر من
هذا البلد من هذه البقعة بعينها — من السم والسحر بحيث تمنع اصابته
من الخواص التى لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء لتلقاها
عنهم الأطباء بالقبول والاذعان والانتقاد مع أن القائل انما معه الحدس
والتخمين والظن . فمن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحى أولى بأن
تتلقى أقواله بالقبول وترك الاعتراض هذا خلاصة مذكروه فى هذا المقال
واذا كان السحر نوعاً من الأمراض النفسية وللإيحاء بالنفس أثر كبير
فى شفاء المرضى أو أن أثر الصحة نافع فى الحالة النفسية كما يقرر
العلم الحديث فان أثر هذا الغذاء النافع يقى الجسم من الحالة النفسية

١ - صحيح البخارى بشرح السندى ص ٢٠ ج ٤ .

٢ - صحيح مسلم ص ١٦١٨ ج ٣ .

ويكون له أثر طيب فى حالة المسحور كما قال النبى صلى الله عليه وسلم قال الدكتور السباعى (١) انك لاتشك مئى فى أن اقدام مؤلف فجر الاسلام على القطع بتكذيب هذا الحديث جرأة باللغة منه لايمكن أن تقبل فى المحيط العلمى بأى حال مادام سنده صحيحا بلا نزاع ومادام منته صحيحا على وجه الاجمال ولايضره بعد ذلك أن الطب لم يكتشف حتى الآن بقية ما دل عليه من خواص العجوة ويقنى انه لو كان فى الحجاز معاهد طبية راقية أو لو كان ثمر العالية موجودا عند الغربيين لاستطاع التحليل الطبى الحديث أن يكتشف فيه خواص كثيرة ولعله يستطيع أن يكتشف هذه الخاصة العجيبة أن لم يكن اليوم ففى المستقبل ان شاء الله أ. هـ .

ويحقق الزمن صدق المدافع عن السنة ويثبت صحة مقاييسه ويطل مقاييس النقد الحديث فقد كتب الأهرام تحت عنوان (٢) «البلح علاج لأمراض العيون والجلد والانيما والنزيف ولين العظام والبواسير ويساعد على الولادة بسهولة» أثبتت الأبحاث العلمية التى أجريت أخيرا بالمركز القومى للبحوث أن البلح غذاء كامل ويفيد فى وقاية الجسم وعلاجه من أمراض العيون وضعف البصر وعلاج الأمراض الجلدية كالبلاجرة وأمراض الانيميا وحالات النزيف ولين العظام والبواسير ويساعد المرأة الحامل بسهولة على الولادة صرح بذلك الدكتور عزيز شرف المشرف على وحدة بحوث الأدوية بالمركز القومى للبحوث واضاف قائلا ان الأبحاث أثبتت كذلك أن البلح يعادل اللحم فى قيمته الغذائية ويتفوق عليه بما يعطيه من سرعات حرارية ومواد معدنية وسكرية وذلك بالاضافة الى أنه غنى بالكالسيوم والفسفور والحديد ويحتوى على غالبية الفيتامينات المعروفة .

وبهذا قد ثبت أن المشاهدة والعلم يكذب تقدمهم ويثبت صحة

١ - السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٢٦٥ .

٢ - جريدة الامم يوم الاثنين ١٢ ذو الحجة ١٣٨٢ الموافق ٢٦ مايو ١٩٦٢ لسنة ١٩٨٠

العدد ٢٧٩٠٥ ص ٤ .

الأحاديث التي لم ترق في نظرهم وهكذا يخطئ النقاد من المحدثين ويكذبهم العلم .

ومثال ما تقدموه أيضا في صحيح البخارى نتيجة عدم الدقة فى البحث مانقده الأستاذ أحمد أمين مما رواه البخارى « لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منقوسة » هذا الحديث أخرجه الامام البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث وفهم منه مؤلف فجر الاسلام أن مراد الرسول صلى الله عليه وسلم الأخبار بانهاء الدنيا بعد مائة سنة ومن هنا حكم عليه بالنوضع لمخالفته للحوادث التاريخية والحس والمشاهدة .

ولكن هذا الحديث الذى ذكر هو جزء من حديث كامل أخرجه البخارى فى باب السمر فى الفقه والخير بعد العشاء من كتاب الصلاة وهو أن عبد الله بن عمر قال : قام صلى الله عليه وسلم فى صلاة العشاء فى آخر حياته فلما سلم قال أرأيتمكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد فوهل الناس فى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مايتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة وانما قال النبى لا يبقى ممن هو « اليوم » على ظهر الأرض يريد بذلك أنها تخرم ذلك القرن فهذا نص الحديث واضح فى أن الرسول أخبر صحابته فى آخر حياته وجاء فى رواية جابر قبل وفاته بشهرين حين قال الرسول تلك المقالة لا يعمر أكثر من مائة سنة ولم يفتن بعض الصحابة الى تقييد الرسول بمن هو على ظهرها اليوم فظنوه على إطلاقه وان الدنيا تنتهى بعد مائة سنة فنبههم ابن عمر الى القيد فى لفظ الرسول وبين لهم المراد منه وكذلك فعل على بن أبى طالب فى رواية الطبرانى .

وقد استقصى العلماء من كان آخر الصحابة موتا فوجدوه أبا الطفيل عامر بن وائلة وقد مات سنة عشر ومائة وهى رأس مائة سنة من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون الحديث معجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام حيث أخبر بأمر مغيب فوق كما أخبر

قال الدكتور السباعي فانت ترى إن هذا الحديث الذى كان فى الواقع معجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام ينقلب فى منطق النقد الجديد الذى دعا اليه صاحب فجر الاسلام الى أن يكون مكذوبا مفترى .

وان تعجب فعجبك من الاستاذ مؤلف فجر الاسلام ذكر فى اخر فصله أهم مراجع بحثه وفى مقدمتها فتح البارى على البخارى والقسطلانى على البخارى وشرح النووى على مسلم وهؤلاء الشراح نبهوا على معنى الحديث وبيّنوا تقسيم البخارى له فى موضعين وأشاروا عند الجزء المختصر الى موضع الحديث الكامل فان كان الاستاذ أطلع على روايات الحديث واقوال الشراح فكيف حكم بعد ذلك بكذبه ؟ وان لم يطلع عليها فكيف عد تلك الشروح من مرجع بحثه بل كيف استباح الخوض فى هذا الموضوع على غير هدى ؟

نقد الدكتور محمد توفيق صدقى

وحديث الذباب رواه البخارى فى باب اذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه فان فى أحد جناحيه داء والأخرى شفاء عن أبى هريرة رضى الله عنه ويقول النبى صلى الله عليه وسلم اذا وقع الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فان فى احد جناحيه داء وفى الأخرى شفاء انكره الدكتور محمد توفيق صدقى (١) وطعن فيه لأنه لا يوافق العقل والعرف وثار علماء الازهر فى وجهه لتوهينه حديثا فى صحيح البخارى ثار علماء الأزهر فى وجهه ووقف بجانبه الاستاذ محمد رشيد رضا ونعى على الازهريين هذا التعصب ضد مسلم من خيار المسلمين علما وعملا ودفاعا عن الاسلام وقال وكيف يحصل منهم ذلك بمجرد شبهة على صحة حديث رواه البخارى عن رجل يكاد أن يكون مجهولا واسمه يدل على أنه لم يكن أصيلا فى الاسلام وهو عبيد الله بن حنين وموضع ضعفه ليس من عقائد الاسلام ولا من عباداته ولا من شرائعه ولا الزم المسلمون العمل به : ما أسهل التكفير على مقلدى أقوال المتأخرين وحسبنا الله ونعم الوكيل اهـ .

١ - السنة قبل التدوين ص ٢٨٧ .

ونقل هذه الاراء فى موضع الاستشهاد بها أبو ريه ، ثم بعد ذلك فى عهد التقدم العلمى والمعامل والتحليل نستمتع الى أنصاف صحة الحديث وتأكيد صحته كمعجزة للنبي الأمى حيث صرح به فى عهد لم يعلم فيه التحليل وها هو التحليل العلمى يكذب النقاد ويصدق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم واناقل هنا كلمة الطب فيما قاله العلماء فى العصر الحديث .

كلمة الطب فى حديث الذباب (١)

البحوث والمراجع العلميه تؤيد الحديث الشريف اذا وقع الذباب فى أناء أحدكم فليغمسه كله فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء . تحقيق علمى للدكتور محمود كمال والدكتور محمد عبد المنعم حسين

كثر التعرض لهذا الحديث وخصوصا من جانب أطباء مكذبين للحديث لعلمهم بأن الذباب ينقل العدوى والجراثيم الحاملة للمرض ونحن نعلم أن من بين الاحاديث التى رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما هو صحيح وما هو مكذوب وكان على فقهاء الحديث أن يبينوا الصحيح . ويستبعدوا المكذوب ، وتمسك رجال الحديث والفقهاء الاعلام بصحة الحديث لاستناده لثقة من الرواة ، وتمسك بعض الأطباء بالناحية الصحية وكذبوا الحديث وكنا نود أن يفهم الحديث على أسس ثلاثة :

١ - عدم التعرض لصحة الحديث فهذا من اختصاص فقهاء الحديث والعلماء الذين درسوا العلم والحديث وكيف يستبعدون الاحاديث المكذوبة .

٢ - محاولة البحث العلمى بافتراض صحة الحديث للوصول الى حقائق أنبأنا عنها النبي عليه الصلاة والسلام (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (٢)) .

١ - مجلة الازهر رجب ١٣٧٨ ص ٥٧٨ .

٢ - سورة النجم .

٣ - عدم الخوض في موضوع مادة الحديث قبل الرجوع الى المراجع العلمية الكافية عن الحشرات وعن طفيليات الحشرات . ولهذا وجدنا بعد قراءة الموضوع والمجادلات المتبادلة بين الفريقين في الصحف والمجلات منذ مدة طويلة ان نحاول ان نرد الحق الى نصابه ذلك أن بعضنا بعد قراءة اراء فقهاء الحديث عن صحة الحديث لم يتردد في تصديقه وحاول أن يرجع الى المراجع العلمية التي تؤيد صحة الحديث وقد جاء في المراجع العلمية ان الاستاذ الالماني بريفلد من جامعة هال بالمانيا وجد في عام ١٨٧١ ان الذبابة المنزلية مصابة بطفيلي من جنس الفطريات سماها امبوزا موسكى من عائلة اتوموfter الى من تحت فصيلة سيجومايسيس من فصيلة فيكوميسيس ويقضى هذا الفطرياته في الطبقة الدهنية داخل بطن الذبابة على شكل خلايا خميرة مستديرة ثم يستطيل ويخرج على نطاق البطن بواسطة الفتحات التنفسية أو بين المفاصل البطنية وفي هذه الحالة يصبح خارج جسم الذبابة وهذا الشكل يمثل الدور التناسلى لهذا الفطر وتتجمع بذور الفطر في داخل الخلية الى قوة معينة تمكن الخلية من الانفجار واطلاق البذور خارجها ولهذا سيكون بقوة دفع شديدة لدرجة تطلق البذور الى مسافة حوالى ٢ سم من الخلية بواسطة انفجار الخلية واندفاع السائل على هيئة رشاش ويوجد دائما حول الذبابة الميتة والمتروكة على الذجاج مجال من البذور لهذا الفطر ورؤوس الخلية المستطيلة التي يخرج منها البذور حول القسم الثالث والاخير من الذبابة على بطنها وظهرها وهذا القسم الثالث أو الأخير دائما يكون مرتفعا عندما تقف الذبابة على أى مسند لتحفظ توازنها واستعدادها للطيران والانفجار كما ذكرنا يحدث بعد ارتفاع ضغط السائل داخل البناء الى قوة معينة وهذا قد يكون مسببا من وجود نقطة زائدة من السائل حول الخلية المستطيلة وفي وقت الانفجار يخرج من السائل والبذور جزء من السيتوبلازم من الفطر كما ذكر الاستاذ لنجيرون (أكبر الاساتذه في علم الفطريات) في عام ١٩٤٥ ان هذه الفطريات كما ذكرنا تعيش في شكل خميرة مستديرة داخل انسجة

الذبابة وهى تفرز انزيمات قوية تحلل وتزيد أجزاء الحشرة الحاملة للمرض .

ومن جهة أخرى تم فى سنة ١٩٤٧ عزل مادة مضادة للحياة (بواسطة ارنش تين وكوك من انجلترا وبوروليوس من سويسرا فى سنة ١٩٥٠) تسمى جافاسين من فطر من نفس الفصيلة التى ذكرناها والتى تعيش فى الذبابة وهذه المادة المضادة للحياة تقتل جراثيم مختلفة من بينها جراثيم السالبة والموجبة لصبغة جرام وجراثيم الدوستتاريا والتيفود وفى سنة ١٩٤٨ عزل بريان وقوروتيس وهيمانج وجيفريس وماكجوان من بريطانيا مادة مضادة للحياة . تسمى كلوتينيزين من فطريات من نفس فصيلة الفطر الذى يعيش فى الذبابة وتؤثر على جراثيم السالبة لصبغة جرام من بينها جراثيم الدوستتاريا والتيفود وفى سنة ١٩٤٩ عزل كوكس وافارمر من انجلترا وجرمان وروس واتلنجر وبلاتر من سويسرا مادة مضادة للحياة تسمى انياتين من فطريات من نفس صنف الفطر الذى يعيش فى الذبابة تؤثر بقوة شديدة على جراثيم جرام موجب وجرام سالب وعلى بعض فطريات أخرى ومن بينها جراثيم الدوستتاريا والتيفود والكلوريا . ولم تدخل هذه المواد المضادة للحياة بعد الاستعمال الطبى ولكنها فقط من العجائب العملية لسبب واحد وانها بدخولها فى كميات كبيرة فى الجسم قد تؤدى الى حدوث بعض المضاعفات بينما قوتها شديدة جدا وتفوق جميع مضادات الحياة المستعملة فى علاج الأمراض المختلفة وتكفى كمية قليلة جدا لمنع معيشة أو نمو جراثيم التيفود والدوستتاريا والكلوريا وما يشبهها وفى سنة ١٩٤٧ عزل مفتيش مواد مضادة للحياة من مزرعة الفطريات الموجودة على جسم الذبابة ووجد انها ذات مفعول قوى فى بعض الجراثيم السالبة لصبغة جرام مثل جراثيم التيفود والدوستتاريا وما يشبهها . وبالبحث عن فائدة هذه الفطريات لمقاومة الجراثيم التى تسبب أمراض الحميات التى يلزمها وقت قصير للحضانه وجد أن واحد جرام من هذه المواد المضادة للحياة يمكن أن يحفظ أكثر من الف لتر لبن من التلوث من الجراثيم المرضيه المذكوره .

وهذا أكبر دليل على القوة الشديدة لمفعول هذه المواد .

أما بخصوص تلوث الذباب بالجراثيم المرضية كجراثيم الكليبره التيفود والدوستناريا وغيرها التى ينقلها الذباب من المجارى والفضلات أو البراز من المرضى وهى الأماكن التى يرتادها الذباب بكثرة فى مكان هذه الجراثيم يكون فقط على أطراف أرجل الذبابة أو فى برازها وهذا ثابت فى جميع المراجع البكتولوجية وليس من الضرورى ذكر أسماء المؤلفين أو المراجع لهذه الحقيقة المعلومة .

ويستدل من كل هذا على انه اذا وقعت الذبابة على الأكل فستلزم الغذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية التيفود والكليبره أو الدوستناريا أو غيرها . واذا تبرزت على الغذاء كما ذكرنا بأرجلها التى تفرز المواد المضادة للحياة والتى تقتل الجراثيم المرضية الموجودة فى براز الذبابة وفى أرجلها توجد على بطن الذبابة ولا تنطلق مع سائل الخلية المستطيلة من الفطريات والمحتوى على المواد المضادة للحياة الا بعد أن يلمسها السائل الذى يزيد الضغط الداخلى لسائل الخلية ويسبب انفجار الخلية المستطيلة واندفاع البذور والسائل .

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوى الذى يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها فى السائل أو الغذاء اذا وقعت عليه لافساد أثر الجراثيم المرضية التى تنقلها بأرجلها أو ببرازها وكذلك يؤكد الحقيقة التى أشار اليها الحديث وهى ان فى أحد جناحيها داء (أى فى أحد أجزاء جسمها الامراض المنقولة بالجراثيم المرضية التى حملتها) وفى الآخر شفاء وهو المواد المضادة للحياة التى تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها والتى تخرج وتنطلق بوجود سائل حول الخلايا المستطيلة لفطريات ..

أمثلة من اهتزاز مقاييس النقد الحديث

وهذه أمثلة تبين اهتزاز مقاييس العصر الحديث وعدم دقتهم فى نقدهم وتسرعهم .

وعلى سبيل أمثلة السرعة فى بحثهم : مثلاً نرى الأستاذ أحمد أمين

يزعم أن ما جمعه البخارى فى حديث الجامع الصحيح وهو أربعة آلاف من غير المكرر هو كل ما صح عنده من عدد الأحاديث التى كانت متداولة فى عصره وبلغت ستمائة ألف .

وهذه دعوى لها خطرهما اذ معنى ذلك ان غير تلك الأحاديث قد حكم البخارى على عدم صحتها وليتهم كما ذكرت قد سلموا بما جمعه البخارى بل يتعقبونه بمقاييسهم المنهارة وفى ذلك خطر على السنة ولم يكلفوا أنفسهم أو لم يثقوا بما سجله الحفاظ من ان البخارى ، كما تقدم صرح بأنه ليس كل صحيح عنده جمعه فى كتابه وثبت أيضا مثل ذلك عن الامام مسلم وقال ابن الصلاح فى مقدمته وهى من أصول الحديث المتداولة (لم يستوعب البخارى ومسلم) الصحيح فى صحيحهما ولا التزم ذلك أى الاستيعاب وقد صرح بذلك الشيخان .

ومن أمثلة السرعة فى البحث أيضا جزم الأستاذ أبو رية بأن أول من ألف فى الحسن الترمذى وكأن هذا هو القول الوحيد الذى لا غبار عليه وهذه دعوى ابن تيمية قال ان تقسيم الحديث عند قدمائهم كان على قسمين فقط صحيح وضعيف والحسن لذاته كان عندهم داخلا فى الصحيح ونقل الاجماع على ذلك ، التمهيص نجد أن هذه الدعوى غير صحيحة قال الكشميرى (١) :

دعوى الاجماع غير صحيح لان البخارى وعلى بن المدينى ممن يفرقان بينهما حتى جاء الترمذى وتبع فى ذلك شيخه البخارى فشهره ونوه بذكره وعليه مشى فى جميع كتابه أه .

والسر فى ان البخارى لم يتعرض له فى صحيحه لالتزامه الصحيح لذاته فى أصل موضوع كتابه .

وهكذا كان منهج النقد الحديث الارتجال فى الحكم وعدم القداسة الى الحديث النبوى وعدم البحث المستفيض

والتقديس لكل غربي براق وأعمال المقاييس العقلية الفردية المتغيرة خاصة وانها قد تكون مشغولة بفروع أخرى في بعض الأحيان ومتخصصة فيها ولا علاقة لها بالسنة وتقمح نفسها في ميدان السنة من غير معرفة به وبعضهم مريض بحب الظهور ولذا كانت مقاييسهم كما ترى مهزوزة غير ثابتة ينكرون الثابت ويستدلون بكل واه ضعيف ويهولون في أمر الوضع والوضاعين علما بأن الوضع في الحديث ولد ميتا حيث لم يسر على منهج يحميه وقدعاش له الجهابذة فردوه ووأدوه جميعا قبل أن يشعر بالحياة قيل لابن المبارك هذه الأحاديث الموضوعة؟ فأجاب :

بنظرة الواثق المطمئن بكل بساطة قال: تعيش لها الجهابذة ويقول الدكتور السباعي (١) في هؤلاء وأمثالهم وأساتذهم من المستشرقين :

أما المستشرقون فلم يبقوا من رسول الله الموقف الكريم بل نقدوا أحاديثه على وفق ما يعرفون من أصول النقد العام لأخبار الناس العاديين ذلك لانهم ينظرون الى الرسول كرجل عادي لم يتصل بوحي ولم يطلعه الله على مغيبات ولم يميزه عن بنى الانسان بأنواع من المعارف والكرامات واذا روى لهم حديثا عليه صبغة القانون قالوا ان هذا موضوع لانه يمثل الفقه الاسلامي بعد نضوجه ولا يمثل سناجته وبساطته في عصر النبي والصحابة واذا رويت لهم بشارة من الرسول وأخبار عن أمر يقع للمسلمين في المستقبل قالوا ان ظروف النبي لم تكن تسمح له أن يقول هذا القول .

وهكذا وقفوا من رسولنا عليه الصلاة والسلام موقف المنكر لرسالاته المتشكك في صدق ما بلغ به عن الله الهادي في سمو روحه التي اتصلت بالملأ الأعلى ففاض منها النور والحكمة والمعرفة ولم يكتفوا بذلك بل حملوا على علمائنا لانهم لم يبقوا منه هذا الموقف وعلمائنا معذرون اذ لم يتجهوا مع المستشرقين في هذا الاتجاه الخاطيء لانهم

مؤمنون بمحمد بن عبد الله رسولا كريما أرسله الله الى الناس اجمعين
بشرع محكم وسعادة شاملة للناس في دنياهم وآخرتهم أما أتباع المستشرقين
من المسلمين كمؤلف (فجر الاسلام) فمن المؤسف انهم انساقوا في ذلك
الاتجاه ولم يفتنوا الى خطأ تلك الطريقة فأخذوا ينمون على علمائنا
تقصيرهم في نقد المتن غير مستمسكين من الحجج الا بما أتى به
المستشرقون .

وها أنا لم أعثر في كل ما كتبه أحمد أمين في هذا الموضوع على رأى
طريف لم يأخذه عن المستشرقين ثم أخذ يضرب هو وأمثاله على وتيرة
تحكيم العقل في نقد الأحاديث ولا أدري أى عقل يريدون أن يحكموه
ويعطوه السلطة أكثر مما أعطاه علماءنا في قواعدهم الدقيقة . ليس
عندنا عقل واحد نقيس به الأمور بل عقول متفاوتة والمقاييس مختلفة
والمواهب متباينة فمالا يعقله فلان ولا يفهمه قد يراه آخر معقولا مفهوما
كما أن ما يخفى على الناس في بعض العصور حكمته وسر تشريعه قد
يتجلى في عصر آخر معقول الحكمة واضح المعنى حين تتقدم العلوم
وتكتشف أسرار الحياة ففتح الباب في نقد المتن بناء على حكم العقل
الذى لا نعرف له ضابطا .

والسير في ذلك بخطا واسعة على حسب رأى الناقد وهواه أو
اشتباهه الناشئ في الغالب عن قلة الاطلاع أو قصر نظره أو عقله عن
حقائق أخرى :

ان فتح الباب على مصراعيه لمثل هؤلاء الناقدين يؤدي
الى فوضى لا يعلم الا الله منتهىها والى أن تكون السنة الصحيحة غير
مستقرة البنيان ولا ثابتة الدعائم ففلان ينفي هذا الحديث وفلان يشبهه
وفلان يتوقف فيه ، كل ذلك لأن عقولهم كانت مختلفة في الحكم والرأى
والثقافة والعمق فكيف يجوز هذا؟ ثم أليس لنا أكبر عبرة فيما وقع عليه
مؤلف فجر الاسلام من أخطاء بشعة حين أراد أن يسير في هذا الاتجاه
فكذب ما لا مجال لتكذيبه وحكم بوضع ما قامت الأدلة والشواهد
على صحته ؟ . هـ .

وهكذا أوقع هؤلاء النقاد جهلهم بمظان البحث وغرورهم العقلى فى هذه الأخطاء حينما حسبوا أن نقد المتن مكانه كتب الصحيح ، ولم يعلموا أن مكان نقد المتن انما هو متوفر فى كتب الموضوعات وفيها عشرات الكتب من نقد المتن ولم يكن النقد فى صحيح البخارى فى المتن على ما تصوره بل قد صح المتن بصحة الاسانيد ولذلك كان الكشميرى دقيقا حينما قال لم يستطع الدارقطنى نقد متن حديث البخارى وان يوجه اليه هذا النقد الا فى حديث واحد ، وقد بينته فيما سبق ووضحت الرد عليه . وذلك لأن مقاييس نقد المتن لم تنطبق عليه لثلاثة مقاييس البخارى فعلى هؤلاء أن يبحثوا عن نقد المتن فى كتب الموضوعات وقد جمع صاحب السنة قبل التدوين (١) أربعين مؤلفا من أشهرها تذكرة الموضوعات لأبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى (٤٤٨ - ٥٠٧ هـ) (٢) .

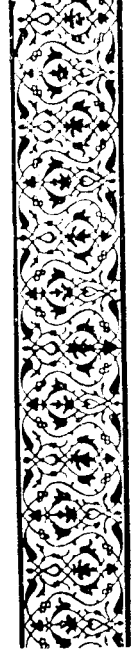
ومنها الموضوعات فى الأحاديث المرفوعات لأبى عبد الله الحسن ابن ابراهيم الهمدانى المتوفى سنة ٥٤٣ هـ . ومنها (الموضوعات الكبرى لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى « ٥٠٨ - ٥٩٧ هـ » أربع مجلدات) وغير ذلك .

واذا كانت هذه مقاييس النقد الحديث ونظراته القصيرة فخير لهؤلاء وأمثالهم الا يتكلموا فى السنة الا بعد دراسة مقاييسها وكتبها .

١ - السنة قبل التدوين ص ٢٨٧ .

٢ - وتوجد الموضوعات الكبرى لابن الجوزى فى دار الكتب تحت رقم ١٤٧ م وتحت رقم

٤٨٨ حديث وكلاهما مخطوط .



الباب السابع

البخارى والمنهج الاورنى التاريخى الحديث

أثر منهج البخارى والمحدثين فى المنهج التاريخى الأوروبى الحديث مع المقارنة

وبعد أن وصل تدوين الحديث الى أوج العظمة والدقة فى القرن الثالث « العصر الذهبى » لتدوين السنة الذى حمل لواء نهضته الامام البخارى بمنهجه التوثيق ومقاييسه الدقيقة وساعده على ثبات منهجه ما كان قبله من عناية المحدثين بالسنة ومناهجهم الدقيقة فوجد الثقات المحافظين على تراث نبيهم فى القرون الخيرة الأولى .

وكان الزمن بين اشتغال البخارى بالعلم وبين وفاة النبى صلى الله عليه وسلم قرنين فقط بالنسبة للمقياس الزمنى وثلاثة أشخاص بالنسبة للاسناد العالى وبينه وبين وفاة الصحابة قرن واحد - والثقافة ثقافة وحى ونبوة وسعادة دنيا وأخرى والرواة هم الأخيار الأطهار الثقات وضعوا لحراسة السنة المناهج المنظمة الدقيقة المعلومة فى كتب أصول الحديث وقد تقدم منهج البخارى الدقيق .

وايبن هنا أثر منهج البخارى والمحدثين فى المنهج الأوروبى الحديث وحقيقة هذا المنهج الحديث وهل بلغ مبلغ منهج البخارى والمحدثين؟! .

وبعد وفاة البخارى بحوالى عشرة قرون بدأت فكرة تحديد منهج للتاريخ تظهر فى أوربا وقوبل هذا المنهج بالحفاوة البالغة والتقدير الكبير ونقله الشرقيون على أنه أمر حدث جديد والحق أنه مأخوذ من حيث الجملة من منهج المحدثين وشيخهم البخارى .

تأثر المنهج الأوربي الحديث بمنهج البخارى والمحدثين

يقول الدكتور محمود قاسم رئيس قسم الفلسفة بدار العلوم وعميدها تحت عنوان مراحل البحث التاريخى الأوربى (١) لم يتتبع القدماء « الأوربيون » منهجا سليما فى دراسة التاريخ فكانوا يخلطون بينه وبين فن القصص وكانوا يجمعون الوثائق والروايات كيفما اتفق ثم يصهرونها ويصبونها فى قالب أدبى جذاب .

لكن علماء المسلمين عنبوا عناية كبرى بنقد الرواة وبتحصيل طرقهم فى النقل ولاسيما فيما يتعلق بدراسة أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وقد حدد ابن خلدون المؤرخ للبخارى وغيره من المحدثين العالم بمنهجهم ، قواعد البحث فى التاريخ الى مستوى العلم الجديدة بهذا الاسم ثم اتجه الأوربيون الى العناية بالدراسات التاريخية وبنوا القواعد التى يجب على المبتدىء احترامها واتباعها الى تحديد مراحل البحث تحديدا دقيقا ويعرض الدكتور قاسم لدراسة مراحل البحث التاريخى تحت عنوانين أساسيين التحليل - والتركيب طبقا لما وصل اليه سينيوبوس ودونو . وفريمان وغيرهم واليك البيان .

التحليل التاريخى

إذا انتهى الباحث من اختيار موضوع دراسته ومن جميع الوثائق الخاصة به بدأ يحللها ويمحصها والتحليل نوعان خارجى - وداخلى .

أولا - التحليل الخارجى :

وتتكون مرحلته من عمليتين رئيسيتين هما :

أ - نقد الوثائق يقول سينيوبوس « لا وجود للتاريخ بدون وثائق وكل عصر ضاعت فيه وثائقه يظل مجهولا الى الأبد .

ولما كانت مادة التاريخ لاتقع تحت ملاحظتنا بطريقة مباشرة ولما

١ - المنطق الحديث ومناهج البحث العلمى ص ٣٦٨ ط الانجلو المصرية .

كانت الوثائق السبيل الوحيد الى معرفتها فانه يجب الحذر فى استخدامهما والعناية بين الصحيح والزيغ منها تتبين ضرورة هذا النقد اذا علمنا أن الانسان يميل بطبعه الى تصديق الأخبار دون تمحيص اذ التصديق أقل مجهودا من المناقشة والتسليم أيسر من النقد وتكديس الوثائق كيفما اتفق أقل عناية من فرزها وتقديرها وقد بين العلامة سينيوس أنه يجب الحذر من بعض العبارات العقلية كالميل الى استخدام أول نسخة تقع لدينا ولو كانت غير دقيقة وكالميل الى الاعتماد على اقدم النسخ ولو كانت أردأ من النسخ الأقرب منها عهدا وكالميل الى اتخاذ الاغلبية حكما اذا اختلفت النسخ فيما بينها مع أن هذا لا يدل على شيء البتة وقد ضرب سينيوبوس لذلك مثلا فقال فلنفرض أن هناك عشرين نسخة يشترك فيها ثمانى عشرة نسخة فى نقطة واحدة هى (أ) .

وتشترك النسختان الأخريتان فى نقطة مخالفة هى (ب) ففى هذه الحالة يميل الباحث المتسرع الى تأكيد صحة (أ) دون (ب) .

لكن من المحتمل جدا أن تكون كثرة المجموعة الأولى صورية بأن تكون احدى النسخ أصلا والباقي منها فروعا ولذا فان الباحث المدقق يتساءل فيقول هل (أ) أكثر احتمالا للصدق من (ب) أم لا (١) .

ب - التحقق من شخصية صاحب الوثيقة .

لا تكفى المقارنة بين مختلف النسخ بل لابد من الوقوف على مصدر كل وثيقة واين ومتى كتبت ؟ ومن كتبها ؟ وذلك أنه لافائدة من استخدام وثيقة نجهل صاحبها وهذه العملية هامة جدا ولاسيما اذا كان المؤرخ يدرس احدى وثائق العصور القديمة أو المتوسطة .

فان كتابها كانوا يعنون بتوقيع كتاباتهم أو تحديد تاريخها وقد يسارع الباحث الى تصديق نسبة احدى الوثائق الى أحد الكتاب اذا رأى انها تحمل توقيعها لكن يجب الحذر من هذا الميل الساذج الى سرعة التصديق فان الالتحال أمر مألوف وأسبابه عديدة ونحن نعلم أن بعض

فراغنة مصر لم يتورعوا عن محو أسماء سابقهم ونسبة أثرهم الى أنفسهم
حقا أن خير وسيلة الى معرفة شخصية الكتاب هى التحليل الداخلى غير
أنه يجب الاعتماد قبل ذلك على بعض العلاقات الخارجية كالخط والورق
واللغة وكثيرا ماتكون دلالة هذه العلامات حاسمة فتقرر تزوير الوثائق
واتتحالها فان كثيرا من المزيفين لا يتخذون جميع أسباب الحيطة
فيستخدمون كلمات وجملا والوانا من الاساليب التى لم تكن مألوفة فى
العصر الذى ينسبون اليه الوثائق ، كذلك يجب المقارنة بين الوثائق
المختلفة فان ذلك يزيدنا علما بالظروف التى دوت فيها الوثائق الصحيحة
وبمواضع التزييف أو التحريف فى غيرها .

وتستخدم المقارنة فى التفارقة بين النص الذى اشترك
فى كتابته أفراد عديدون لأن اضطراب الاسلوب أو عدم
اتباعه دليل على تعدد كاتبى الوثيقة أو على أن بعضهم ينقل عن
بعض وتؤدى هذه العملية الى بعض النتائج السلبية يرى «سينيوس»
أن التحليل الخارجى لا يؤدى الى بعض النتائج الايجابية وانه اذا ارشدنا
الى الوثائق الرديئة التى يجب عدم استخدامها انه لا يوقفنا على كيفية
استخدام الوثائق الجيدة ولكن مع ذلك يجب الاعتدال فى النقد فان
بعض دارسى الوثائق يغفلون فى النقد فيرون التحريف والتزوير والطلاسم
فى كل مكان على الرغم من وضوح النصوص التى يدرسونها ولذا يجب
الوقوف عند حد معلوم والا انتهى الأمر الى الشك المطلق وهناك
آخرون يفقدون لمجرد النقد وكلما انتهوا الى وثيقة بحثوا عن غيرها ظانين
بأن التاريخ نوع من الرياضة العقلية وان أهمية الوثيقة لا تقاس بما
تحتوى عليه من حقائق بما تثيره من صعوبات اهـ .

وليت المغرمين بنقد الحديث على غير موازين والمغرمين بتتبع
الغريبين يستمعون الى سينيوس فانه يعيب على من يشك عند وضوح
النص فما بال من يشك بوضوح النص وصاحبه وتوفر اسمى المقاييس؟ .

ثم ان أصحاب المنهج الحديث لم يطلقوه فى كل شىء بل ذكروا ان
من وسائل العلوم المساعدة - ذهب دونو الى ضرورة بعض الدراسات

بوسيلة يستعين بها الباحث على فهم الوثائق التاريخية ومن هذه كتب كبار الكتاب والفلاسفة الذين يجب قراءة كتبهم « كهيرودوت ، وتاسيت وميكافيلي ، وفلتير، ونص على ضرورة الاطلاع على انتاج كبارالفلاسفة والمؤرخين .

وقال « فريمان » يجب على المؤرخ أن يحيط علما بكل شئ فلسفة وقانونا واقتصادا وعلم اجناس وجغرافيا وعلوم طبيعة وذلك لأنه سوف يلقى في أثناء قراءته للنصوص التاريخية أشياء من هذا القبيل وإن كان سينيوبوس يرى أن من يقوم بدراسة الوثائق أشد مايكون حاجة الى بعض الفنون والعلوم اذ كيف تجدى الفلسفة اذا وقف المرء حائرا أمام احدى الوثائق التى يجهل لغتها أو يعجز عن حل رموزها .

والمهم أن سينيوبوس يحرم الاسراف فى النقد للنص الواضح كما أن « دونو » وفريمان - ولم يعارضهما سينيوبوس يقررون أن هناك من الكتب ماهى صحيحة معتمدة مسلم بصحتها عندهم ولم يرق اليها الشك بل هى تكون كوسيلة عند بعضهم لايضاح الشك فى غيرها وتدعيم الباحث وهى كتب كبار كتابهم وفلاسفتهم الذين يجب قراءتها كما يقولون رغم أنها الفت من غير منهج ، فليت أعداء السنة يستمعون لذلك فيعترفون بعد تحقق قوة مقاييس المحدثين بالتسليم والوجوب بالاعتراف لصحة مثل كتاب البخارى حتى تكون لهم اصالة كغيرهم ولعلمهم لا يرتاعون ويرمون بالتأخر من يقول بلفظ الوجوب بالاعتراف بالصحة للكتب المرسومة بذلك بعدما سمعوا ممن يعتبرون بأقوالهم من الغربيين فى كتبهم التى لا تقاس ولا توزن فى كفة صحيح البخارى أو غيره واتخذوا هذه الكتب مرجعا سليما لتصحيح ما ارتابوا فيه من المسائل العلمية التاريخية واهتموا بدراسة تلك المراجع ليستعينوا بها فى مهمتهم العلمية، الغربيون يقررون ذلك والناقدون للسنة ينقدون لمجرد الهوى والغرض ورغبة منهم فى ادعاء الوصول الى مالم يصل اليه غيرهم ولو بحثت الحال لوجدتهم بعيدين عن فقه الحديث ومصطلحاته وأساليبه وطرقه وكان من

الحرى بهم أن يدرسوا قبل أن ينقدوا وأن يتعلموا قبل أن ينصبوا أنفسهم
أساتذة على أساتذة الفن .

ونعود الى استكمال مراحل المنهج الأوروبى الحديث .

ثانيا - التحليل الداخلى :

يطلق هذا الاسم على مجموعة العمليات التى يستخدمها الباحث فى
فهم محتويات الوثائق وتقدير الظروف التى أحاطت بكتابتها فهى خاصة
بالتحقيق من صدق النص التاريخى من جهة الموضوع لامن جهة الشكل
وهى ضرورة للسبب الآتى وهو أن الظواهر الماضية لا تقع تحت
ملاحظتنا ولا يمكن الثقة بما يذكره الرواه عنها دون تجميع أو نقض
فان أخبارهم تحتل الكذب والخطأ وتقوم عمليات هنا على أساس
استعادة الخطوات التى مر بها الراوى منذ مشاهدته للحوادث حتى
وقت تسجيلها كتابة .

والتحليل الداخلى نوعان : ايجابى وسلبى .

أ - التحليل الداخلى الايجابى : يستخدم هذا التحليل للفرقة بين
العناصر الاولى التى يحتوى عليها النص التاريخى تمهيدا لفهم كل عنصر
على حده وللوقوف على المعنى الحقيقى الذى ترمى اليه الالفاظ
والعبارات غير أن كثيرا من المؤرخين لا يوجهون عناية كافيه الى هذه
الناحية ويميلون الى قراءة النصوص قراءة سريعة للاقتباس منها دون
تحديد المعانى الحقيقه التى يرمى اليها الكاتب . حقا ربما لم تكن
هناك ضرورة كبرى الى تحليل الوثائق الخاصة للعصور الحديثه تحليلا
تاماً وذلك لقرب لغتها من لغة المؤرخ لكن ليس الأمر كذلك فيما يتعلق
بوثائق العصرين القديم والوسيط اذلا مندوحة للباحث حينئذ من
الاعتماد على تحليل ايجابى دقيق فان لغته وتفكيره يختلفان اختلافا
كبيرا عن لغة وتفكير كاتب الاصل التاريخى الذى يقوم بدراسته ،
وهكذا نجد أنه يقرر بانه ربما لم تكن هناك ضرورة كبرى الى تحليل
الوثائق الخاصة بالعصور الحديثه تحليلا تاماً وذلك لقرب لغتها من لغة

المؤرخ ويكتفون بذلك فاين هذه من المناوله فضلا عن السماع عند البخارى والمحدثين .

ويقول سينيوبوس أنه من المحتمل أن تستخدم التورية والدعابة أو الفكاهة أو التعمية ولاشك في أن هذه الأمور الأخيرة تختلف باختلاف العصور والحوادث التى يلحح اليها أو يتندر بها وتستخدم القاعدة الآتية فى التفرقة بين المعنى الظاهر والمعنى الحقيقى حينما يكون المعنى الحرفى غامضا أو غير مفهوم أو غير متجانس أو يتعارض مع آراء الكاتب أو الحوادث المعروفة لديه فانه يجب علينا أن نستنتج من ذلك انه يستخدم التورية ويمكن تحديد المعنى الحقيقى بالمقارنة بين الفقرات التى تحتوى على التعبير الذى يظن أنه ذو دلالة خفية ومع ذلك فليست نتائج المقارنة يقينية بحال ما .

وهكذا لا يسرعون الى رفض النصوص بمجرد غموضها بل يلتمسون التورية والمجازات .

ب - التحليل الداخلى السلبى :

ويتمثل فى دراسة الظروف التى وجد فيها كاتب الوثيقة أو شهادة الآخرين الذين رأوا الظواهر أو الحوادث التاريخية كما تتمثل فى دراسة الأسباب الخارجية والبواعث النفسية الداخلية التى ربما دعت الى الكذب أو أدت به الى الخطأ والقاعدة العامة تنص على وجوب الشك فى كل راو حتى تتوفر بعض الأسباب القوية التى تدعو الى الثقة به ويحتاج تحليل الأصول التاريخية على هذا النحو الى مجهود كبير قد يصرف كثيرا من الباحثين عن اعطاء هذه المرحلة الأساسية حقها من العناية لكن العادة والدربة يخففان من مشقة هذا العمل ويكسبان المؤرخ نوعا من الحدس الذى يعينه على اصابة مواطن الريبة دون عناء كبير وقد حدد سينيوبوس القواعد العامة التى يجب اتباعها فى هذه الحالة ووضعها على هيئة مجموعتين من الأسئلة تسمى احدهما الدوافع التى تدعو الى الكذب وتسمى الأخرى البواعث التى ينشأ عنها الخطأ وتتكون المجموعة الأولى

من الاسئلة الآتية مع بعض الاقتصار على العناصر الهامة وسنجد أن أصول هذه المبادئ انما هى كما قرر الدكتور قاسم مأخوذة من رواة المحدثين «وشيوخهم البخارى» مع قصور بالغ يجبرهم الواقع على عدم تحقيقه لاطالة الزمن من ناحية وعدم حراسة المعلومات منذ نشأتها من ناحية أخرى وعدم قداستها والتزامها المنهج فى الزمن الماضى كما قرر الأوروبيون بأن سير التاريخ على غير منهج وكل ذلك بخلاف منهج المحدثين فى تراثهم النبوى وهذه هى أسئلة المجموعة الأولى :

١ - هل أراد صاحب الوثيقة تحقيق مصلحة خاصة وهل أراد أن يخدع القارىء وأن يحمله على القيام بفعل أو صرفه عنه ؟ وهل أورد أخبارا كاذبة لتحقيق هذا الغرض ؟.

٢ - هل كان الراوى ينتمى الى جماعة خاصة يميل الى نصرتها ويبرر سلوكها ويظهرها فى وضع مشرف ؟

٣ - هل وجد الراوى فى مركز أو ظروف أكرهته على الكذب ؟ وهذا مايحدث لكاتب الوثائق الرسمية عندما لايتفق الصدق مع السياسة العامة للدولة أو التقاليد أو الشغور العام وحينئذ يضطر الكاتب الى التمويه والى القول بان الظروف التى يؤرخ لها ظروف عادية .

٤ - هل جره الغرور بشخصه أو بجماعته الى الاختلاق والتحريف ؟

٥ - هل أراد الراوى التقرب الى الجمهور وتملقه واثارة عواطفه وهل شوه الحوادث حتى يكون على وفاق مع آراء معاصريه ونزعاتهم وأهوائهم ولو كان لا يشاركهم فى شىء من ذلك ؟ ولذا يجب الحذر من عبارات المجاملة والود والاخلاص اذ اننا نسارع عادة الى تصديق مثل هذه العبارات من معاصرينا .

٦ - هل حاول صاحب الوثيقة التأثير فى الجمهور بأسلوبه الأدبى وهل شوه الحقائق عندما ألبسها ثوبا أدبيا ؟ وهنا يجب تطبيق القاعدة التى تقول بوجوب الشك فى صدق الوثيقة كلما غلب عليها طابع الأدب أما المجموعة الثانية فتتكون من الأسئلة الآتية :

١ - هل كان الكاتب فى حالة عقلية تسمح له بملاحظة الحادثة ؟ وهل سلم من تأثير بعض العوامل الداخلية اللاشعورية التى تدعو الى الخطأ كالوهم أو الهذيان .

٢ - هل تحققت الشروط العلمية فى ملاحظته ؟ وهل كان فى مكان يستطيع أن يرى منه الحوادث ؟ وهل كان خلوا من الهوى وهل فهم ماسمع أو رأى وهل خلط بين حوادث مختلفة .

٣ - هل أصدر حكمه على حوادث صرفه الكسل أو الإهمال عن ملاحظتها وهل ذكر أمورا لم يراها .

٤ - هل كانت طبيعة الحادثة تسمح له بملاحظتها ذلك لأن بعض الحوادث يحاط بالكتمان كما أن بعضها الآخر لا يستطيع فرد واحد الاستقلال برؤيته كأحد المواقع أو كتطور عادة اجتماعية وفى هذه الحال لا يذكر الراوى ما يرى بل يستنبط ومع ذلك فليس من الممكن أن يتطرق الكذب أو الخطأ الى بعض الأخبار فمثلا لا يكذب الراوى اذا كان الخبر الذى ينقله لا يتفق مع مصلحته أو عاطفته الشخصية أو الدينية أو اذا كانت الظاهرة التى يذكرها معروفة لدى جميع معاصريه ويقل احتمال الكذب اذا استمرت هذه الظاهرة مدة طويلة من الزمن أو شغلت مساحة واسعة بحيث يراها عدد كبير من الناس وهذه هى حال العادات الاجتماعية .

وينتهى التحليل الداخلى بنوعيه الى تقرير بعض النتائج الجزئية المبشرة المنعزلة وانما كانت كذلك لأنها تتصل بأمور مختلفة تذكرها الوثائق دون ترتيب ومن وظيفة المؤرخ التركيب التاريخى ويتلخص فى ثلاث نقاط :

١ - تصنيف الظواهر وهو أن يجمع معلوماته وينظمها على أساس أزمانها وأماكنها ونسبتها الى جماعة أو الى أحد الأفراد وتلك هى أسهل طرق التصنيف وقد تبعها القدماء ومؤرخو عصر النهضة واما أن يصنفها على أساس طبيعتها الداخلية ويقسمها الى ظواهر لغوية وعلمية ودينية

الخ .. ويرجع الفضل فى ابتكار هذه الطريقة الى علماء الألمان واما أن يصنفها على أساس طبيعة الشروط الخاصة التى تتصل بمظاهر النشاط الانسانى كالعادات المادية كالمأكل والملبس والنظم الاجتماعية كالعائلة والطبقات .

٢ - الاجتهاد وقد اباحوا فى منهجهم الحديث أن المؤرخ له أن يستخدم الخيال لسد الفجوات فى التاريخ بشرط أن يكون مقيداً بنتائج التحليل والا لو كان الخيال مطلقاً لم يؤد الاستنباط فى هذه الحالة الى نتائج جديرة بالثقة .

٣ - التعليل اذا انتهى المؤرخ من سد الفجوات والتحقق من صدق فروضه ، وبتطبيقها على النتائج الجزئية التى هداها اليها التحليل وجب عليه أن يربط هذه النتائج جميعاً وذلك بأن يبين العلاقات التى توجد بينها وهذا هو معنى التعليل ثم المرحلة الأخيرة وهى مرحلة العرض ونظرة المحدثين الى التاريخ على أنه وصف للحضارة أى لمختلف مظاهر النشاط الانسانى غير اتجاههم فى طريقة عرضه فجعلوا يستخدمون أساليب واضحة بريئة من طابع الخطابة أو الانشاء أو الفلسفة ويرجع الفضل فى هذا الاتجاه الجديد الى المؤرخين الألمان الذين بدأوا محاولتهم على استحياء فى القرن التاسع عشر وبالجمله لم يعد العرض التاريخى يرمى الى امتاع القارئ أو اسداء النصيح اليه أو اثاره عواطفه بل الى مجرد المعرفة وليس معنى هذا أن يتحرر المؤرخ من كل قيد فمن الواجب أن يستخدم لغة واضحة دقيقة حتى يستطيع تحديد تلك الظواهر الانسانية المرنة ويمكن القول بأن المؤرخ لا يمكنه الا اذا أجاد اللغة والا اذا ابتعد عن استخدام تلك الألفاظ التى تدل على معانى مجردة أدعى الى الغموض واللبس منها الى الوضوح ، أ.هـ .

واذا نظرنا الى هذا المنهج خاصة بالنسبة الى الرواة وهو ماسموه بالتحليل الداخلى يجد الباحث أنه مأخوذ من البخارى والمحدثين بالنسبة لنفس الفكرة الأساسية ولكنه عند المقارنة يفوقه منهج المحدثين والبخارى عرضاً وموضوعاً .

أما عرضا فقد أوجزوه في كلمات مسيرة عامة شاملة فقد اشترطوا في الراوى أن يكون مسلما ثقة عدلا ضابطا غير متبع لبدعة يدعو إليها. وأما موضوعا فهذه الكلمات الموجزة تشتمل على ما قيل في الرواة وتفوق عنها باشتراط الاسلام الذى هو أصل في المقاييس ويضفى عليها الثقة بحق . هذا بالنسبة للرواة أما بالنسبة لطرق التلقى فأين ما شرطوه في الوثوق للوثائق على الاعتماد . الحفريات والأوراق المتناثرة هنا وهناك التى لا يعترف بها المحدثون ؟ وقد تكون منذ آلاف السنين أين هذا من صيغ الآداء كالسمع والعرض والمناولة ولو شرطوا ذلك لما وصلهم شئ عن تاريخهم القديم والأوسط وكذا أكثر العصر الحديث ولما ثبتت عندهم كتبهم التى عدوها أصولا ثابتة لاتقبل الشك من كتب كبار علمائهم ومؤلفيهم الواجب الاطلاع عليها كما تقدم .

ويلاحظ أن القارىء يهر حينما يقولون لابد من الشك حتى يتحقق الباحث من صدق جميع تفاصيل الوثيقة أو كذبها وهذا يحتاج الى تحليل الأصول التاريخية ثم بعد ذلك يكون الاستدراك الممتع الذى يخفف من شأن المسألة لقولهم لكن العادة والدربة تخففان من مشقة العمل ويكسبان المؤرخ نوعا من الحدس الذى يعينه على اصابة مواطن الريية دون عناء كبير .

وأين هذا المنهج من منهج البخارى فى الدقة حيث يقول « كتبت (١) عن ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندي حديث لا أذكر اسناده (٢) » .

وانظر الى منهج البخارى فى كتابه الحديث . أين هؤلاء منه . يقول لهم تكن كتابتى للحديث كما كتب هؤلاء كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه وحمل الحديث ان كان الرجل فهما فان لم يكن سألته أن يخرج الى أصله ونسخته أما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون وكيف يكتبون وبما تقدم فى منهجه .

١ - تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩ .

٢ - مقدمة شرح البخارى للنووى ج ١ ص ٨ .

ومن من العلماء لا يظن فى نفسه المهارة حتى يحكم حدسه كما يقول الأوريون لكن البخارى والمحدثين لا يرتضون هذا المنهج مطلقاً أساساً لبحثهم العلمى .

وهل سمعت بالمرحلة الثانية من مرحلة التركيب التاريخى وهى اباحة أن المؤرخ يستخدم الخيال لسد فجوات التاريخ بشرط أن يكون مقيداً بنتائج التحليل .

هل يرضى ذلك منهج البخارى والمحدثين ؟ . كلا والله .

ثم هناك فرق جوهرى هام بين منهج الأوريين ومنهج البخارى والمحدثين فهؤلاء أصحاب المنهج الأوربى الحديث عليهم أن يطبقوا هذا المنهج بينهم وبين أنفسهم ويخرجوا به معلوماتهم التاريخية وما عليك إلا أن تخبر بأنهم اتبعوا المنهج فتصدق ولا عليه من حرج إذا لم يوفقك على خطوات بحثه .

أما البخارى والمحدثون فهم يتبعون منهجهم الدقيق فى وصف الرواة وطرق الأداء وصلة الاسناد وفق الشروط التى شرطوها مما يتعذر استلزامه ووجوده عند الغربيين .

فالمحدثون يعرضون عليك المتن برواته حتى تستوثق به أو تبحث عنه فتراه موصولاً فى مكان آخر وعند ثقات آخرين هذا فضلاً عن قرب زمن التدوين فى عصر النبى وبعده الى عصر البخارى ومن بعده وأهمية الحديث وقداسته وحراسته، ومعرفتهم أهميته فى الدين والدنيا ومقاييسهم الفريدة وقد كان المستشرق المحقق مرجليوس (١) محقاً حينما قال : ليفتخر المسلمون ما شاءوا بعلم حديثهم .

١ - مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل لشيوخ الاسلام أبى محمد عبد الرحمن ابن أبى حاتم الرازى ط دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن بالهند .



الباب الثامن

مؤلفات البخاری

مؤلفات الامام البخارى

وللامام البخارى . غير الجامع الصحيح مؤلفات فى تاريخ الرجال وأحوالهم ومؤلفاته هى خير دليل على سعة آفقه وأماتته ومقدرته فى معرفة أحوال الرواة وتقديمه على غيره فى هذا الشأن .

وخير شاهد يؤكد الثقة بصحة جامعهم الصحيح والثقة فى كل مروياته .

التاريخ الكبير

وهو بحق على حد تعبير طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٦١ هـ «تأليف الحافظ الناقد شيخ الاسلام جيل الحفظ وإمام الدنيا أبى عبد الله البخارى» .



رواية أبى الحسن محمد بن سهل بن كردى البصرى الفسوى عنه .
ورواية أبى أحمد عبد الوهاب بن محمد بن موسى الغندجاني عنه .
ورواية الشيخ الجليل أبى الحسين عبد الحق بن عبد القلق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف عنه .

وقد حاول (١) فيه استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم الى طبقة شيوخه والكتاب ثمانية أجزاء فى أربعة مجلدات ضخمة - رتبه على

١ - انظر التاريخ الكبير فى دار الكتب المصرية تحت رقم ح ١٠٣٤٠ انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٦ وتدوين السنة ص ٢٦٥ .

حروف المعجم وبدأه بالمحمدين تكريما لاسم الرسول صلى الله عليه وسلم ووفق الى حسن المطلع فباركه باسم الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبه وقد جعل لكل اسم بابا ورتب الأسماء فى الباب الواحد على حروف المعجم وراعى هذا فى الحرف الأول من أسماء الآباء أيضا ولم يراع ترتيب أبواب الأسماء حسب حروف المعجم فذكر باب ابراهيم ثم باب اسماعيل ثم باب اسحاق ثم باب أيوب ثم باب اشعث ثم هكذا .

ويذكر اسم المترجم له وبعض من روى عنهم وبعض من روى عنه وقد يذكر حديثا له وقلمنا يذكر جرحا وتعديلا (١) ويبين الصحابي بالتنبيه عليه .

والتاريخ الكبير يعطى صورة واضحة عن سعة علم البخارى ومعرفته بالرواق ويضفى الثقة الكاملة على كتابه الجامع الصحيح حيث أن أى ناقد لم يبلغ مبلغه فى معرفة القوم فكأنه شهد القوم على حد تعبير استاذاه اسحاق بن راهويه .

ويعجب الباحث من قوة هذه الموهبة التى حباها الله للبخارى والروحانية المباركة التى أمدّه الله بها، حتى يعلم أن الله أفاضها عليه عند قبر صاحب الرسالة الروحانية النبى صلى الله عليه وسلم حيث ألفه حول المقام .

وقد ألف البخارى التاريخ الكبير فى مقتبل حياته قبل الجامع الصحيح .

يقول البخارى : فلما طعنت فى ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنف التاريخ الكبير فى المدينة عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى الليالى المقمرة وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة الا أنى كرهت أن يطول .

١ - ولعله استغنى عن ذلك بكتابه «الضعفاء والمنروكين» .

وقد قوبل التاريخ الكبير في عصر البخارى من شيوخه ومن طبقتهم بالتقدير والاعجاب حتى أن شيخه الامام اسحاق بن راهويه لم يتمالك أن قام فدخل به على الأمير عبد الله بن طاهر فقال أيها الأمير ألا أريك سحرا (١) ؟.

وقال الاستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف وكتب التواريخ والرجال جمعت بين الثقات والضعفاء وهى كثيرة وفيها أحوال كثير من الوضاعين ومنها كتاب التاريخ الكبير للبخارى وقد ذكر به أسماء رواة الحديث من عصر الصحابة الى زمنه وفيه نحو من أربعين ألفا مابين ثقة وضعيف ورجل وامرأة أ.هـ .

وقال التاج السبكي : انه لم يسبق اليه وكل من ألف بعده في التاريخ والاسماء والكنى فعيال عليه وقد جمع الحاكم من ظهر جرحه ممن ذكرهم فكانوا نحو من ١٢٦ رجلا .

ويصور لنا أبو أحمد الحاكم الكبير مدى أثر التاريخ فيما ألف من كتب ضخمة ذخرت بها المكتبات الاسلامية مثل كتب أبى زرعة وابن أبى حاتم ومسلم بن الحجاج والفسانى وغيرهم وقد حمل البخارى لواء نهضة تاريخ الرواة كما حمل لواء نهضة تدوين الحديث فأصبح بحق العصر الثالث العصر الذهبى والبخارى باعث نهضته فى تاريخ الرجال وتدوين الحديث .

يقول الحاكم : وكتاب محمد بن اسماعيل فى التاريخ كتاب لم يسبق اليه ومن ألف بعده شيئا فى التاريخ أو الأسماء أو الكنى لم يسغن عنه فمنه من نسبه الى نفسه مثل أبى زرعة وأبى حاتم ومسلم ومنهم من حكاه عنه فالله يرحمه فانه الذى أصل الأصول .

وفى تذكرة الحفاظ على مافى مقدمة المعلى لتقدمة الجرح والتعديل عن أبى أحمد الحاكم الكبير أنه ورد الرى فسمعهم يقرأون على بن أبى حاتم كتاب الجرح والتعديل قال :

١ - سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٨ مخطوط بدار الكتب المصرية .

« فقلت لابن عبدويه الوراق هذه ضحكة أراكم تقرأون كتاب التاريخ للبخارى على شيخكم وقد نسبتموه الى أبى زرعة وأبى حاتم فقال ياأبا أحمد ان أبا زرعة وأبا حاتم لما حمل اليهما تاريخ البخارى قالوا هذا علم لا يستغنى عنه ولا يحسن بنا أن نذكره عن غيرنا فاقعدا . وعبد الرحمن يسألهما عن رجل بعد رجل وزادا فيه ونقصا » .

وعلق المعلمى بقوله لاريب ان ابن أبى حاتم هذا فى الغالب حذا حذو البخارى فى الترتيب وسياق كثير من التراجم وغير ذلك لكن هذا لايفض من تلك المزية العظمى وهى التصريح بنصوص الجرح والتعديل ومعها زيادة تراجم كثيرة .

وحاول أن يبرز قيمة كتاب الجرح والتعديل وشخصية صاحبه فيه بأنه تكميل وبه زيادات ونقص وهو كتاب رائع وعظيم لاشك فى ذلك . ولست أنقص من قيمة كتاب الجرح والتعديل بل كلما زادت قيمة كتاب الجرح والتعديل ازدادت النظرة التقديرية الى أصله كتاب التاريخ الكبير للبخارى .

وقد بين الاستاذ المعلمى فى تحليل رائع ما يؤيد ذلك وبين عذرا بن أبى حاتم فى عدم ذكر آراء البخارى .

كما بين أن علم والده انما يرجع الى علم التاريخ الكبير قال: «حرص ابن أبى حاتم بارشاد ذينك الامامين (أبى زرعة ووالده محمد بن ادريس) على استيعاب نصوص أئمة الفن فى الحكم على الرواة بتعديل أو جرح وقد جعل فى يده ابتداء نصوص ثلاثة من الأئمة وهم أبوه وأبو زرعة والبخارى أما أبوه وأبو زرعة فكان يسألهما فى أغلب التراجم التى اثبتها فى كتابه ويكتب جوابهما واما نصوص البخارى فانه استغنى عنها بموافقة ابيه للبخارى فى غالب تلك الاحكام .

» ومعنى ذلك ان أبا حاتم كان يقف على ما حكم به البخارى فيراه صوابا فى الغالب فيوافقه عليه فينقل عبد الرحمن كلام أبيه » .

ثم بين الأستاذ المعلمى أيضا السبب المباشر فى عدم ذكر البخارى ونسبة أحكامه اليه «ويمكن ان تعتبره سببا شخصيا أو سياسيا» فقال

(وكان محمد ابن يحيى الذهلى قد كتب اليهم فيما جرى للبخارى فى مسألة القرآن على حسب ما يقوله الناس على البخارى كما ذكره ابن أبى حاتم فى ترجمة البخارى فى كتابه فكأنه هذا هو المانع لابن أبى حاتم من نسبة أحكام البخارى اليه .

فعلى كل حال فالمقصود حاصل رحم الله مؤصل الأصول الامام البخارى ورحم الله من اقتفى أثره فقدم للإسلام خيرا .

والتاريخ الكبير طبع بمطبعة حيدر آباد الدكن بالهند طبعته جمعية دائرة المعارف العثمانية سنة ١٣٦١ هـ - ١٣٦٢ هـ فى أربعة مجلدات ضخمة جيدة على ورق جيد .

كتاب التاريخ الصغير

وهو كما عرفه الامام البخارى رضى الله عنه .

كتاب مختصر من تاريخ النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار وطبقات التابعين لهم باحسان ومن بعدهم ووفاتهم وبعض نسبهم وكناهم ومن رغب فى حديثه .

وابتداء الجزء الأول بالتحدث عن أخبار مهاجرى الحبشة وآخره التحدث على من مات فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ممن حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن مات فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ومن بعده من الخلفاء وتلاه الجزء الثانى وبه ذكر من مات فى خلافة عثمان وهكذا الى آخر الجزء السادس وبه ذكر من مات فى سنة ست وخمسين ومائتين .

وهو رواية أبى ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الهروى والحافظ قال أخبرنا أبو على زاهر بن احمد الفقيه السرخسى بها قراءة

١ - والتاريخ الصغير طبع فى الهند بالخط الحجرى سنة ١٢٢٥ هـ الطبعة الاولى اعنى بطبعه وتصحيحه العبد المسكين محمد محبى الدين الجعفرى الربنبى وقدم له الاستاذ محمد حامد على والكتاب بمكتبة الازهر رقم ٣٥٠ تاريخ .

عليه سنة ٣٨٩ تسع وثمانين وثلاثمائة قال أخبرنا أبو محمد بن محمد
النيسابورى قال حدثنا محمد بن اسماعيل البخارى .

كتاب الضعفاء الصغير (١)

ابتدأه مرتبا على حسب الحروف الهجائية مبتدئا بحرف الألف .
قال ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع بن جارية الانصارى يروى عنه
وهو كثير الوهم يروى عن الزهرى وعمر بن دينار يكتب حديثه .
ابراهيم بن اسماعيل بن أبى حبيب المدنى الانصارى الأشهل عن
داود بن الحصين - منكر الحديث .

وبعد أن انتهى من باب ابراهيم جاء بباب من اسمه
اسماعيل ثم من اسمه اسحاق ثم أيوب ثم باب الباء
وهكذا الى باب الياء وجاء فى آخره بالكنى من الضعفاء .

قال أبو بكر بن عبد الله بن أبى سيرة المدنى - ضعيف - أبو
الرجال سمع النضر بن النضر بن أنس عن أبيه عن النبى صلى الله عليه
وسلم منكر الحديث عنده عجائب ، أبو ماجد الحنفى عن بن مسعود
ويقال العجلي قال الحميدى عن ابن عيينه عن يحيى - (هو منكر
الحديث) .

كتاب الكنى (٢)

وقد ذكر البخارى فيه كنى من غلبت كنيته على اسمه ومن لم يعرف
الا كنيته وابتدأ بحسب ترتيب الحروف الهجائية بعد لفظ أب أو أم
ذكر فيه أولا : باب أبو أميمة بن الأخنس قال قبيصة عن أبى سلمه بن
شقيق المخزومى عن أبى أميمة بن الأخنس عن عمر فى الموضحه قال أنا
لا تتعاقل المضغ بيننا .

١ - وكتاب الضعفاء طبع فى الهند تصحيح محمد حامد على ومحمد مجبى الدين الجعفرى
وهو فى مجلد واحد مع كتاب التاريخ الصغير ومع كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى
فى مكتبته الازهر تحت رقم ٣٥٠ تاريخ .

٢ - فى المكتبة الازهرية تحت رقم ٣٥١٨ تاريخ - طبع دائرة المعارف العثمانية الاصفية،
حيدرآباد الدكن بالهند سنة ١٣٦٠ هـ .

ثانيا : أبو أميمة المخزومي ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بلص فاعترف فلم يوجد معه متاع فقال : ما أخالك سرت ؟. قال بلى قال ما أخالك سرت ؟ مرتين أو ثلاثة قال بلى قال اقطعوه ثم جىء به فقال استغفر الله وتب اليه فقال استغفر الله وأتوب اليه قال اللهم تب عليه قاله موسى بن اسماعيل عن حماد بن سلمه عن اسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة عن أبي المنذر مولى أبي ذر ، وقال حيان أنبأنا همام سمع أسحاق عن أبي المنذر البراد عن أبي أميمة رجل من الانصار عن النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه .

وبعد أن انتهى من الألف جاء بالباء والتاء الى آخره . ويذكر أحيانا الاسم مثال ذلك ترجمة رقم ٩٦٦ أبو ريحانه اسمه عبد الله وذكر فيه في الرجال ٩٩٣ رجلا .

وفي آخره الكنى من النساء واسم أم هانئ بنت أبي طالب هند وقال بعضهم اسمها فاخته واسم أم سلمة هند بنت أبي أميمة - وأبو أمية اسمه سهل واسم أم حبيبه رمله وفي آخره هذا آخر كتاب التاريخ الكبير على حروف المعجم وفي آخره الكنى وذكر من غلبت كنيته على اسمه ، وعلى ذلك فهو جزء من التاريخ الكبير .

تصنيف أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله

وبآخر الكتاب بحث عن كتاب الكنى للأمام البخارى بقلم الأستاذ الناقد فى الرجال الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليمانى المعلمى .

ومن خلاله يتبين اعتماد الأئمة كالأمام مسلم بن الحجاج وابن أبى حاتم والحاكم وابن عبد البر فى تاريخ الرجال على الامام البخارى كما يتبين منه صلة كتاب الكنى بالتاريخ الكبير وعناية العلماء بمؤلفات البخارى .

قال الشيخ عبد الرحمن المعلمى أما بعد فان جمعيتنا العلمية دائرة لمعارف العشانية لما اعتزمت طبع كتاب التاريخ الكبير للامام أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى رحمه الله تعالى ظفرت بالجزء الرابع منه فى الخزانة الآصفية بجيدر أباد الدكن فسارعت الى استنساخه

ثم بعد البحث والتنقيب علم بأن في بعض مكاتب استامبول نسخة من الكتاب . وفي المكتبة المصرية نسخه أخرى فاستحصلت الجمعية على صورة مأخوذة منها وعند المقابلة تبين أن المصرية منقولة عن الاستامبولية ووجد في آخر المجلد الرابع من النسخة الآصفية زيادة مشتملة على الكنى لا توجد في الاستامبولية مع أن في آخر الاستامبولية ما لفظه «كمل جميع كتاب التاريخ الكبير» .

وذلك صريح في أن أبواب الكنى المتصلة بآخر النسخة الآصفية كتاب مستقل عن التاريخ .

ولكن الذى تبين بأمعان النظر أن هذا الجزء المشتمل على الكنى تأليف البخارى قطعا وانه إن لم يكن قطعة من التاريخ فهو تنمة له .

فأن ابن أبى حاتم مع اقتفائه في ترتيب كتابه أثر البخارى في التاريخ غالبا قال في أواخره (باب ذكر من روى عنه العلم ممن عرف بالكنى ولا يسمى) ثم أقتفى في الترتيب أثر البخارى في هذا الجزء غالبا وربما سماه (أى البخارى) كقوله أبو المعلى بن رؤبه كما قاله البخارى في كتابه .

وبالمراجعة وجد ذلك في الكنى رقم ٦٨٥ كما ذكره البخارى ووجدنا ابن عبد البر في الكنى من الاستيعاب ربما نقل عن هذا الجزء فيما يظهر كقوله في الترجمة (أبو خالد ذكره البخارى قال وقال وكيع عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبى خالد وكانت له صحبة قال وفدنا الى عمر رضى الله عنه ففضل أهل الشام) .

وتجد هذه العبارة بتغيير يسير في الترجمة رقم ٢٢٣ من هذا الجزء ١ هـ وقد رجعت إليها كما أرشد الشيخ عبد الرحمن فوجدتها عند البخارى على الوجه الآتى ٢٢٣ . أبو خالد له صحبة وسمع عمر روى عنه مالك بن الحارث قال عبد الله بن محمد العيسى حدثنا وكيع عن الأعمش عن مالك بن الحارث عن أبى خالد وكانت له صحبة قال وفدت الى عمر ففضل أهل الشام علينا في الجائزة ١ هـ وهكذا كل ما أشار اليه الشيخ عبد الرحمن راجعته فوجدته مطابقا .

قال الشيخ وقد نقل ابن حجر في كتبه كثيرا عنها تارة يسميها الكنى المفردة وتارة يسميها الكنى المجردة .. وربما اقتصر على قوله كتاب الكنى أو الكنى أو ذكره البخارى فقط ويظهر من مواضع في كلامه أنه وقف على هذا الكلام وفي مواضع انه ينقل عنه بواسطة كتاب الكنى للحاكم أبى احمد كأنه كان في نسخته نقص .

وقد عد في مقدمة الفتح تصانيف البخارى الى أن قال « وكتاب الكنى ذكره الحاكم أبو أحمد ونقل منه » (١) .

قال (٢) أبو أحمد الحاكم في الكنى قال مسلم أبو بشر - يعنى بالمعجمه - قال وقد بينا أن ذلك خطأ أخطأ فيه مسلم وغيره وخليق أن يكون محمد يعنى البخارى قد اشتبه عليه مع جلالاته فما نقله مسلم من كتابه تابعه عليه ومن تأمل كتاب مسلم في الكنى علم أنه منقول من كتاب محمد جزو القذة وتجلد في نقله حق الجلاسه اذ لم ينسبه الى قائله والله يغفر لنا وله .

قال الشيخ عبد الرحمن أقول قول الحاكم أبى أحمد (ومن تأمل كتاب مسلم في الكنى علم أنه منقول من كتاب محمد) يعنى البخارى اراد بكتاب البخارى التاريخ مع هذا الجزء - نقل مسلم كنى من عرفت أسماءهم من التاريخ وكنى من لم تعرف أسماءهم من هذا الجزء وقد علمت تسمية الحافظ ابن حجر لهذا الجزء (الكنى المفردة) أو (الكنى المجردة) والاسم الأول يقتضى انها ليست من التاريخ لأن معناه الكنى المفردة عن التاريخ كما سموا الأدب للمؤلف (الأدب المفرد يريدون المفرد عن الجامع الصحيح والاسم الثانى محتمل والظاهر أن معناه الكنى المجردة عن الأسماء أى أنها فيمن لم تعرف الا كنيته مجردة عن الاسم وذلك بالنظر الى الغالب .

وبالجملة فعبارة الحاكم أبى أحمد (علم انه منقول من كتاب محمد الخ) وأراد ما يشمل اصل التاريخ وهذا الجزء مع ما يدل عليه صنيع

١ - مقدمة فتح البارى .

٢ - تهذيب التهذيب ص ٣٥٨ .

ابن أبي حاتم كما تقدم ظاهر في أن هذا الجزء ان لم يكن من التاريخ فهو
تتمة له والله أعلم .

كتاب الأدب المفرد (١)

ذكر فيه البخارى جملة من الأحاديث النبوية الداعية الى مكارم
الاخلاق وحسن المعاملة وابتدأه بعد البسملة بباب قوله تعالى (ووصينا
الانسان بوالديه حسنا) .

أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسن بن حامد بن هارون
ابن عبد الجبار البخارى المعروف بابن النيازكى قرأه عليه فأقر به قدم
علينا حاجا في صفر سنة سبعين وثلاثة مائة قال أخبرنا أبو الخير أحمد بن
محمد بن الخليل بن خالد بن حريث البخارى الكرماني العبقسى البزار سنة
اثنين وعشرين وثلاثمائة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم
ابن المغيرة بن الاحنف الجعفى البخارى قال حدثنا أبو الوليد قال حدثنا
شعبة قال الوليد بن العيز أو أخبرنى قال سمعت أبا عمرو الشيبانى
يقول حدثنا صاحب هذه الدار وأومأ بيده الى دار عبد الله قال سألت
النبي صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب الى الله عز وجل قال الصلاة
على وقتها قلت ثم أى قال بر الوالدین قلت ثم أى قال ثم الجهاد فى
سبيل الله قال حدثنى بهن ولو استزدته لزادنى .

حدثنا آدم قال حدثنا شعبه قال حدثنا يعلى بن عطاء عن أبيه عبد الله
ابن عمر قال رضا الرب فى رضا الوالد وسخطه فى سخط الوالد (باب
بر الأم) حدثنا أبو عاصم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قلت
يا رسول الله من أبر ؟ قال أمك قلت ثم من أبر ؟ قال أمك قلت من أبر ؟
قال أمك قلت من أبر قال أباك ثم الأقرب فالأقرب .

حدثنا سعيد بن أبى مریم قال أخبرنا محمد بن جعفر بن أبى كثير
قال أخبرنى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أنه أتاه رجل

١ - أنظر كتاب الادب المفرد طبع فى المطبعة النازية لصاحبها عبد الواحد محمد النازى
المطبعة الاولى ٣ صفر سنة ٢٤٩ هـ . والادب المفرد شرحه محب الدين الخطيب
طبع المكتبة السلفية .

فقال انى خطبت امرأة فأبت ان تنحكى وخطبها غيرى فأجبت أن تنكحه
فغرت عليها فقتلتها فهل لى من توبة . قال أمك حية قال لا قال تب الى
الله عز وجل وتقرب اليه ما استطعت فذهبت فسألت ابن عباس لم سألته
عن حياة أمه فقال انى لا أعلم عملاً أقرب الى الله عز وجل من بر الوالدة
(باب بر الأب) حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا وهيب بن خالد بن
شريحة قال سمعت أبا زرعة عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله من أبر
قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أباك .
قال حدثنا بشر بن محمد قال أخبرنا يحيى بن أيوب قال حدثنا أبو زرعة
عن أبي هريرة أتى رجل نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تأمرنى
قال بر أمك ثم عاد فقال بر أمك ثم عاد فقال بر أمك ثم عاد الرابعة فقال
بر أمك ثم عاد الخامسة فقال بر أباك .

(باب بر والديه وان ظلما) حدثنا حماد وهو ابن سلمه عن سليمان
التيمنى عن سعيد القيسى عن ابن عباس قال ما من مسلم له والدان مسلمان
يصبح اليهما محتسبا الا فتح باين يعنى من الجنة وان كان واحدا فواحدا
وان أغضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه قيل وان ظلماه
قال وان ظلماه .

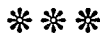
(باب لين الكلام لوالديه) ثم باب جزاء الوالدين وباب عقوق
الوالدين وباب لعن الله من لعن والديه وباب بر والديه ما لم يكن
معصية وهكذا وآخر الكتاب باب أحب حبيبك هونا ما .

حدثنا عبد الله قال حدثنا مروان بن معاوية قال حدثنا محمد بن
عبيد الكندى عن أبيه قال سمعت عليا يقول لا بن الكراء هل تدري
قول النبى صلى الله عليه وسلم أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون
بغضك يوما ما وأبغض بغضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما
(باب لا يكن بغضك تلقا) حدثنا سعيد بن أبى مريم قال أخبرنا محمد
ابن جعفر قال حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه عمر بن الخطاب قال لا يكن
حبك كلفا ولا بغضك تلقا فقلت كيف ذلك قال اذا أحببت كلفت كلف
الصبى واذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف .

ويروى الأدب المفرد عن البخارى أبو الخير أحمد بن الجليل البخارى الكرماني البزار وقد طبعة طبعة حجرية ببلد آره بالهند سنة ١٣٠٩ هـ ثم طبع بالآستانه بهامشه سند أبى حنيفة سنة ١٣٠٩ هـ وبالقاهرة فى مطبعة التنازى سنة ١٣٤٩ هـ وهى النسخة الموجودة معى ثم بالسلفية سنة ١٣٧٥ هـ مع تقديم الاستاذ محب الدين الخطيب وتعليق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي .

وهو يقع فى طبعة التنازى فى مائة واحدى وتسعين صفحة قال فيه الحافظ ابن حجر فى فتح البارى وكتاب الأدب المفرد يشتمل على أحاديث زائدة على ما فى الصحيح وفيه قليل من الآثار الموقوفة وهو كثير الفائدة ..

والأدب استعمال ما يحمد قولاً وفعلاً وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق وقيل الوقوف مع المستحسنات وقيل تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك . ويقال أنه مأخوذ من المأدبة وهى الدعوة الى الطعام سمي بذلك لأنه يدعى اليه أ . هـ .



وقد قال محقق كتاب الأدب طبعة التنازى الأستاذ محمد عياد الخسى أحمد المولى الصمد وأصلى على سيدنا محمد وبعد: قد وفقنى الله لتصحيح الكتاب الأوحى المسمى الأدب المفرد فإذا به كتاب وإيم الله لو اقتصر المرء على بعض ما فيه من الاخلاق لكفاه عن سائر ما صنف فى بابيه على الاطلاق كيف لا ونا سجه من لا نظير له ولا اخال أن الزمان يسمح بمثله فى هذه السويغات القادمة ، أمام السنة ومنقذ الأمة حامل لواء السمحة الغراء ومقوم تاريخ الشريعة البيضاء أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن بردزبه البخارى الجعفى رحمه الله (وأنى لمثل أن يعرف بمثله ماذا تصنع الصعاليك عند الملوك) فلو لم تسطر يده غير هذا

الأدب المفرد الذى طابق اسمه مسماه بل وأزيد لكان كافيا لكل باحث
عن دينه الصحيح المنقب عما يوصله للسعادتين راحتته فى ذى الدار من
عدم الاشتغال بأحوال العباد واقتصاره على ما ينجو به يوم الميعاد
فهو بغية ما يقتضى وخلاصة ما يقتضى فعليك به ايها المؤمن تنجح والزم
مطالعة والعمل به تربح فليس الخبر كالبيان وعلى الله التكلان أ . هـ .

من مؤلفات البخارى

رفع اليدين فى الصلاة

طبع الهند موجود بدار الكتب المصرية رقم ٢٣٣٢٧ ب

خير الكلام فى القراءة خلف الامام

طبع الهند ثم الخيرية فى القاهرة

التاريخ الأوسط كما ذكره كشف الظنون

كتاب الاشربة ذكره الدارقطنى على ما فى الكشف

أسامى الصحابه كما فى الكشف

بر الوالدين كما ذكره ابن حجر

التفسير الكبير للقرآن : موجود بمكتبه الجزائر كما فى دائرة المعارف
الاسلامية وفى مكتبة باريس كما ذكره المستشرق بروكلمان على ما فى
أدب اللغة -

الجامع الكبير كما فى الكشف

خلق افعال العباد كما فى الكشف وقد طبع مع كتاب العلو للذهبي

كتاب العلل فى الحديث ذكره الكتانى فى المستطرفة

قضايا الصحابة والتابعين كما فى تاريخ بغداد

كتاب المسند الكبير كما فى مقدمة الفتح

كتاب الوجدان وهو من ليس له الا حديث واحد كما فى الفتح

كتاب المبسوط كما في المقدمة

كتاب الهبة كما في المقدمة

مشيخته ذكر فيه الشيوخ الذين أخذ عنهم كما ذكره ابن السبكي في الطبقات

وذكر ابن النديم في الفهرست كتاب سنن الفقهاء للبخاري ولم اره لغيره في المراجع الأخرى .

وفاة البخارى

وفى السنة الثانية والستين من حياة هذا الامام العظيم خرج الى خرتنك - قرية من قرى سمرقند - فنزل ضيفا على غالب بن جبريل وهو من ذوى قرباه قال غالب فسمعتة ليلة وقد فرغ من صلاة الليل يقول فى دعائه « اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضنى اليك » . واقام فى خرتنك أياما فمرض . حتى وجه اليه رسول من أهل سمرقند يلتمسون منه الخروج اليهم فأجاب وتهياً للركوب ولبس خفيه وتعمم فلما مشى عشرين خطوه أو نحوها الى الدابة ليركبها وأنا آخذ بعضده قال : « أرسلونى فقد ضعفت » فأرسلناه فدعا بدعوات ثم اضطجع ففضى وكان ذلك ليلة السبت ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ بعد أن ملأ الدنيا نورا بأحاديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم وترك الأثر الخالد الذى ينير الطريق أمام البشرية ويهديها الصراط المستقيم . رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن المسلمين وعن الانسانية بقدر ما قدم من خير .

مراجع الكتاب المطبوعة

اسم الكتاب :

- ١ - الجامع الصحيح للبخارى .
- ٢ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى .
- ٣ - عمدة القارى شرح صحيح البخارى للبدر العينى .
- ٤ - ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى للقسطلانى .
- ٥ - الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى للكرمانى .
- ٦ - شرح البخارى للامام النووى ومعه عون البارى لصديق بن حسن القنوجى .
- ٧ - فيض البازى على صحيح البخارى للمحدث الشيخ محمد انور الكشميرى ثم الديوبندى ومعه حاشية البدر السارى الى فيض البارى الأستاذ محمد بدر عالم الميرتهى من أساتذة الحديث بالجمعية الاسلامية بداهيل .
- ٨ - الأدب المفرد للبخارى .
- ٩ - التاريخ الكبير للبخارى .
- ١٠ - التاريخ الصغير للبخارى .
- ١١ - كتاب الضعفاء للبخارى .
- ١٢ - كتاب الكنى للبخارى .
- ١٣ - مقدمة تنزيه الشريعة عن الأخبار الموضوعة لأبى الحسن على بن محمد الكتانى - تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف .
- ١٤ - هدى السارى مقدمة فتح البارى لابن حجر .
- ١٥ - مقدمة المعرفة لشيخ الاسلام أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم مع تقديم الأستاذ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى .
- ١٦ - مفتاح صحيح البخارى للتوقادى .
- ١٧ - رفع الالتباس عن بعض الناس .
- ١٨ - الطبقات الكبرى لابن سعد .
- ١٩ - اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير .

- ٢٠ - أصول الفقه - طه عبد الباقي الدسوقي .
- ٢١ - العقيدة والشريعة للمستشرق جلد تسيهر - ترجمة الدكتور محمد يوسف وزملائه .
- ٢٢ - السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للدكتور مصطفى السباعى .
- ٢٣ - الحديث والمحدثون للأستاذ محمد أبو زهو .
- ٢٤ - صحيح مسلم بشرح النووى .
- ٢٥ - تدريب الراوى على تقريب النووى للسيوطى - تقديم وتعليق الدكتور الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف .
- ٢٦ - منهج ذوى النظر لمحمد محفوظ الترمسى ومعه شرح منظومة علم الأثر للسيوطى .
- ٢٧ - علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح ومعه التقييد والايضاح للعراقى .
- ٢٨ - الام للإمام الشافعى .
- ٢٩ - الرسالة للإمام الشافعى .
- ٣٠ - تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .
- ٣١ - قواعد التحديث للقاسمى .
- ٣٢ - مقدمة ابن خلدون .
- ٣٣ - تهذيب التهذيب لابن حجر .
- ٣٤ - جامع بيان العلم لابن عبد البر .
- ٣٥ - تهذيب الأسماء واللغات للنووى .
- ٣٦ - شرح تراجم أبواب صحيح البخارى لمولانا شاه ولى الله الدهلوى .
- ٣٧ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادى .
- ٣٨ - طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب ابن تقى الدين السبكى .
- ٣٩ - تذكرة الحفاظ للذهبى .
- ٤٠ - تحفة البارى بشرح صحيح البخارى لشيخ الاسلام زكريا الأنصارى السنيكى الشرقاوى .
- ٤١ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى .
- ٤٢ - هدية المغيث فى أمراء المؤمنين فى الحديث للشنقيطى .
- ٤٣ - رفع اليدين فى الصلاة للبخارى .
- ٤٤ - تاريخ حياة البخارى للقاسمى .

- ٤٥ - حاشية التاودى .
- ٤٦ - روح التوشيح على البخارى لعلى بن سليمان الدلنتى الجامعوى .
- ٤٧ - تأويل مختلف الحديث للسرمد على أعداء أهل الحديث لابن قتيبة .
- ٤٨ - دائرة المعارف الحديثية .
- ٤٩ - دائرة المعارف البستانية .
- ٥٠ - نهاية الارب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى .
- ٥١ - مسند الامام أحمد وبهامشه كنز العمال لعلاء الدين على بن الحسام .
- ٥٢ - موطأ الامام مالك - شرح الزرقانى - تقديم محب الدين الخطيب .
- ٥٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى .
- ٥٤ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب .
- ٥٥ - البداية والنهاية لابن كثير .
- ٥٦ - وفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان .
- ٥٧ - تاريخ الاسلام للذهبى .
- ٥٨ - الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر .
- ٥٩ - معجم المؤلفين - تأليف عمر رضا كحاله .
- ٦٠ - كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة - تعليق محمد شرف الدين المدرس بجامعة استنبول .
- ٦١ - رجال الفكر والدعوة لأبى الحسن الندوى
- ٦٢ - السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب .
- ٦٣ - أطوار الثقافة والفكر فى ظلال العروبة والاسلام للأستاذ على الجندى وزملائه .
- ٦٤ - المنهج الحديث فى علوم الحديث قسم المصطلح للأستاذ محمد السماحى .
- ٦٥ - المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم .
- ٦٦ - المنهل الحديث فى علوم الحديث للأستاذ عبد العظيم الزرقانى .
- ٦٧ - شروط الأئمة الخمسة للحازمى - تعليق الكوثرى .
- ٦٨ - ترجمة جامع صحيح البخارى لمحمد بن الدمشقى .
- ٦٩ - حجة الله البالغة لولى الله الدهولى .

- ٧٠ - الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري .
 - ٧١ - فجر الاسلام للأستاذ أحمد أمين .
 - ٧٢ - ضحى الاسلام للأستاذ أحمد أمين .
 - ٧٣ - مفتاح السنة للأستاذ عبد العزيز الخولى .
 - ٧٤ - أبو هريرة راوية الاسلام لمحمد عجاج - سلسلة المؤسسة المصرية
لأعلام العرب .
 - ٧٥ - مالك تجارب حياة للأستاذ أمين الخولى .
 - ٧٦ - ابن قتيبة للدكتور عبد الحميد سند الجندى - سلسلة المؤسسة
المصرية لأعلام العرب .
 - ٧٧ - أضواء على السنة الحمديدية - للأستاذ محمود أبوريه .
 - ٧٨ - منهاج السنة لابن تيمية .
 - ٧٩ - النور السارى من فيض صحيح البخارى للشيخ حسن العدوى .
- المراجع المخطوطة :**
- ٨٠ - المدخل للحاكم - مخطوط بدار الكتب .
 - ٨١ - سير أعلام النبلاء للذهبي - مخطوط بدار الكتب المصرية .
 - ٨٢ - النكت وهو مختصر فتح البارى لابن حجر - مخطوط بمكتبة
الأزهر .
 - ٨٣ - تفليق التعليق لابن حجر - مخطوط بمكتبة الأزهر .
 - ٨٤ - دروس فى الكلام على الجامع الصحيح لعبد الرحمن الشهر
بابن الفزى - مخطوط بدار الكتب المصرية .
 - ٨٥ - ثلاثيات البخارى - جمع الشيخ أحمد العجمى - مخطوط
بمكتبة الأزهر .
 - ٨٦ - الرموز اليونينية للعلامة أبى الحسين محمد على بن محمد بن أحمد
المعروف باليونينى على هامش نسخته من الجامع الصحيح
مخطوط بالأزهر .
 - ٨٧ - شرح ابن بطل المالكى المغربى القرطبى - للجامع الصحيح
بالأزهر .
 - ٨٨ - التوشيح على الجامع الصحيح للسيوطى - مخطوط بالأزهر .
 - ٨٩ - أسماء شيوخ البخارى ومسلم لابن خلفون الأزدي - مخطوط
بالأزهر .
 - ٩٠ - غاية المرام فى رجال البخارى الى سيد الأنام للبازلى الكردى
الحموى الشافعى - مخطوط بالأزهر .

- ٩١ - أحاديث الأحكام فيما اتفق عليه الامامان البخارى ومسلم « لم يعلم مؤلفه مخطوط بدار الكتب المصرية » .
- ٩٢ - الجمع بين الصحيحين للبخارى ومسلم - تأليف أبى محمد عبد الحميد الأسدى الأندلسى - مخطوط بدار الكتب .
- ٩٣ - عمدة الأحكام فيما اتفق عليه الامامان البخارى ومسلم لتقى الدين عبد الفنى - مخطوط بدار الكتب .
- ٩٤ - الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة للكتانى - مخطوط بدار الكتب .
- ٩٥ - معرفة علوم الحديث للنيسابورى - مخطوط بدار الكتب .
- ٩٦ - شرف أصحاب الحديث - مخطوط بدار الكتب .
- ٩٧ - المستدرك على الصحيحين للحاكم - مخطوط بدار الكتب .

فهرست

رقم الصحیفة

المقدمة	٥
مكانة السنة في الدين الاسلامي	٥
جمع السنة وتدوينها من عصر النبي صلى الله عليه وسلم ،	
والصحابه الى عصر البخارى	١١
الباب الأول : نشأة البخارى وحياته العلمية	٢١
نشأة أبى عبد الله البخارى	٢٣
مولد البخارى وأسرته	٢٣
افادته من كتب والده	٢٦
الغلام العالم ومنهجه الدراسى	٢٧
رحلته فى طلب العلم	٢٨
مبدأ تأليف الامام البخارى	٢٩
شيوخ البخارى	٣٢
طبقات شيوخ البخارى	٣٦
ثمرة تفصيل الطبقات	٤٠
تراجع لبعض شيوخ البخارى	٤٢
على بن المدينى	٤٣
تقدير البخارى له	٤٣
تقدير ابن المدينى للبخارى	٤٤
الامام أحمد بن حنبل	٤٥
اثر مسنده فى صحيح البخارى وباقى الكتب الستة	٤٦
تقدير الامام أحمد للامام البخارى	٤٧
الامام اسحاق بن راهويه	٤٨
الامام يحيى بن معين	٥٠
نهج البخارى فى الحفظ	٥٢
معرفة البخارى بعلوم الحديث	٥٦

رقم الصفحة

٥٧	 نهج البخارى فى قراءة القرآن
٥٩	 الباب الثانى : حياة البخارى العامة
٦١	 مكانة البخارى فى الصلاح والورع
٦٤	 كرم البخارى وزهده
٦٧	 مهارته واستعداده للجهاد
٦٨	 قضية البخارى مع محمد بن يحيى الزهلى
	اعتزاز البخارى بعلمه ومحنه مع أمير بخارى خالد
٦٨	 ابن أحمد الزهلى
٧٦	 مكانة البخارى فى عصره
٨٣	 الباب الثالث : منهج البخارى فى الجامع الصحيح
٨٥	 مكانة صحيح البخارى
٨٦	 الباعث على تصنيف البخارى للجامع الصحيح
٨٧	 الاسم الكامل لصحيح البخارى
٨٨	 مدة تأليف الجامع الصحيح ومكانه
٨٩	 منهج البخارى فى رواية حديث الصحيح وشرطه
٩٢	 قول الحافظ العازمى فى منهج البخارى وشرطه
	قول الحافظ أبى الفضل محمد بن طاهر فى منهج البخارى
٩٥	 وشرطه
٩٧	 قول الحافظ أبى عبد الله النيسابورى
١٠٣	 موضوع الجامع الصحيح
١٠٥	 مكانة الموطأ من الجامع الصحيح
١٠٦	 درجة الموطأ والصحيحين
١٠٧	 أثر الموطأ فى صحيح البخارى وباقى كتب أئمة الحديث
١١٢	 رواية البخارى للموطأ
	راى فؤاد سيزكين أستاذ الأديان فى جامعات ألمانيا فى أن
١١٥	 البخارى عالمة على الامام مالك والرد عليه
١١٧	 الموطأ من كتب الأصول فى السنة
	لكل حديث موقوف أو مقطوع فى الموطأ وصحيح البخارى
١١٨	 أصل ثابت من الكتاب والسنة

رقم الصحيفة

- هل البخارى منتسب لمذهب معين ؟ ... ١٦٧
- البخارى مجتهد مطلق وفقهه ... ١٧٣
- مكانة اجتهاده فى عصره ... ١٧٤
- ترأجم صحيح البخارى ... ١٧٧
- منهجه فى التراجم ... ١٧٨
- امثلة من فقهه مع ذكر آراء الأئمة ... ١٨٦
- موقف البخارى من الأحناف فى بعض آرائه الفقهية ... ١٩٢
- اعادة البخارى الحديث فى مواضع كتابه ... ١٩٩
- الدافع للبخارى على التزامه هذا المسلك فى تراجمه ... ٢٠٤
- الباب الخامس : نقد المتقدمين لحديث البخارى** ... ٢٠٧
- نقد المتقدمين لبعض احاديث البخارى ... ٢٠٩
- الاجابة الاجمالية ... ٢١١
- الاجابة التفصيلية وامثلتها ... ٢١٢
- نقد الرجال وقيمتهم ... ٢٢٣
- مقاييس الطعن فى الرجال ... ٢٢٤
- الباب السادس : النقد الحديث فى صحيح البخارى** ... ٢٢٩
- آراء المستشرقين كجولد تسيهر فى السنة وصحيح البخارى ... ٢٣٣
- الرد على جولد تسيهر ... ٢٣٣
- خطأ دعوى عدم النقد عند المتقدمين ... ٢٣٦
- ترديد أبى ربه لكلام المستشرقين وأحمد أمين ... ٢٣٦
- الاحاديث التى انتقدها أحمد أمين فى صحيح البخارى ... ٢٤١
- نقد الدكتور محمد توفيق صدقى لحديث الذباب فى صحيح البخارى ... ٢٤٤
- كلمة الطب فى حديث الذباب ... ٢٤٥
- امثلة من اهتزاز مقاييس النقد الحديث ... ٢٤٨
- الباب السابع : البخارى والمنهج الاوروبى التاريخى الحديث** ... ٢٥٣
- أثر منهج البخارى والمحدثين فى المنهج التاريخى الاوروبى ... ٢٥٥
- الحديث مع المقارنة ... ٢٥٥
- ٢٩٣

منشورات الكتبة العصرية
طبعها - بيروت

تلفون ٢٣٧٥٤٥ - ص.ب ٨٣٥٥
